

مجلة المجمع العلمي



بحوث

مؤتمر الدورة الرابعة والخمسين

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

الجزء الثاني والستون

١٤٠١ هـ

١٩٨١ م



مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباطة
(المعهد السويسرى سابقا) بالزمالك

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء الثاني والستون

رمضان ١٤٠٨ هـ - مايو ١٩٨٨ م

المشرف على المجلة:

الدكتور مهدي علام

رئيس التحرير:

إبراهيم الشرقي

الفهرست

مؤتمر الدورة الرابعة والخمسين :

● المعجم العربى الوسيط
للدكتور عدنان الخطيب

ص ٣٤

● قصيدة اخى
للدكتور حسن على ابراهيم

ص ٤٢

● لغة الاعلام
للدكتور تمام حسان

ص ٤٤

● اللغة والنحو فى فكر الفارابى الفيلسوف
للدكتور عبد الكريم خليفة

ص ٥٦

● لغة الوثيقة الدبلوماسية
فى مغرب الامس بين التأثير والتأثر
بالنسبة للغات الأخرى
للدكتور عبد الهادى التازى

ص ٧٣

● قصيدة تحية ومودة واسى
للدكتور ابراهيم السامرائى

ص ٨٧

● اثر الشؤون الاجتماعية فى خصائص
اللغة وتطورها بوصفها أهم وسيلة
للاعلام

للدكتور على عبد الواحد وافي

ص ٩١

● كلمة الافتتاح

للدكتور ابراهيم مدكور
رئيس المجمع

ص ٧

● كلمة الدكتور أحمد فتحى سرور
وزير التعليم العالى

ص ٨

● كلمة الدكتور ابراهيم مدكور
رئيس المجمع

ص ١١

● كلمة الأستاذ عبد السلام هارون
الأمين العام للمجمع

ص ١٥

● كلمة الأعضاء العرب

للدكتور اسحق موسى الحسينى

ص ٢٧

البحوث :

● لغة الاعلام

للأستاذ حسن عبد الله القرشى

ص ٣١



- من كناشة الوادر (٨)
للأستاذ عبد السلام هارون
ص ١٠٥
- مع الرازي
للدكتور حسن علي ابراهيم
ص ١٢٦
- الفصحى رباط وحدة الأمة وأداة ارتقاء
العلم والحياة
للأستاذ محمد بهجة الأثرى
ص ٢٠٢
- اللغة بين التطور وفكرة الصواب والخطأ
للدكتور كمال محمد بشر
ص ١٣٢
- تحية المجمع
للدكتور عبد الله الطيب
ص ٢٠٨
- قول في قضية جمع الجمع
للأستاذ محمد شوقي أمين
ص ١٦٤
- الاعلام واللغة الاعلامية
للأستاذ منير البعلبكي
ص ٢١٠
- حول حذف كلمة « ابن » بين الاعلام
للدكتور أمين علي السيد
ص ١٦٨
- غزو الأساليب الأعجمية للعربية والغزو
الأجنبي للعربية
للأستاذ ابراهيم السامرائي
ص ٢٤٥
- مع المرزوقي في عمود الشعر
للدكتور عبد الله الطيب
ص ١٨٢
- حساب القلم العاسي
للأستاذ محمد العاسي
ص ٢٥٤
- حول تحقيق مؤلف « الرسالة العذراء »
المنسوبة لابراهيم بن المدبر
للدكتور محمود علي مكي
ص ١٩٠



شخصيات مجمعية

تأبين :

● كلمة الدكتور ابراهيم مذكور في تأبين
المرحوم الدكتور عمر فروخ

ص ٢٦٣

● كلمة الدكتور عبد الكريم خليفة

ص ٢٦٤

● كلمة الدكتور ابراهيم مذكور في تأبين
المرحوم الدكتور أحمد عبد الستار
الجواري

ص ٢٧٥

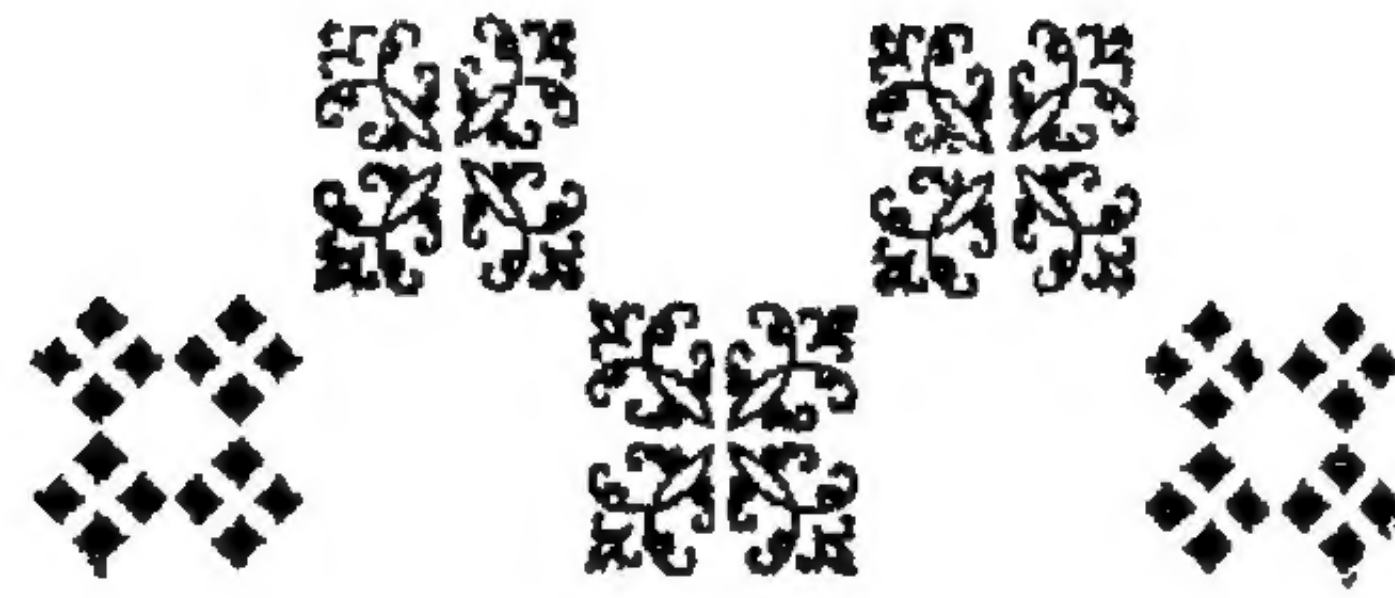
● كلمة الدكتور عدنان الخطيب

ص ٢٧٦

كلمة الافتتاح للدكتور إبراهيم مذكور رئيس المجمع

في افتتاح الدورة الرابعة والخمسين
لمؤتمر المجمع

بسم الله وعلى بركة الله نفتتح جلسة والآن مع كلمة الأستاذ الدكتور أحمد
مؤتمرنا في الدورة الرابعة والخمسين ، فتحي سرور وزير التعليم .



كامة الدكتور أحمد فتحي سرور

وزير التعليم العالي

قرونا عديدة ، كانت فيها اللسان
المعبر عن الحضارة العربية والإسلامية ،
بل الحضارة الإنسانية . . . وقد ظلت
هكذا طوال هذه القرون الزاهرة حتى
أدركها الجمود والركود ، حين وقعت
أمتنا العربية والإسلامية فريسة الفرقة ،
وداهمتها قوى الاحتلال ، فشلت حركتها
الحضارية ، وسلطت على لغتنا عوامل
الضعف والتخلف ، فعاشت في الماضي ،
عاكفة على التقليد ، متوقفة عن الإبداع
والتجديد .

ثم أقبل العصر الحديث ، وهبت
على العالم رياح التحرير ، فهبت
أمتنا العربية تضع عن كاهلها أثقال
الجمود والتخلف ، لتستطيع الانطلاق
واللحاق بركب الحضارة الذي لا تتوقف
مسيرته ، في كل مجالات العلم والأدب
والفن . . . وكانت لغتنا وسيلتنا الأولى
لإحراز التقدم الحضارى . . . فلا حضارة

الأستاذ الجليل رئيس المجمع :

الأستاذة الأعضاء الأجلاء :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

يسعدنى أن ألتقى بكم للمرة الثانية ،
في رحاب مجمعكم العريق ، مفتتحاً
معكم مؤتمر دورتكم الجمعية ، الرابعة
والخمسین . . . كما يسعدنى أن أرحب
بالأعضاء الأشقاء من العرب ، وبالأعضاء
الأصدقاء من غير العرب ، الذين قدموا
إلينا من بلاد شقيقة وصديقة ، للمشاركة
في أعمال مؤتمركم ومتابعة النشاط المجمعى ،
بالنظر والتقييم ، والبحث والدراسة
ومعالجة أهم القضايا اللغوية والأدبية
والعلمية ، التى تتصل من قريب أو بعيد
بلغتنا العربية الخالدة .

أيها السادة :

لست فى حاجة إلى التنويه والإشادة
بماضى لغتنا ، حين سادت لغات الدنيا

بدون لغة ولا لغة بدون حضارة . . ولهذا
تتابعت جهود المصلحين لإنشاء مجمع
لغوى ، حتى توجت بإنشاء هذا المجمع
الذى جمع فى رحابه جهابذة العربية
وعشاقها ، من المصريين وغير المصريين ،
ومن العرب وغير العرب . . . وها هو
مجمعكم قد بلغ عامه الرابع والخمسين ؛
حارسا للغة العربية ، باذلا كل الجهد
لتكون لغة علم وحضارة ، حتى تعود
إلى مكانتها الطليعية بين اللغات العالمية . .
ولعل خير مايشهد بذلك ما أصدره
مجمعكم من عشرات الآلاف من مصطلحات
العلوم والفنون ، ومئات القرارات فى
ضوابط اللغة ، وألفاظها وأساليبها ،
ورسوم كتابتها ، وما أخرجه المجمع من
نفائس التراث اللغوى كما أن لمجمعكم
مكان الريادة فى ميدان التأليف المعجمى ،
فقد أصدر من المعجمات العامة : المعجم
الوسيط ، والمعجم الوجيز وجزأين من
المعجم الكبير . . ومن المعجمات المتخصصة :
معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ومعجم

ألفاظ الحضارة والفنون ، والمعجم الفلسفى
ومعجم التربية وعلم النفس والمعجم الجغرافى ،
والمعجم الجيولوجى ، والمعجم البيولوجى ،
ومعجم الكيمياء والصيدلة ومعجم الفيزيكا
الحديثة ، ومعجم الفيزيكا النووية ،
ومعجم الحاسبات الالكترونية ، ومعجم
الهيدرولوجيا (علم المياه) .
والمجمع بهذه المعجمات العلمية المتخصصة
يسهم أعظم إسهام فى حركة تعريب
التعليم الجامعى ، الذى تتطاع إليه
أمتنا العربية منذ أمد بعيد !

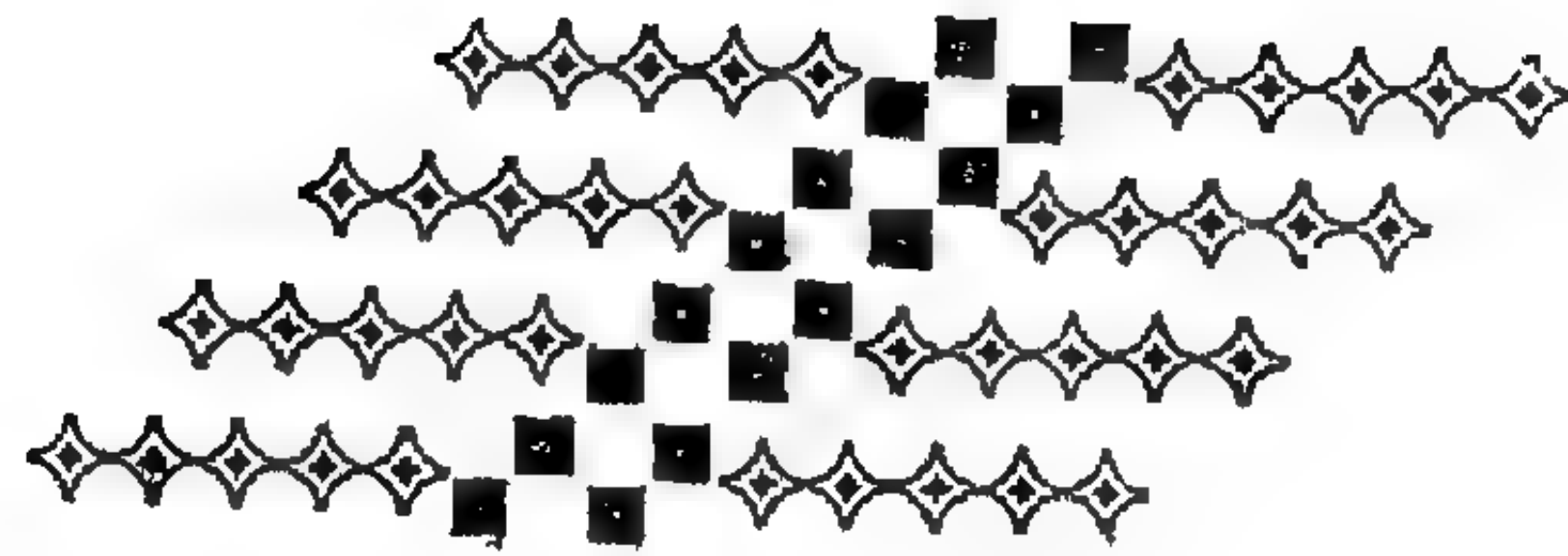
وها أنتم فى مؤتمركم هذا تضيفون
الجديد والعديد ، من المصطلحات
والقرارات والمواد المعجمية إلى ذلك
الرصيد العظيم . . . كما تتجهون ببحوث
مؤتمركم إلى معالجة قضية من أهم قضايا
اللغوية المعاصرة ، وهى « لغة الإعلام » ..
فللإعلام دوره الخطير فى دعم التعليم ،
بتنشئة أبنائنا على لغة عربية قوية
واكتسابهم معرفة واسعة بأحداث العصر
ومستحدثاته وقضايا نبيلة وجليلة تنير لهم

طريقهم وحياتهم . . وهكذا يصبح
الإعلام والتعليم جناحين ينهضان بشباب
الأمة إلى مستويات رفيعة من التكوين
العقلي والنفسي واللغوي ، والإعلام بوصفه
وسيلة الاتصال التي تنقل ثقافتنا
العربية يجب أن يتخذ لغة صحيحة معبرة
أصداق تعبير عما تحمل من ثقافة .

أيها الأساتذة الأجلاء :

أجدد التحية لكم ، والترحيب بمؤتمركم ،
سائلا الله تعالى أن يشدا أزركم ، ويمنحكم
عونه وتوفيئه .

« والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »



كلمة الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع

أيها السادة :
يسعدني حقا أن أضم صوتي إلى صوت
السيد وزير التعليم في الترحيب بضيوفنا
الكرام وزملائنا الأعزاء من أعضاء عاملين
ومراسلين .

وهم يدركون مدى شعورنا وحرصنا
على لقائهم والإفادة من بحثهم ودرسهم .
وقد كنا نقضى في هذا المؤتمر قديما
نحو شهرين ولكن أعباء الحياة ومسئوليات
زملائنا في بلادهم قضت علينا أن
نقصر هذه المدة على النحو الذي هي
عليه الآن .

وهي ولا شك مدة قصيرة بالنسبة
لما يعرض فيها من أعمال مجلسنا طوال
عام كامل ولكن إخواننا في شغفهم
وحبهم لخدمة لغتهم يقفون أنفسهم على
هذه المهمة ليلا ونهارا .

ولهذا الجهد القيم أثره وثماره فيما
ننتهي إليه من قرارات ونخرجه من
مطبوعات .

أيها السادة :

نحن ملتزمون حقا بأن نضع أمامكم
كل ما يقره مجلسنا من بحوث ودراسات

لكى تستكمل وضعها القانوني . ودرجنا على أن نوجه النظر إلى موضوع معين نتطلع فيه إلى دراسات زملائنا وآرائهم من مصريين وغير مصريين وموضوع هذه الدورة هو « لغة الإعلام » ، وكالعادة لكل زميل أن يعالج مايعن له من درس وبحث .

ولغة الإعلام ذات شأن كبير في حياة اللغة العربية والنهوض بها . هي لغة الوضوح والبيان ، ولغة الحياد والواقع ، ولغة العامة والخاصة . نتلمسها في صحفنا اليومية ومجلاتنا الأسبوعية أو الشهرية . وإلى جانب الصحافة تجيء الإذاعة مرئية كانت أو مسموعة ، وقد قلت منذ زمن إنها مدرسة الشعب ، وفي الحق إن النهوض بها نهوض باللغة الدارجة وارتفاع بمستوى الحديث لدى الزارع والصانع فضلا عن الباحث والدارس .

وإذا ألقينا نظرة على ماضى صحافتنا في أوائل هذا القرن بادئين بصحيفة « الجريدة » التي أنشأها « لطفي السيد »

أستاذ الجيل ومتابعين الخطى فيما تلا ذلك من صحف سياسية وحزبية وأخرى ثقافية وأدبية لاحظنا أن لغة الصحافة اليوم تخطو خطوات حثيثة نحو لغة واضحة اللفظ ، قصيرة الجمل ، سهلة الأسلوب قد لاتخلو من هفوات في اللفظ أو السبك والتركيب متأثرة بلفظ دارج أو آخر أجنبي معرب ولكن هذه العيوب أخذت في التلاشي شيئا فشيئا ومن أهم مايلفت نظرنا في الصحافة العربية اليوم أنا نقرأها عن مصادرها المختلفة في مشرق العالم العربي أو مغربه ولايكاد يعز علينا شيء مما يرد فيها ولصحفنا الكبرى توزيع فسيح المدى لا يقف عند العالم العربي بل يمتد إلى أوروبا وأمريكا وقد جاوزنا هذا إلى اخراج صحف عربية في بعض العواصم الغربية الكبرى كباريس ولندن وواشنطن ونيويورك وبذا أحسن جالياتنا العربية المقيمة في الخارج أنها على صلة وثيقة بلغتها وقوميتها . وقد مضى الزمن الذي كان يتردد فيه اليونسكو في أن يعد العربية إحدى اللغات العالمية الكبرى وأصبحت اليوم ذات شأن في لقاءاته ومطبوعاته ومكتبته .

أما وسائل الإعلام الأخرى من إذاعة مسموعة أو مرئية فهي تنهج النهج نفسه وتتابع السير في التطوير والتجديد وسلاسة اللفظ ووضوح العبارة . وأخذ كثير من إذاعاتنا في إعداد تدريب كامل للمذيعين يمكنهم من النطق الواضح والعبارة المستقيمة وما أجدرنا أن نتوسع في هذا التدريب وأن نعاود النظر في أمر المذيعين من حين لآخر لكي نطمئن إلى وضوح نطقهم وإلى سلامة عبارتهم وأن نخلصهم ما أمكن من اللفظ الساقط والتعبير الركيك ، وقد أخذت إذاعتنا المسموعة فعلا بمناقشة بعض الألفاظ والتعبيرات فتقرر منها ماتقرر وترفض ماترفض ، ولها برنامج متتابع بعنوان « قل ولا تقل » ركم يذكرني هذا بصنيع أستاذ جليل «و المرحوم أحمد العوامري ولكني أرجو ألا يغلو أصحاب برنامج « قل ولا تقل » في التضييق على الناس دون حاجة ، وما أحوج المذيعين عامة أن يرجعوا إلى مقررات المجمع في ألفاظه وأساليبه ومصطلحاته وتعبيراته أو عنده في ذلك زاد كبير يكفي أن أشير فيه إلى أن لغة لعبة كرة القدم مثلا كانت مما عني

به مجمع القاهرة أقر فيه ما أقر ورفض ما رفض ، ولألفاظ الحضارة التي تقوم عليها لجنة خاصة منذ عدة سنين بوجه عام صلة وثيقة بالإذاعة المسموعة والمرئية وهنا أيضا أحب أن أشير إلى أن الإذاعة العربية يتقارب بعضها من بعض ويلتقي عندها السامع في العالم العربي جميعه . فقد زرت الجزائر منذ عشرين عاما ، وكنت أجد صعوبة في التخاطب والتفاهم ، اللهم إلا بالاستعانة باللغة الفرنسية ، وقد تغير الحال اليوم حيث تجد الشباب العربي في الجزائر أبناء العشرين والخمسة عشر عاما يتكلمون لغة عربية جيدة ، وفي زيارتي الأخيرة للرباط لاحظت أثر الإعلام في نشر اللغة العربية بصورة كبيرة بين أبناء المغرب العربي .

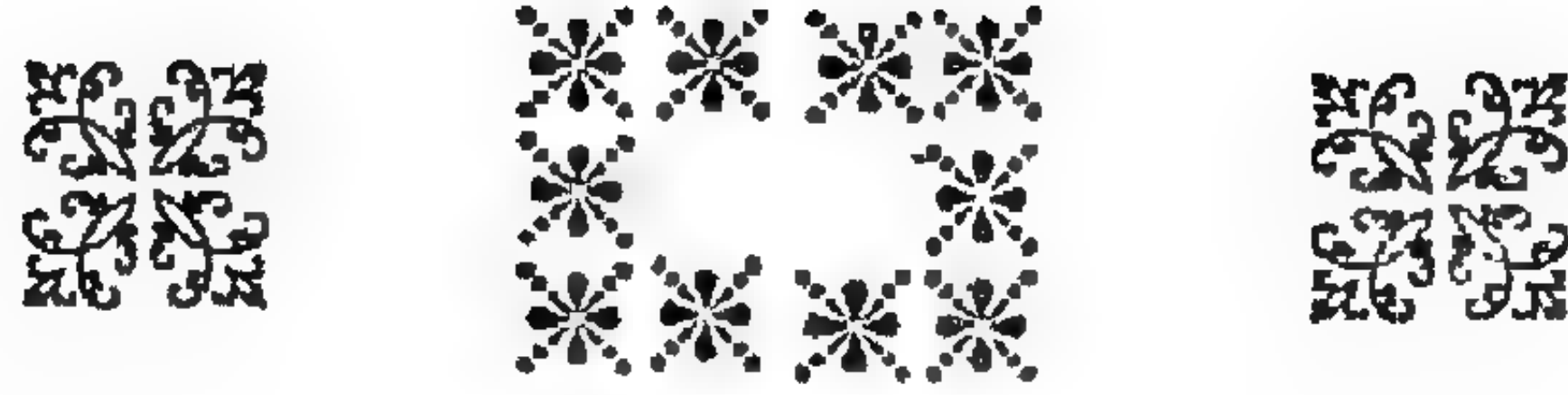
وهناك تبادل إذاعي بين الأقطار العربية أحبابه وأدعو إلى الإكثار منه ، وقد حرصت دائما في زياراتي للأقطار الشقيقة على أن أستمع إلى إذاعاتها لكي أتمسك فيها مواطن التقارب والشبه بين المذيعين لختلفين ، وقد خطت الإذاعة المصرية

في هذا خطوات فسيحة ولا أشك في
أن الأقطار الشقيقة ستنتهج النهج نفسه. [١]
[٢] وفي اختصاره أستطيع أن أقرر أنه [٣]
لقد انقضى الزمن الذي كانت تعد فيه
إذاعة القسم العربي بالإذاعة البريطانية
النموذج الأمثل للإذاعة السليمة الواضحة

ووصلنا في كثير من إذاعتنا العربية
إلى درجة لاتقل عن الإذاعة البريطانية
إن لم تزد عليها .

وختاماً أكرر ترحيبي وسعادي بصحبة
الزملاء الكرام .

والسلام عليكم ورحمة الله .



كلمة الأستاذ عبد السلام هارون

الأصين العام للجميع

ويغضب العروبة والإسلام من يفرط
في حقها أو يتهاون في جليل شأنها .

نحن جميعا أمناء على لغتنا لغة
القرآن ، حراس على كيانها وعلى
نقائنها وتنمية تطويعها ، وعلى رفع
شأنها في هذا الخضم العام من لغات
الناس في هذه الأرض .

وإن من ضل عن منهجها المحكم ،
ومسلكها المبرم ، فقد ضل سواء السبيل
ما اجتمعنا اليوم وما نجتمع في كل
عام للحج إلى هذا المؤتمر إلا لنجمع
قلوبنا المتزامنة في نبضاتها ، وعقولنا
المتناسقة في خلجاتها ، وآمالنا
المتساوية في أهدافها على خير ما يجمع
هذا كله ، هو الجلوس في مؤتمرنا
للتشاور ، يعلو فيه الحق ، ويندحر
الباطل والشك . إخلاص في النية

السيد الأستاذ الدكتور وزير التعليم
السيد الأستاذ الدكتور رئيس المجمع
السادة الزملاء الأجلاء من مصر ،
وشقيقاتها ومن سائر أطراف الدنيا .
السادة الضيوف الأعزاء من مصر ، وسائر
الوطن العربي :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ،
وأثابكم الله ثواب المخلصين بما تنبض
به قلوبكم من إعزاز ووفاء للغتك
العربية التي تجمع شعوبنا على الفكر
الواحد ، والأمل الواحد مهما طوحت
بنا جنبات الأرض شرقها أو غربها
أو شمالها أو جنوبها .

إن لغتنا هي الأمانة الغالية في أعناقنا
وهي التي يهدر نحائنها ، ويغضب الله

ومسارعة إلى انتهاز أقوم السبيل ،
في خدمة لغتنا الخالدة ، وأنتم صفوة
العلماء ونخبة الرجال ، الذين يمثلون
ثقافة بلادهم أصدق تمثيل ، كما
يمثلون غرة العلم ، وسلطان الخلق النبيل .

هذه عودة كريمة أخرى نحظى فيها
باللقاء جميعاً على مدى أسبوعين
لنتدارس ما أنجزته لجان مجمعكم
الجامع ، وما أقره مجلس المجمع في
هذا العام بعد انفضاض الدورة السابقة
التي مرت كأنها الأمس . كما أن
هناك بحوثاً تلقى ، ودراسات تقدم
لتكون موضع مناقشة ومدارسة مثمرة
إن شاء الله . وما ذلك إلا رغبة منا
جميعاً في رفع شأن الفصحى ،
والبرهان على صدق طواعية كلماتها
ومشتقاتها وأساليبها للتعبير السليم في
مجالات العلوم والآداب والفنون .
إن قرارات مجمعنا ، وهي وليدة
الشورى والتحقيق الجماعى ، إننا نستمد
شرعيتها من هذا المؤتمر الذى هو بمثابة

المحكمة العليا التى لها السلطان الأعلى ،
ولا فضل هنا لرأى على رأى إلا بما ينال من
إجماع ، أو ما يحظى به من رضوان .

إن مجامعنا كلها تقوم على الشورى
الفكرية والعلمية وعلى إنكار الذات
وإنكار الذوات أيضاً . ومن هنا
كان لابد للمخطئين أن يحاولوا النيل
من جهودكم السامية التى تسرى
وحدها إلى مساريها دون ضجيج أو
هدير . وهل هذه المعاجم التى أصدرها
المجمع التى كادت أن تقارب العشرين ،
هل هذه المعاجم العتيدة إلا وليدة جهد
خارق غير مصحوب بضجيج أو هدير
وقديماً قالوا : إنما يعرف الفضل من
الناس ذوده ، وليس يفوتنى أن أعبر
بالنيابة عن مجمعكم - عن عظيم
شكرنا وتقديرنا لحضوركم أيضاً أيها
الزملاء العرب الأشقاء - لقاء والزملاء ،
المستعربون الأصدقاء . راجين لكم طيب
إقامة في بلدكم هذا .

المجمع بين مؤتمرات

المؤتمر السابق :

الجلسة الثانية :

أما ثانية هذه الجلسات العلنية فكانت لتأبين المغفور له الأستاذ علي الفقيه حسن عضو المجمع من ليبيا ، وعقدت في هذه القاعة أيضا حيث ألقى كلمة المجمع في توديع الراحل الكريم الأستاذ الدكتور الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة عضو المجمع من تونس .

حفل مؤتمر العام الماضي - مثل غيره من مؤتمرات الأعوام التي سبقته - بالعديد من الأعمال الجمعية التي تعد زادا وفيرا للباحثين والدارسين على اختلاف مشاربهم . وقد عقد المؤتمر السابق أربع عشرة جلسة ، أربع منها علنية :

الجلسة الأولى :

الجلسة الثالثة :

خصّصت هذه الجلسة والتي عقدت في نفس هذه الدار للاستماع إلى محاضرة عامة تناول فيها صاحبها الأستاذ الدكتور كمال بشر عضو المجمع موضوع : «التغريب في اللغة والثقافة» .

افتتح بها المؤتمر السابق أعماله ، وعقدت في نفس هذه القاعة التي نجتمع فيها اليوم وكانت بدايتها كلمة جامعة الأستاذ الدكتور أحمد فتحي سرور وزير التعليم أعقبه الأستاذ الدكتور إبراهيم مذكور رئيس المجمع الذي ألقى كلمة تحدث فيها عن دور المجمع في خدمة اللغة الفصحى التي تعد عماد رسالته والهدف الأسمى الذي يسعى إلى تحقيقه ، ثم تلاه من يشرف الآن بالتحدث إليكم فألقى كلمة أحصى فيها جهود المجمع فيما بين دورتي انعقاد المؤتمر السابق والمؤتمر الحالي .

الجلسة الرابعة :

عقدت هذه الجلسة في نفس هذه الدار ، وخصّصت لتوديع رائد من رواد العمل المجمع في الوطن العربي هو المغفور له الدكتور حسني سبيح عضو المجمع من سورية ورئيس مجمع اللغة العربية بدمشق ، حيث ألقى كلمة

المجمع في تأييد الفقيه الأستاذ الدكتور
عدنان الخطيب عضو المجمع من سورية .

* * *

أما الجلسات العشر الباقيات فكانت
مغلقة عرض فيها على المؤتمر ما أعدته
لجان المجمع من أعمال ، وأقره مجلسه
من مصطلحات في :

- الهندسة .

- الفيزيكا .

- علوم الأحياء والزراعة .

- ألفاظ الحضارة (مصطلحات في المسرح)

- النقط .

- علم النفس .

- التربية .

- المعالجة الإلكترونية للمعلومات .

- الرياضة .

- العلوم الطبية .

- القانون (في التأمينات الاجتماعية) .

- الكيمياء والصيدلة .

- الاقتصاد .

- الجغرافيا .

- التاريخ والآثار .

وقد أقر المؤتمر أكثر ما عرض من هذه
الأعمال .

أما لجان المجمع اللغوية فقد نظر
المؤتمر أعمالها وانتهى إلى مايلي :

المعجم الكبير :

أقر المؤتمر نموذج المعجم الكبير الذي
عرض عليه وضم المواد من أول (ح ج ج)
إلى (ح ن دا) بعد استيفاء الاستدراكات
التي أبدت عليه .

لجنة الأصول :

أقر المؤتمر المسألتين اللتين عرضتهما
اللجنة وهما :

- لزوم الفعل الثلاثي وتعديده .

- التضمين .

لجنة الألفاظ والأساليب :

أقر المؤتمر الألفاظ والأساليب التي
عرضتها اللجنة وهي :

- المهمة .

- كافة .

- تسمييس .

- مصداقية .

- جبهوى .

- تحجيم .

- تغيا الشيء .

- أرض رعوية .

- تصحر الأرض الزراعية .

- نفس الشيء .

أفى حفل افتتاح المؤتمر السابق ولكن حالت
ظروف خاصة دون تحقيق إرادته هذه
! فلم نسعد برؤيته فى المؤتمر السابق وألقاها
نيابة عنه الزميل الذى رحل عنا قبل
أسابيع قليلة مضت الأستاذ الدكتور أحمد
عبد الستار الجوارى .

- مجمع الخالدين :

قصيدة نظمها الأستاذ حسن عبد الله
القرشى عضو المجمع المراسل من السعودية
تحية لمجمعنا العتيق .

- مرثية وداع :

نظمها الزميل الأستاذ الدكتور عبد الله
الطيب عضو المجمع من السودان فى توديع
ابن وطنه المغفور له الأستاذ جمال محمد
أحمد عضو المجمع المراسل من السودان .

وفى الجلسة الختامية أصدر المؤتمر
التوصيات التالية :

كذلك حفل المؤتمر السابق ببحوث
ودراسات أكثرها حول موضوع :
التأليف المعجمى فى القديم والحديث -
أنماطه ومذاهبه .

كما كانت ثمة موضوعات أخرى كثيرة
تنوعت ما بين أدبية ، ولغوية ، وفلسفية .
وتاريخية . وقد كان للشعر نصيب
كبير فى مؤتمر العام السابق فاستمعنا
واستمعنا بثلاث قصائد :

! الأولى - هى الفصحى :

قصيدة أراد صاحبها الزميل الكبير
الأستاذ محمد بهجة الأثرى أن ينشدها

توصيات

مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الدورة الثالثة والخمسين

١٩٨٧/٢/٢٣ - ١٩٨٧/٣/٩ م

- ١- يؤكد المؤتمر توصياته السابقة التي تنص على أن يكون التعليم في مرحلتى التعليم الجامعى والعالى باللغة العربية أسوة بالمتبع في بعض البلدان العربية الشقيقة.
- ٢- يوصى المؤتمر بضرورة الحرص على تعليم قدر كاف من القرآن الكريم حفظاً وتلاوة وتفسيراً في مراحل التعليم الأساسى
- ٣- يوصى المؤتمر بأن يلتزم المدرسون في مرحلة التعليم الأساسى باللغة الفصيحة في مختلف المواد حتى تعادها الناشئة.
- ٤- يوصى المؤتمر أيضاً بالعناية بعرض مختارات منتقاة من المأثور في الأدب العربى شعراً ونشراً مع دراستها بعناية خاصة لكى يتمثل التلاميذ الصياغة العربية السليمة.
- ٥- يوصى المؤتمر بأن يعنى في جميع مراحل التعليم العام بتدريس قواعد اللغة العربية وزيادة الساعات المقررة لها.
- ٦- يؤكد المؤتمر ضرورة العمل بحزم على مقاومة كتابة لافتات المحال التجارية ونحوها والمؤسسات على اختلاف أنواعها بآى لغة غير العربية السليمة كما يوصى بتجنب كتابة الأسماء التى هى أجنبية فقط بحروف عربية حفاظاً على الانتماء العربى.
- ٧- يؤكد المؤتمر ضرورة العمل على توحيد المصطلحات العلمية في الوطن العربى ويوصى بتكوين هيئة تتولى إدارة مركز للمعلومات تسجل فيه جميع المصطلحات العلمية لاستخدام الآلة الحاسبة.
- ٨- يوصى المؤتمر بنشر ما وضعه المجمع من مصطلحات في مجال الحاسبات الإلكترونية هدف توحيدها على امتداد الوطن العربى.
- ٩- يوصى المؤتمر بأن تكون اللغة العربية السليمة لغة وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وكذلك مسارح الدولة.

١٠ - يَدْعُو المؤتمِر القادة والمسؤولين
فِي جميع أرجاء الوطن العربي إلى أن يحرصوا
على أن تكون خطبهم الرسمية وكلماتهم
الموجهة إلى الجماهير باللغة العربية الفصيحة
لما لذلك من أثر بالغ في التوجيه اللغوي
السليم .

١ - ينتهز المجمع هذه المناسبة ليعلن
أن بعض الهيئات العلمية والتعليمية التي
تعنى بشئون اللغة العربية رحبت بما سبق
للمجمع من توصيات ووضعت كثيراً منها
في موضع التنفيذ .

أعمال المجلس واللجان في الدورة الحالية :

عقد مجلس المجمع منذ انتهاء المؤتمر
السابق إلى قبيل انعقاد المؤتمر الحالي ثلاثاً
وعشرين جلسة أربع منها علنية حيث ودع
المجمع في ثلاث منها ثلاثة شيوخ أجلاء
من شيوخ المجتمعين هم :

- المغفور له الأستاذ الدكتور إبراهيم
أدهم الدمرداش .

- المغفور له الأستاذ مصطفى مرعي .

- المغفور له الأستاذ الدكتور محمد طه .

لا الحاجري . . .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمدهم
برحمته ، وأن يوسع لهم في رياض جنته .
أما الجلسة الرابعة العلنية فكانت
لاستقبال ثلاثة من صفوة العلماء سعد
المجمع بضمهم إلى قافلة الخالدين وهم
السادة :

- الأستاذ الدكتور أبو شادي عبد الحفيظ
الروبي .

- الأستاذ الدكتور أمين علي السيد .

- فضيلة الأستاذ الشيخ محمد متولى
الشعراوي .

وأما بقية جلسات المجلس فكانت
مغلقة نظر فيها ما أنجزته لجان المجمع
المختلفة من مصطلحات في :

- الفيزيقا .

- النفط .

- الكيمياء والصيدلة .

- العلوم الطبية .

- الرياضة .

- الجغرافيا .

- التاريخ والآثار .

- الفلسفة (المنطق الرمزي) .

- التربية .

- علم النفس .

- القانون (القانون العقوبات) .

- الاقتصاد .

* * *

كما نظر المجلس أعمال اللجان اللغوية

وهي :

لجنة الأصول :

عرض على مجلس المجمع من أعمال

هذه اللجنة ثلاثة موضوعات هي :

- استغناء الفعل المبني للمعلوم بمادته

عن الفاعل .

- استغناء الفعل المبني للمجهول بمادته

عن نائب الفاعل .

- جواز إثبات الباء في اسم الفاعل

المنقوص النكرة .

وقد وافق المجلس على هذه الموضوعات

الثلاثة ، وستعرض على مؤتمرهم هذا

لإقرارها .

لجنة الألفاظ والأساليب :

عرض على مجلس المجمع من أعمال

هذه اللجنة عشرة ألفاظ وافق على سبعة

منها هي التي ستعرض على المؤتمر لإقرارها

وهذه الألفاظ السبعة هي :

- تجريف الأرض .

- الفرجة - متفرج .

- التسمول .

- القطاع .

- الشطب - التشطيب .

- الفوطة .

أما الألفاظ الثلاثة الباقية فقد ردها

المجلس إلى اللجنة مرة أخرى لإعادة النظر

فيها ، وهذه الألفاظ هي :

- جذر الفكرة .

- نبط عليه .

- الزعل .

كما أقر طائفة كبيرة من الألفاظ

المستدركة على المعاجم المتداولة وهي ثلاثة

وثلاثون لفظاً مستخرجة بشواهداها

التاريخية الصحيحة من كتاب البيان

والتبيين للجاحظ ، وهي :

- الإثم : جمع آثام بمعنى الذنب .

- الإياسة بمعنى اليأس .

- أبو العفّاق ، بمعنى الذئب ، وكذلك
أبو اليقظان :

- البُدلة بمعنى الكثيرة التبدل أو التبديل

- الجرار بمعنى العود الذى يعرض فى فم
الفصيل .

- الرِّسال ، بمعنى المراسلة .

- التجريض ، بمعنى الغصص .

- تجلّب الدم بمعنى يابس .

- استجزى ، بمعنى استحق الجزاء .

- واستحري بمعنى كان حرياً .

- الحتمات بمعنى الأحكام الواجبة

التنفيذ .

- الحِيالة . بمعنى الحيلولة .

- الحاكية بمعنى من يحسن التقليد .

- راغث ، والراغاث بمعنى ، أَرْضِع ،

والرضاع .

- لأشاهم ، ثلاثوا ، بمعنى أفناهم ،

وفنواهم .

- ارتكشت الحامل : تحرك جنينها

فى بطنها .

- محامد ، ومشاتيم ، بمعنى كثيرى

الحمد ، وكثيرى الشتم .

- الزُّوار بمعنى السؤال .

- الشهير ، بمعنى السيف المسلول من

غمده .

- زرده ، وتزرد ، بمعنى حملة على

الابتلاع ، وابتلع .

- نحرّ بمعنى أكثر من النحر .

- السُّجاعة : بمعنى صناعة السجع .

- الثاغرة والثواغر بمعنى الحسنة الثغر ،

أطلعها ، بمعنى جعله يطلع .

والحسان الثغور .

- الغواص ، بمعنى الغوص .

- اعتقل : رضى بالعقل ، أى الدية .

- انتجزه ، بمعنى طالب إنجازه .

مسابقات المجمع

المسابقة الأدبية :

• (أولاً) : كان موضوع المسابقة الأدبية للعام المجمعى السابق (٨٦ - ١٩٨٧ م) هو : « على الجارم أديباً وباحثاً » . وقد تقدم إلى هذه المسابقة عدد من المتسابقين فاز من بينهم .

– الأستاذ على على الفلال . بالجائزة الأولى .

– الأستاذ محمد الغزالي حرب بالجائزة الثانية .

هو : « مسابقة ذات مستويين لأجود نص من التراث العربى ينشر لأول مرة محققاً تحقيقاً علمياً منهجياً فى متن اللغة العربية أو فى أحد فروعها ، أو فى نص من نصوصها الأدبية شعراً أو نثراً » .

وقد رأت اللجنة حجب الجائزة فى هذا العام لعدم ارتقاء أى نص من النصوص المقدمة إلى مستواها .

(ثانياً) : وافق مجلس المجمع فى ختام دورته السابقة (١٩٨٧ - ١٩٨٨ م) على تقرير لجنة « إحياء التراث » الذى اقترحت فيه أن نطرح للتسابق موضوعاً يدور حول : « أجود نص يقدم إلى المجمع من التراث العربى الذى ينشر لأول مرة محققاً تحقيقاً منهجياً فى متن

اللغة العربية . أو فى أحد علومها ، أو فى نص من نصوصها الأدبية (شعراً أو نثراً) فى السنوات الخمس الماضية .

(ثانياً) : وافق مجلس المجمع فى ختام دورته السابقة (مايو ١٩٨٧ م) على تقرير لجنة الأدب الذى اقترحت فيه أن يكون موضوع التسابق فى العام المجمعى الحالى (٨٧ - ١٩٨٨ م) هو : « مجموعة قصص قصيرة » .

* * *

مسابقة إحياء التراث :

(أولاً) : كان موضوع « إحياء التراث » للعام المجمعى السابق (٨٦ - ١٩٨٧ م)

مطبوعات المجمع

- الجزء السادس من كتاب « التكملة والذيل والصلة » .
- الجزءين الثاني والخمسين والثالث والخمسين من مجلة المجمع .
- الأجزاء من الخامس والخمسين إلى السابع والخمسين من مجلة المجمع .
- الأجزاء من السادس والعشرين إلى الثامن والعشرين من : « مجموعة المصطلحات العلمية والفنية » .

* * *

عضو جديد فى المجمع :

- سعد المجمع فى هذه الدورة بضم عضو فاضل إلى رحابه هو :
- الأستاذ الدكتور عبد الرازق عبد الفتاح إبراهيم .
- وسيقوم المجمع باستقباله فى أقرب جلسة يعقدها مجلسه بعد انتهاء أعمال المؤتمر إن شاء الله .

* * *

يواصل المجمع نشر العديد من المطبوعات التى تتنوع ما بين معجمات لغوية وأخرى علمية فضلاً عن كتب التراث التى يحرص المجمع على نشرها بانتظام مضافاً ذلك إلى مجلته ودورياته المختلفة ، وكل مطبوع من هذه المطبوعات القيمة يعد تتويجاً لجهد من الجمهور المخلص الطيبة التى يبذلها المجمع خدمة للغة العربية ورفعاً لشأنها .

وقد أصدر المجمع خلال هذه الدورة المطبوعات التالية :

- معجم الجيولوجيا .
- معجم الحاسبات الإلكترونية .
- الجزء الثالث من كتاب « غريب الحديث » .
- الجزء الثالث من كتاب « التكملة والذيل والصلة » .
- الجزء الخامس من كتاب « التكملة والذيل والصلة » .

أيها الزملاء الكرام :

يعز عليّ - وكما يعز عليكم جميعاً -

أن يغيب عنا اثنان من أفاضل الجمعيتين

كنا نسعد في كل عام برؤيتهما وإسهامهما

في أعمال المؤتمر هما الزميلان العزيزان :

- الأستاذ الدكتور عمر فروخ .

- الأستاذ الدكتور أحمد عبد الستار

الجواري .

وكما جرت عادة المجمع في مثل هذه

المناسبات ، ووفاءً منه المرحلين الكريمين

سيقوم بتوديعهما في جلستين علنيتين

تعقدان لهذا الغرض في فترة انعقاد المؤتمر

إن شاء الله .

* * *

وقبل أن أختتم كلمتي هذه لايفوتني

أن أبعث بأطيب أمنيات الصحة والعافية

للإخوة الزملاء الذين حالت ظروف طارئة

لهم دون حضورهم هذا المؤتمر ، والله نسأل

أن يسعدنا برؤيتهم في المؤتمر المقبل .

إن شاء الله والزملاء المعتذرون هم :

الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد (الأردن)

الأستاذ الشاذلي القليبي (تونس)

الأستاذ الدكتور أحمد طالب الأبراهيمي

(الجزائر)

الأستاذ الدكتور رودلف زلهاييم (ألمانيا)

الأستاذ الدكتور روبرت سرجانت (بريطانيا)

الأستاذ أحمد حسين شرف الدين (اليمن)

الأستاذ سعيد الأفغاني (سورية)

أيها السادة :

إنه ليسعدني في ختام هذه الكلمة أن

أرحب وأعبر عن ترحيب المجمع بجميع

من شارك في هذا الحفل السنوي التاريخي ،

من السادة الضيوف ، ومن رجال الإعلام

مقدماً إليهم بالنيابة عن المجمع تحية الشكر

والتقدير .

وأما أنتم أيها الإخوة الوافدون من

بلادنا العربية ، ومن أقطارها المعمورة

قاطبة ، فإليكم منا التحية أذكى ما تكون

التحية والشكر أجزل ما يكون الشكر ،

على ما تحملتم من عناء السفر وما تكبدتم

من مشقة الارتحال حرصاً منكم على شهود

هذا المؤتمر والمشاركة فيه بعلمكم وفضلكم ،

ونأمل أن تسعدوا في بلدكم هذا بظلال

الأخوة التي نبسطها لكم أفسح ما يكون

البسط وبصدق المودة التي نبذلها لكم أروع

ما يكون الصديق .

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

كلمة الأعضاء العرب

للدكتور إسحق موسى الحلي

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة وزير التعليم الدكتور أحمد
فتحي سرور .

سيدى الأستاذ الدكتور رئيس المجمع .

آ الزملاء الكرام .

إلى أحييكم أطيب تحية وأستأذنكم فى
التعبير عن مشاعرنا جميعاً فى لقائنا
الرابع والخمسين لمجمع اللغة العربية فى
القاهرة ، قال مرة (مقدسى) زار القاهرة
وفتن بجمالها وآثارها ومجمعها وأزهرها
وتراثها القديم وحفاظها على العروبة والإسلام
إنه لا أحد يستطيع أن ينفى مصر حقها من
الشكر إلا شخص واحد هو المقيم بيشرب
محمد بن عبد الله . فهو وحده القادر
على إيفاء أرض الكنانة حقها لأنها صانت
كتابه ، وأعلت لسانه ، وشرحت بيانه ،
ودافعت عن إعجازه .

إن مجمع اللغة العربية فى القاهرة مافتىء
منذ إنشائه إلى اليوم ينعقد عاماً بعد عام
أمتحدياً المحن التى ألمت بالبلاد العربية
وما أكثرها إيماناً بأن رابطة اللسان هى
العروة الوثقى التى يجب علينا جميعاً أن
نحافظ عليها .

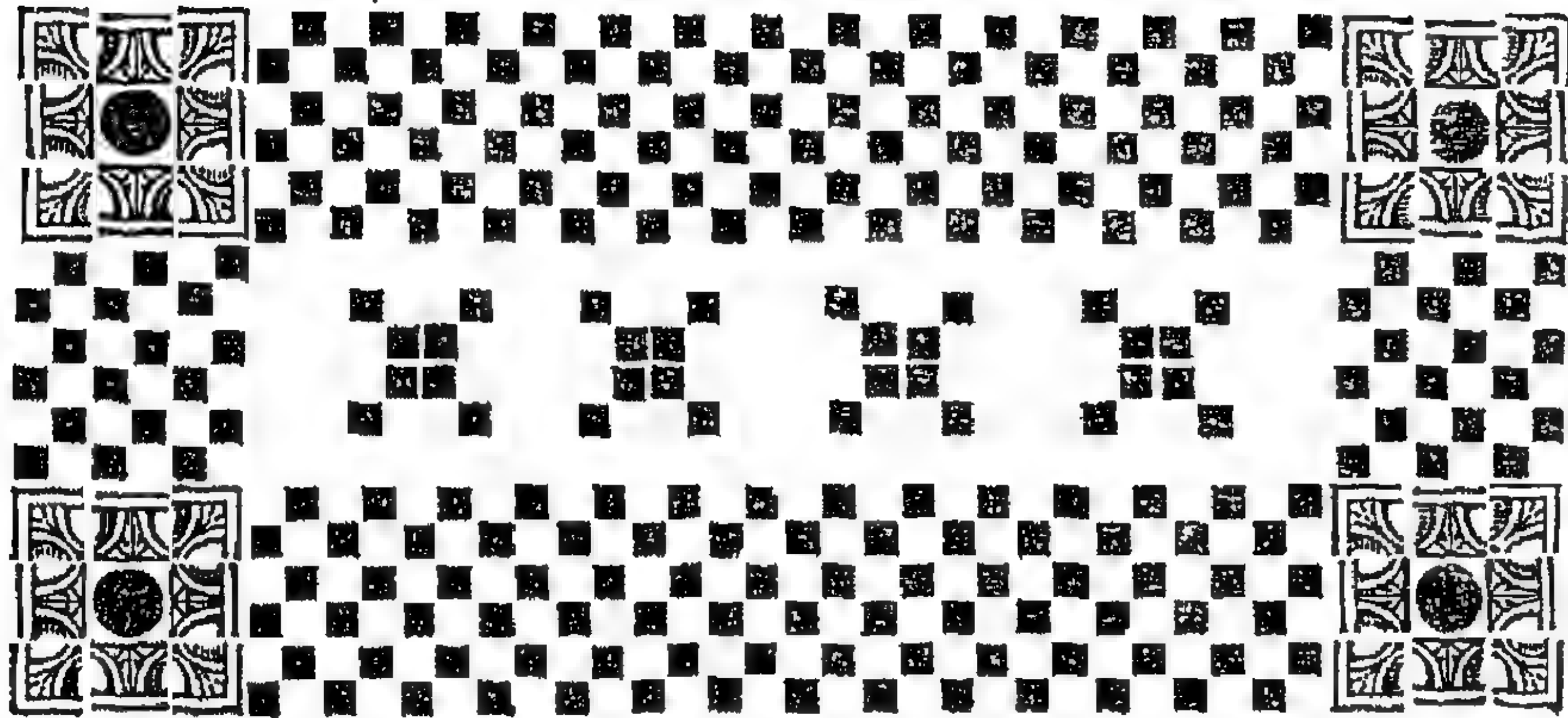
لقد حاول أعداء العرب أن يحلوا هذه
العروة مرة بالدعوة إلى العامية ، ومرة
بالدعوة إلى الحروف اللاتينية ، ومرة
بالدعوة إلى إلغاء النحو ولكنهم ردوا على
أعقابهم خاسرين « ويأبى الله إلا أن يتم
نوره ولو كره الكافرون » .

أيها السادة إن ما أنجزه المجمع فى خلال
نصف القرن أوسع وأجل من أن يختصر
بكلمات . ولكن يجب أن أشير إلى معجم
القرآن الكريم وإلى المعجم الوسيط والوجيز
وإلى المخطوطات النادرة التى نشرت لأول

مرّة ، وإلى مصطاحات العلوم والفنون فكلمها
شاهد صدق على العزيمة وتواصل الجهد .
أخيراً هل أنا قادر على أن أفي مصر حقها
وهي التي ردت الغزاة قديماً وحديثاً ، وهي
التي ترفع اليوم علم العروبة والإسلام في
كل مجال شرقاً وغرباً . ألا إنني عاجز وفي

اللسان عقدة : وفي القلب جذوة ، وفي
العين دمة ، ولكنني أصمت لتظل فرحتنا
بهذا اللقاء غلبة ، على كل مافي القلب
من حزن .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .





لغة الإعلام

للأستاذ حسن عبدس القرشى

مؤثرة تضم الآلاف من ذوى التخصصات
الراقية فى مجالات الثقافة ، والفكر ،
والاجتماع ، والاقتصاد ، يستخرون أفكارهم
وأقلامهم لمسيرة هذا المرفق الحيوى الهام
الذى هو مرفق الإعلام .

لذلك فليس غريباً أن يتجه الحديث
إلى (لغة الإعلام) ومناهج القول فيها
مما عناه بتخصيص مجمعنا اللغوى العريق .
وإذا كانت اللغة هى أهم أسباب نجاح
الإعلام على الإطلاق فما هو المنهج الأصوب
الذى يجب أن تسير عليه لغة الأعلام ؟

لاشك أن اللغة الإعلامية ينبغي أن
تنقسم قسمين :

القسم الأول : اللغة التى نستخدمها فى
الوسائل المطبوعة (من كتب وصحف
ومجلات وروايات ، وقصص) فهذه يتعين
أن تكون اللغة الفصحى .

كان الإعلام ، ومتفرعاته - وما زال -
أحد العوامل المهمة التى تركز عليها الأمم
فى إظهار الوجه الحسن لتراث الأمة ،
ورصد مراحل تطورها وإبراز ماهى عليه
من عزة ومنعة وما تتمتع به من حاضر
مرموق ، وما ينتظرها من مستقبل باهر .

وخلال الحروب الباردة والساخنة معا
كان الإعلام هو المعوان لصد أطماع الأعداء
والإيماء إلى القوى الكامنة والمدخرة لدى
الشعوب .

وقد أصبح للإعلام خبراء ، ومستشارون
وكايات جامعية متخصصة ووزارات ترصد
لها الأموال الكثيرة وشركات ومؤسسات
كبيرة تستثمر فيها الملايين من الدولارات
ويعمل بها مئات الآلاف من الفنيين
والمختصين فى مختلف الحقول ، وأصبحت
ركائزها من صحافة ، وإذاعة ، ومكتبات
وتلفزة ، وأدوات نشر مؤسسات ضخمة

ولا يغرب عن البال أن الفصحى قد أصيبت بالكثير من أدواء العُجمة نتيجة التقهقر الذى عرا تدريس هذه اللغة فى المدارس ، والمعاهد ، والجامعات ، والتدنى فى مستويات التحصيل ، مما يتطلب تلمس العلاج الناجح لذلك .

ورغم ما توافرت المجامع اللغوية مشكورة على تسهيله واشتقاقه من عبارات ... وما استحدثته من مصطلحات للتمشى مع روح هذا العصر المعجل فإن الضعف ما يزال سمة ملازمة للغة الفصحى فى الإعلام .

أما القسم الثانى : فنظراً لأن الإذاعة والتلفزة بخاصة تخاطبان جميع الطبقات التى تتكون من متعلمين وأُميين فإن الطريقة المثلى - فى رأى - هى أن تكون لبعض موادهما لغة مبسطة بعيدة عن التعقيد تكون مفهومة للمتعلم وغيره على السواء رغم ما جنحت إليه بعض أجهزة الإذاعة المرئية والمسموعة من تخصيص ما يسمى بالبرنامج الثانى لفئة الطبقات المتعلمة .

ولا أقصد بتبسيط اللغة بالنسبة لغير المتعلم الهبوط بمستواها ، ولكننى أقصد أن تكون لغة ميسرة سهلة مشتقة من

الفصحى ذاتها هدفها الارتقاء بالمفهوم العادى وصقله ويمكن أن تقدم بها المواد الترفيهية ، وما يماثلها . وربما اندرج تحت هذا المفهوم اللغة التى يجب أن يخاطب بها الطفل فى وسائل الإعلام .

وإذا كانت اللغة هى الوسيلة للإعلام فإن مضمون الإعلام ذاته يجب أن يكون مضمونا صادقاً ، فلا ينبغى أن يكون مثلاً أداة طيعة للأهواء أو تزييف حقيقة والدعوة لمبدأ هدام أو الترويج لسلعة تافهة .

إن من آفات الإعلام الجنوح إلى اصطناع منهج الكذب والتدجيل ، وإلباس الباطل ثوب الحق ، وخداع القارئ أو السامع أو المشاهد وكل أولئك أروية خَلِقة سرعان ما تتكشف للناس ، ويبدو زيفها وخوارها مما يؤثر تأثيراً بالغاً على سمعة إعلام الدولة وتخلخل الثقة به ، وانعدام مصداقيته .

ونحن نعرف مثلاً أن هناك محطات للإذاعة يؤثر السامع سماع أنبائها على أنباء سواها - وما ذلك إلا لأنها انتهجت تحرى الصدق فى بث الأنباء حتى أصبح ذلك تقليداً لها فى هذا المضمار .

فتحرى الحقائق المجردة . ورصد
الوقائع التابعة هما الأداء الصحيح للإعلام
الناجح ومهما ضاعفنا من جهود في هذا
السبيل فإنها الجهود التي تؤتي ثمارها ،
وتصيب أهدافها .

وهناك اقتراح يمكن إيلاؤه عناية خاصة
ويتلخص في حث المسؤولين في وزارات
الإعلام في الدول العربية على ضرورة
استخدام اللغة العربية الفصحى في نشرات
الأخبار وإبعاد الكلمات العامية والحوادثية
منها نهائياً فيما تقدم من مواد إعلامية
غير الإذاعتين المرئية والمسموعة كى
تكون هذه النشرات واجهة حية للغتنا
العربية .

إن هذا البحث وهو لغة الإعلام -والذى
آثرت أن أوجز القول فيه خشية الإطالة
والإملال - هو جديد الموضوع بكل تفاصيله
إذ أننا نبحث عن أمثل الطرق للوصول
إلى القارئ والسماع ، والمشاهد وفي نفس
الوقت يجب ألا تنسى ولو للحظة واحدة

أن تراثنا هو لغتنا العربية لغة القرآن الكريم
الذى أنزله الله تعالى وتعهده بحفظه ، وحديث
المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن الأنسب
دائماً أن نبحث في هذا العصر ما يعزز هذه
اللغة وقيمها ويزيد من رقعة انتشارها
ورفع مكانتها .

ولعل من بوادير الخير ما أصبحنا
نلاحظه في المؤتمرات الدولية والمحافل
العالمية من التزام مندوبي الدول العربية
وبعض الدول الإسلامية الحديث باللغة
العربية بهدف ترسيخها والتعريف بجمالها
وأصالتها وجرسها المحبب وفرضها على
مجتمعات العالم ما أمكن ذلك .

أخيراً أكرر تقديرى للزملاء الصنفوة
الفضلاء على تاطفهم بحسن الإصغاء
وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه
أنيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حسن عبد الله القرشي
عضو المجمع المراسل من السعودية

المعجم العربي الوسيط

للدكتور عدنان أنخطيب

شئت ما في الحضارة العربية الإسلامية من
ألفاظ وكلمات . ويحمل بعضها الآخر
آمال الجنوب في أن يكون ما يعنى به
« مجمع اللغة العربية » معجماً عصرياً
ينهض بالعربية السليمة ، خلواً من الحوش
المستغرب والعامى المبتذل . وفي جميع هذه
الآمال والأفكار خير للفصحى التي نريد .
غير أنني أرى أن جميع ما عرض علينا من
أفكار ومقترحات لا يمس شغاف العمل
الذي نجح مجمعنا في تحقيقه ووضع به بين
أيدي الناس . ألا وهو « المعجم الوسيط » .
وهو إنجاز هام يسجل إخراج المجمع له
في طبعات ثلاث بمدا الفخر .

لقد كان « المعجم الوسيط » منذ
صدور طبيعته الأولى سنة ١٩٦٠ م
جليسى المفضل آناء الليل وشطرا من
النهار . تشهد بهذا صفحات مجلة مجمع
دمشق ومقدمة اللجنة المشرفة على إخراج

كان مؤتمر الدورة الثالثة والخمسين
غنياً بالبحوث التي أقيمت فيه . غنياً
بالأفكار والمقترحات التي وردت في تلك
البحوث . وإذا كان الكلام على « المعجم
العربي » قد استحوذ على الغالب منها . فإن
الفكر التي جاءت على لسان الزملاء الأجلاء
إبدلت على ما يجيش في صدورهم من حب
بالغ للفصحى . ورغبة عارمة في رؤيتها تشد
ما يزاحمها من لهجات وتقضى عليها .
وكلهم يأمل في أن يقوم المجمع الموقر
بالدور الكبير في تحقيق رغباتهم .

تعد كان الوقت المخصص لمناقشة تلك
الفكر والآراء والتعليق عليها أضيق من أن
ينبغي بما تستحقه من عناية بها ومناقشة ما فيها
وإقرار الممكن منها . وخاصة لأنها كانت
وسعة مترامية الأطراف . عميقة بعيدة
الأغوار . يحمل بعضها طموح الشمال في
أن يرى « المعجم العربي » غداً سجلاً يضم

في صدر طبعته الثانية الصادرة
سنة ١٩٧٢ م ، وإننى وإن كنت ،
فيما كتبت عن « المعجم الوسيط »
أشرت إلى ما أراه نقصا يجب
إتمامه أو عيبا يجب إصلاحه ، فإن
نقدى لم يكن ليتضمن أى انتقاص
من جهود المشرفين عليه والقائمين على
إخراجه ، إنما كان النقد طلبا للإصلاح
وسعيا وراء الكمال ، خدمة للفصحى ،
وهى الهدف الأول لنا ، وكلنا خطاء .
وخير الخطائين من يعمل على إتقان
عمله .

وأنا اليوم أعرض عليكم بعض
الملاحظات حول « المعجم الوسيط »
ممهدا لها بكلمة عن أثر علوم اللسانيات
على ما يكتب عن المعجم الوسيط ،
مع وشل مما كتب .

إن ما يسمى بالعلوم اللسانية أو
باللسانيات ، علوم حديثة النشأة
ولكنها سريعة الخطوات ، دخلت
جامعات الأقطار العربية متأخرة ،
غير أنها سرعان ما اشتد ساعدها
وقوى أنصارها .

ونحن غير المختصين فى أى علم
من علوم اللسانيات . نرى أنها إن
كانت تستهدف الكشف عن أفضل
الأساليب التربوية لتعليم لغة من اللغات
أو تستهدف استخدام الرموز اللغوية
للكشف عن طبيعة السلوك البشرى
أو البحث عن الجذور الأولى للغة من
أجل مقارنتها بجذور اللغات الأخرى
لتبيان العلاقة بين اللغة ووظائف الدماغ
البشرى أو ما شاكل هذا من الأهداف
التي تغنى المعرفة أو تفيد فى تبسيط
قواعد اللغة أو تسهل اتقانها ، فلها
منا كل تقدير وتشجيع .

أما إن كان من أهداف اللسانيات
تطويع العربية للمبادئ المستنبطة من
دراسات لغات أجنبية ، فإننا نرفض
ذلك ما دام يتنافى مع مميزات العربية
وقواعدها التي تختلف عن أصول وقواعد
اللغات الأجنبية .

وكل من يظن أن بإمكانه تطويع
العربية إلى أساليب مستنبطة من قواعد
تقبلها اللغات الأجنبية ، خارج الحدود
التي يقرها مجمع اللغة العربية يظن

خطأ ، ولو ادعى أنه يعمل على تأهيل العربية للانتشار الواسع . أو تسهيل ترويضها على التنميط (التبرمج) والإدخال في الحاسبات الإلكترونية أو في (بنوك) المعلومات أو المصطلحات العلمية والفنية حتى تماشى لغات العالم المتحضر .

أقول هذا مدفوعاً بما قرأت ولمست من نهضة علمية فائقة قامت في القطر التونسي الشقيق ، وكان نصيب العربية منها كبيراً ، والقسم الأعظم من هذا النصيب انصب على « المعجم العربي » .

إن نتمنا من شباب تونس اللامعين أمضوا شطراً من حياتهم في أوربة وعلى الغالب في فرنسة ، وتخصصوا باللسانيات التي استولت عليهم جدتها وطرافتها ، ففكروا بأن النهوض بالعربية يمكن أن يتم عن طريقها ، فكونوا حلقة منهم باسم « جمعية المعجمية العربية بتونس » وكان من أهم إنجازاتها

إخراج « مجلة المعجمية » التي صدر العدد الثاني منها في أواخر عام ١٩٨٦ ، كما قامت الجمعية بعقد ندوات علمية

وانتهت طباعة وقائع ندوتها الأولى التي عولج فيها « إسهام التونسيين في إثراء المعجم العربي » كما نشرت عدداً من بحوث أفرادها ومؤلفاتهم . إن اللولب في هذه النهضة وكاتب أكثر بحوثها طرافة هو صديقي وزميلنا الدكتور محمد رشاد الحمزاوي .

وأهم ما يجلب الانتباه في تلك البحوث والمؤلفات الروح العالية التي سادت فيها بدافع خدمة اللغة العربية وإثراء معجمها العلمي لتساير النهضة العلمية الحديثة في العالم ، غير أن اللسانيات بعجزها وبجبرها كانت السائدة فيها .

يقدم زميلنا الدكتور الحمزاوي عمله في كتابه (من قضايا المعجم العربي) « بيروت ١٩٨٦ بقوله : نعتد فيه بالخصوص على معطيات من اللسانيات الحديثة فاستندنا إليها لنقرأ المعجم القديم أو الحديث قراءة جديدة لاستقراء محاولاته الجريئة تنظيراً وتطبيقاً . . .)

وبعد أن درس بعض المعجمات القديمة في ضوء النظريات الحديثة ، أتى على ذكر معاجم العصر ، لبيان منزلتها من الدراسات اللسانية ، وبعد تعريفه المعجم اللغوي وكيف يتميز عن المعجم اللغوي الموسوعي الذي يستوعب أسماء الأعلام والبلدان ، قال : « . . . وبهذا الاعتبار تبين لنا أن الموسوعة الرائجة في العصر الحديث هي دائرة المعارف العربية للبستاني » وإن لم نكتمل فقط $\frac{1}{2}$ حرف الألف ، وإن المعجم الموسوعي العربي المشهور هو « المنجد » وإن كنا نحترز في هذا الرأي ، وإن المعجم اللغوي الجديد هو « المعجم الوسيط » . . .

ثم يقارن الدكتور الحمزاوي بين الوسيط والمنجد ويقول : (إن المعاجم العربية الحديثة ، لا سيما المنجد والمعجم الوسيط ، يعتبران أنهما وجهان إلى الأدباء والمثقفين والطلاب . . . »

وبعد أن بين الدكتور الحمزاوي منهج كل واحد من المعجمين قال : « . . . لا شك أن المعجم الوسيط قد جدد كثيرا بالنسبة « للمنجد » ، فيما

سنراه ، في مناسبات عديدة ، وصحيح أنه يستمد قوته من مجمع عربي ، وهو مجمع اللغة العربية الذي يدعو إلى إجماع لغوي عربي ، إلا أن هذا الموقف لا يخلو من مذهبية تعتبر أن وضع المعجم من حق العرب المسلمين ، وليست من حق العرب المسيحيين لأن « العربية لا تنصر . قوله قالها الشميني وردد معناها المعجم الوسيط في مقدمته » . (كذا) ! وبعد الاستشهاد بأمثلة ضعيفة الدلالة على ما يراد منها .

وبعد تفصيل الكلام على المعجم من حيث النظام اللغوي ووضع الكلمة في المعجم ومقارنة التعريفات في كل من الوسيط والمنجد واستقراء دلالة كل ذلك . كاد المنجد أن يحرز قصب السبق لولا أنه تشر أمام المصطلحات التي حواها المعجم الوسيط .

وفي ندوة أقامتها جمعية المجمع بتونس لتفصيل الكلام عن إسهام

التونسيين في إثراء المعجم العربى .
قال وزير مسؤول يثنى على الجمعية :
(. . .) هى الجمعية الأولى من نوعها
فى العالم العربى ، تؤسس فى وقت
تزايد فيه الحاجة إلى العناية
بقضايا اللغة العربية التى ما انفكت
تواجه التحديات الكبيرة ، ولا شك
أن من أهم مجالات اللغة مجال المعجمية .
ثم تكلم السيد الوزير عن تيار تأليف
المعاجم فى الأقطار العربية وعن حركة
الإحياء اللغوى . فانتهى إلى أن قال :
(. . .) ولكنه إحياء متعثر لأن المحدثين
قد زكّنوا إلى تقليد القدامى فتسارعوا
إلى مناهجهم القديمة يطبقونها وإلى
معاجمهم القديمة ينتقون من مادتها انتقاء لم
يخضع فى معظم الأحيان لل منهجية العلمية
ولمقتضيات العصر الحديث . فكانت
المعاجم الحديثة لذلك فى معظمها صورا
مصغرة للمعاجم القديمة فيها نفس
نقائصها وعيوبها . . .) ولم يكتف
الوزير الذى كان فى عهد غير مسؤولا
بما قال ، بل أخذ يتحدث عن سبب
تأخر المنهجية العلمية عند العرب
قائلا : (. . .) هو أن نظرة العرب .

حتى فى القديم ، إلى اللغة العربية هى
نظرة تقديسية تعتبر أن ما وصلته اللغة
العربية إنما هو شيء كامل لم يخضع إلى
التطور بالمعنى الشامل . . .) !
أنا لا أستغرب هذا الكلام من وزير
مسؤول كان فى عهد سادت فيه عند
كثير من المثقفين قوله : « كن تونسيا
وتكلم بئى لغة شئت » (انظر تحطيم
هذه القولة من قبل الزميل محمد
أبو القاسم كرو فى مجلة العمل ١٩٨٧) .
أنا لا أزعم أن أحدا من علماء
اللسانيات تجرأ على مس قدسية القرآن
الكريم . غير أن مفسرى الكتاب
العزیز لم ينجوا من بحوث أولئك
العلماء ودراساتهم . وحتى صديقنا
الحمزاوى يختتم كتابه المعنون (العربية
والحدثة بيروت ١٩٨٦) بقوله :
(. . .) وفى النهاية لست أعلم ما هو
حظنا من المساهمة فى الهيئات والمؤسسات
المختصة فى البحث عن أحسن الطرق
لتطبيق النظريات بغية تعليم اللغات . . .)
إلى أن يقول : (. . .) هذا فى عجلة
تصورى لقضية تطبيق مبادئ النظريات
اللغوية الحديثة على العربية وتدريسها :

على أنه ليس كل ما كتب أو يكتب من نقد للمعجم الوسيط يعد لغواً لا قيمة له ، بل إن ما فيه هو حق ، ويجدر باللجنة المشرفة على المعجم أن تتدارسه حتى إذا ما وجدته صحيحاً ، أقرت الأخذ به في الطبعة التالية ، وهذا يبقى المعجم الوسيط متجدداً يتكامل مع الزمن ، شأن معجمات اللغات الأجنبية الكبرى .

ولكن لابد للمعجم الوسيط من بعض الموظفين يكون شغلهم الشاغل استقصاء ما يكتب عن المعجم في مختلف البلاد يجمعونه ويصنفونه تمهيداً لدراسته من قبل العلماء المشرفين على إصدار الطبعة الجديدة منه .

وأخيراً سأعرض عليكم بعض المقترحات التي أجد الأخذ بها صلاحاً واقتراباً من الكمال ، تتضمنها النبد الأربع التالية

١ - لفظة تبحث عن هوية :

كان المجتمعون في ندوة علمية بصدد انتخاب لجان تتقاسم العمل الموكول إليهم ، فإذا بأحدهم يسأل : هل لفظة « لجنة » عربية التجار ؟ فتصدى

آخر ورد عليه قائلاً : الكلمة ذات جذر صحيح معانيه عديدة ، ولفظة « لجنة » تدل على معنى اصطلاحى يطابق المعنى الذى يهدف الانتخاب إليه وأردف لدعم عربية الكلمة ، قائلاً : الكلمة كثيراً ما ترد في جلسات مجامع اللغة العربية وتدون في محاضرها ، وكل واحد منها لديه أكثر من لجنة .

فانبرى السائل الأول يقول : ما بال المعجم الوسيط إذن يصف الكلمة بأنها (مولدة) ، لأنها لو كانت فصيححة صحيحة لرفع رمز التوليد من التعريف بها أو استبدله على الأقل ، برمز يدل على أن المجمع قد أقرها ؟

هذا الحوار دفعنى للعودة إلى المعجمات انظر فيما ذكرته عن الكلمة فوصلت إلى ما يلى : إن أشمل ما دونته المعاجم جاءها في التاج شرحاً لما ذكره الفيروز آبادى في القاموس ، وزبدة ما في التاج هى .

(اللجن : اللحن) كذا في النسخ والصواب الحبس ، وكل ما حبس في الماء فقد لجن . . و (اللجنة) بالفتح (الجماعة يجتمعون في الأمر ويرضونه . .)

وقال الشيخ أحمد صاحب (متن اللغة)
مانصه .

واللجنة : الجماعة يجتمعون في
الأمر ويرضونه « وضبطها صاحب
الكلمة بضم اللام » وتستعمل في
فريق من المجلس يختص فيه البحث
ببعض أعماله « استعمال مولد حديث
عثماني » . وقد أطلقها مجمع دار
العلوم على ما يعرف (بالقومسيون)
إ . ه .

ومن الطريف أن تعريف الكلمة جاء
في الجزء السادس من كتاب (التكملة
والذيل والصلة) للصاغاني الذي أخرجه
مجمعنا الموقر سنة ١٩٧٩ بتحقيق الأستاذ
محمد أبو الفضل إبراهيم رحمه الله
ومراجعة أستاذنا الجليل الدكتور علام .
بالنص الآتي :

اللجنة : الجماعة من القوم يجتمعون في
الأمر ويروضونه (أو يروضونه فالكلمة
غير مشكولة) .

ولم يعلق المحقق على التعريف بغير
الإشارة إلى أنه جاء في نسخ أخرى
مخطوطة (ويرضونه) وهل في معاجم
اللغة عن راض الأمر يروضه رياضة

وروضه ترويضاً غير معنى ذلك ورواد ،
وهذا مهام اللجان غير تدليل صعب
ما يعرض عليها وإروائه بالبحث والدراسة
واستخلاص النتائج ؟

* * *

٢ - كلمة يجب إثباتها في المعجم :

كلمة حاخام غير عربية . تدل على
رتبة أو منصب ديني لدى الموسويين .
دخلت العربية بحكم وجود طائفة يهودية
في أكثر الأقطار العربية ، غير أن
المعجم الوسيط لم يوردها لأنه غير
ملتزم بإيراد أمثالها من الدخيل ، وقد
استحسننت له في النظرات التي نشرتها
في عقد الستينيات إثباتها ، ولكنه لم
يفعل في طبعتيه الثانية والثالثة . وآمل
اليوم أن يشبثها في طبعته الرابعة .
لأنها دخلت في لغتنا المحكية والمقروءة
والمسموعة فحسب . بل لأنها كلمة دخلت
حرم المجمع وأثبتت في محاضر وفي
كتب نشرها ، يوم كان أحد أعضائه
المؤسسين يحمل تلك الرتبة وقد أثبتت
في ترجمته جملة (فأختير حاخاماً المطائفة
الموسوية في بلاد الدولة العثمانية) .

٣ - العامية مقبولة بشروط :

أثيرت في الدورة الماضية مسألة احتواء المعجم الوسيط بعض الكلمات العامية ، وأنا لا أرى ضررا في أن يثبت المعجم أى كلمة عامية دارجة على ألسنة الناس ، شريطة النص على عاميتها ، ومن المستحسن أن يشار في تعريفها إلى الكلمة الفصيحة التى يمكن أن تحل محلها ، أما أن يغفل النص على عاميتها فهذا يؤذى العربية ، فكيف إذا رافق التعريف بها ما يضعف هويتها ، كما حدث في تعريف كلمة (الشُّبُورَة) فقد نص الوسيط على أنها : الضباب في الصباح ، وألحق بالتعريف قوله : (محدثة) مما أدى إلى تسرب الكلمة إلى أكثر من قطر عربى على لسان بعض المذيعين وعلى أقلام بعض المحررين . وإذا كان تعريف الكلمة بضمها الضباب غير واف فتمكن الإشارة إلى كلمات كثيرة عربية صحيحة مثل (الهَيْدَب والدَّجْن والحَبَى والمُسَيْف) .

٤ - تماثل التعريفات سمة المعجم الحديث :

من المؤلف أن يكون الأسلوب الذى يسود فى أى معجم واحدا ، سواء أألفه شخص واحد ، أم اشترك فى تأليفه أكثر

من واحد لأن المفترض فيهم وضع قواعد مسبقة من أجل التحرير تماثل فيها تعريفات الكلمات المتشابهة : وهذا يتطلب من متطلبات عديدة فى المعاجم الحديثة فى الدول الراقية .

وسنختار سبع كلمات من المنحوتات الخفيفة الجرس المعروفة فى المعجم الوسيط لنرى إلى أى حد تتفاوت فى تعريفاتها :

١ - بسمَل بسملة : قال : بسم الله الرحمن الرحيم أو كتبها .

٢ - حسبل : قال حسبي الله (منحوت من : حسبي الله) .

٣ - حمدل : قال : الحمد لله (منحوت من الجملة) .

٤ - حوقل فلان ، قال : لاحول ولا قوة إلا بالله .

٥ - حولق حوَلقة : أى قال : لاحول ولا قوة إلا بالله (منحوته) .

٦ - حيعل المؤذن : قال حى على الصلاة .

٧ - سبجل فلان : قال : سببحان الله .

عدنان الخطيب

عضو المجمع بين سوروية

قصيدة "أخى"

للدكتور حسن على إبراهيم

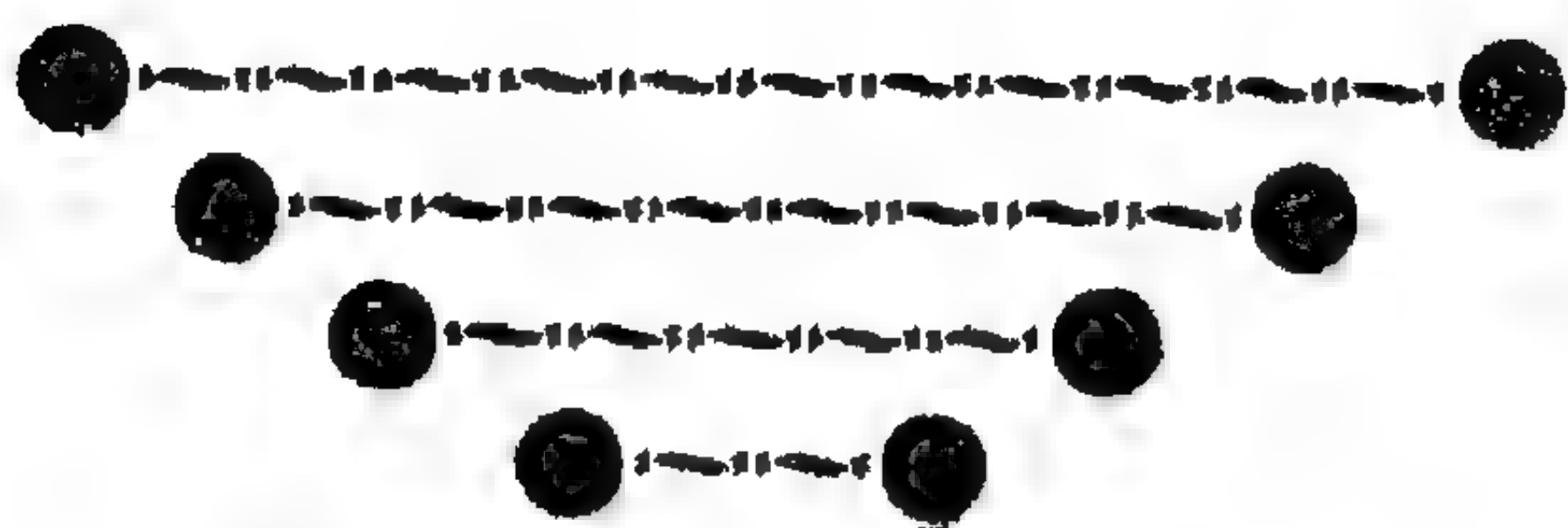
ما كنت أحسب أنى سوف أفقده
خلال عمري إذ قد كنت أكبره
مشيئة الله كل الأمر فى يده
مصر-يركل ام-رى مهما علا وسما
قد سرت أمشى حزيناً فى جنازته
جئت الحياة غريباً لست أعرفها
عشنا الطفولة لا هم يشاغلنا
كنا شقيقين بل خِلين لفهما
ما كان يحزننى كم كان يحزنه
وحين آن أوان الدرس ألحقنا
خفت الطريق وقد سرنا للمدرسة
ما كان خطوا لدرس بل لمصطخب
جلست فى الدرس جنبى لصق جانبيه
إلفان فى الدرس والتحصيل لفهما
دراسة الطب تضى من يحاولها
خضنا الحياة معاً والطب يجمعنا
كنا قنوعين فى التطبيب نتقنه

ولا تخيأت أن الدهر مُرصده
والموت ليس له سن تحدده
يدبر السكون بالسلطان واحده
شئ من الذ-ور ثم الرمس مرقده
أمام عيني ماضٍ سوف أسرده
وبعد حولٍ تولّى كان مولده
فالعيش أنعمه والدهر أرغده
ودُّ وحبٌ ولا أضغان تفسده
وما سعدت به قد كان يسعده
أبى بمدرسة العلم نقصده
وأمسكت بيدي من خوفه يده
فى ذى الحياة ودرس سوف نشهده
وجاءنا العلم ماضيه ووافده
حب الدراسة والتصميم أصلده
ومن بغى الطب يوماً فهو يجهده
كلُّ له فى طريق الطب منشده
فمن جرى خلف مال فهو فاقده

(*) القيت القصيدة فى الجلسة الثالثة ليوم الأربعاء ٢٤ / ٢ / ١٩٨٨ م .

وكم لحانا زميل في مكاسينا
الطب للناس لا للتجبر منفعة
كان الأمين على مرضاه كلهم
خمسون ألفاً من الأطفال شدهم
كان الطبيب وكان العلم مركبه
لاقي الأمرين من حقد ومن حسد
اليتم كان قذى عينيه يدفعه
رعى اليتامى وأواههم بمنزله
غدا أطباء أو أرباب هندسة
وكم شكالى مكر الناس جلهم
هنا زميل يرى ودًا ويطعننى
طبع الخيانة والإنسان قد جمع
زرعت فاكهة تحلو لأجنبيها
قدمت خيراً لكل الناس مافعلوا
ما كان يحسب سنا سوف يجهد
قد زرتة وعيون الأهل دامعة
قد كان يعلم أن الحين داهمه
عليك رحمة ربى يا على فتم

كيف التواضع في كسب نقيده
ولا المريض بما ينبغي تصديه
عناية الله رب العرش ترشده
إلى الحياة من الأرحام مقوده
فإنه فى مجال العلم رائده
وكل مرة سما يزداد حسده
فإن تفتح باب الفقر يوصده
وقد أتيح لهم فى العلم جوده
وكلهم لجميل الصنع حامده
وقوله كان لى دوماً يردده
وذاك خل حقود القلب أسوده
فلا يغرك من خل تودده
لماتطيب فإذا بالصاب أحصده
كل بنكر أتى كالنصل يغمده
من سار فى ثقل الأيام تخمده
حول الفراش وداء الموت يقعده
فالموت نبع وكل الخلق وارده
والله يرعى الذى قد ظل يعيده



فنسة الاعلام

للكتور تمام حسان

الإيقاع فيعين الإيقاع على جذب انتباه السامع إليها وتأثره بها . ذلك بأن مناط الإيقاع في الكلام إنما هو النبر وكميات الجمل . أما النبر فيكمن في إظهار جزء من النطق على ما عداه وذلك بواسطة تسليط قدر من النفس على الأوتار الصوتية في نطق مقطع من مقاطع الكلمة أكبر مما يكون مسلطاً على الأوتار الصوتية في أثناء نطق المقاطع الأخرى . فإذا قلنا مثلاً : « مجمع اللغة العربية » فالنبر على أول مقاطع المضاف (مـ ج) وعلى ضمة اللام من « اللغة » وعلى المقطع (بـي) من « العربية » فإذا انتظمت المسافات بين نبر ونبر أو تقاربت كان من نتائج انتظامها أو تقاربها ما يعرف باسم الإيقاع مثال انتظامها تطابق المسافات في قولنا :
* من تأنى نال ما تمنى *

لعل أوضح ما في الإعلام أنه دعوة إلى قبول أمر بعينه ومحاولة للإقناع بصدق دعوى لم يتم على صدقها دليل سابق . من أجل هذه الدعوة وتلك الدعوى تصماغ اللغة بكمييات خاصة في تراكيبيها وأساليبيها وفي أفكارها ومعانيها وفي بوحها وكتانها وفي تصريحها وتلمييحها وإيحائها بما لم يقل وفي مخاطبتها للعقل حيناً والعاطفة حيناً آخر . وسنسلم إماماً رقيقاً فيما يلي بشيء من خصائص لغة الإعلام من حيث :

التراكيب - الأسلوب - الأفكار -
طابع الاتصال الإعلاني - تسخير العلم والتكنولوجيا والفن ... الإعلام المنطوق والإعلام المكتوب - الحرب الباردة .

إن لغة الإعلام بحكم وظيفتها والغاية منها تفضل الجمل البسيطة السريعة إلى الاستيعاب والفهم والتي تأذن بقدر من

إذ نجد بين كل مقطعين وقع النبر
عليهما مقطعاً واحداً لم يقع عليه النبر
هكذا :

من - ت - أن - نا - نا - ل - ما -
ت - من - نا

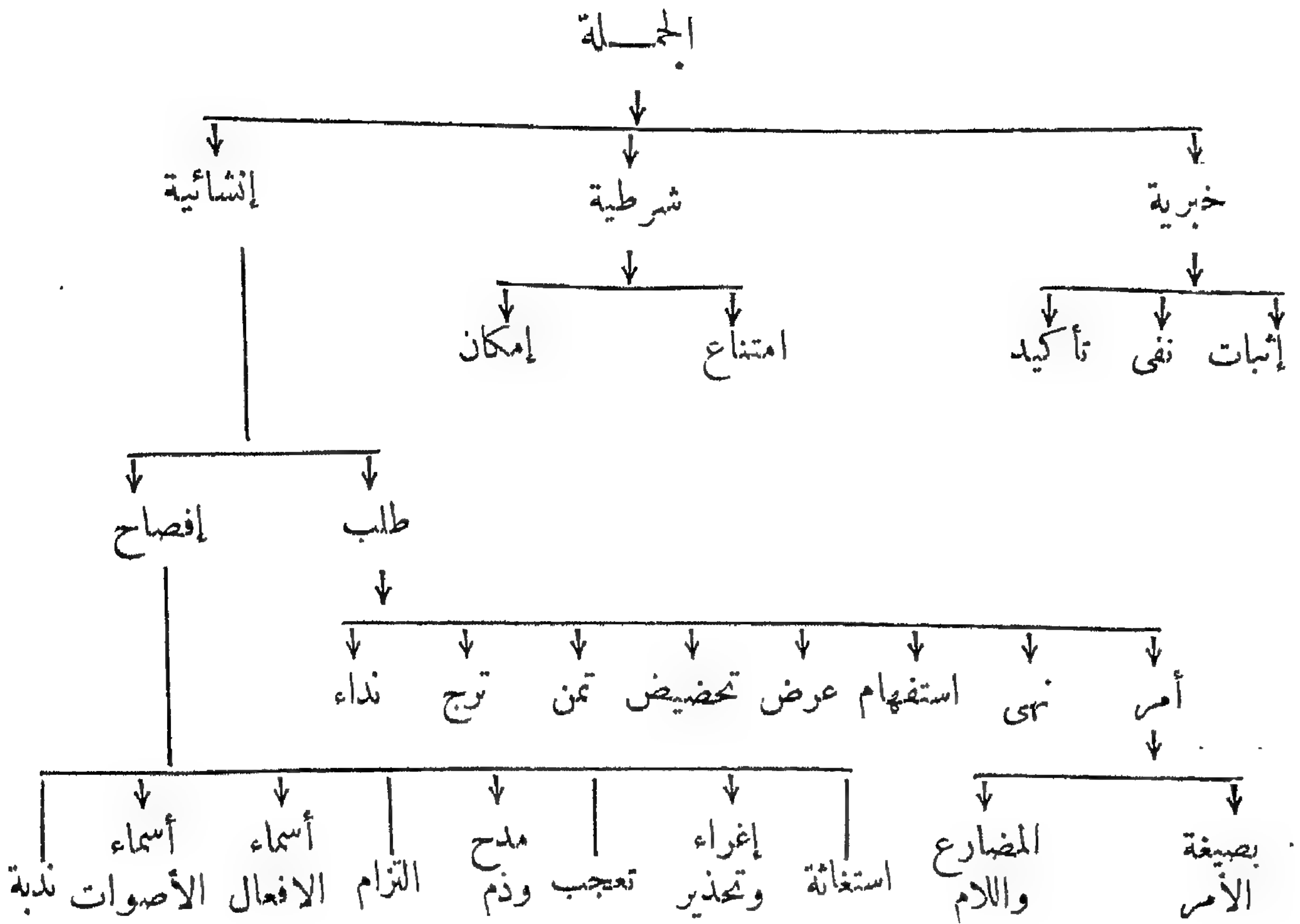
وليس كل قول يجرى على هذا النحو
الدقيق الانتظام إذ قد تكون المسافة بين
النبرين مقطعين أو ثلاثة ثم يبقى الإيقاع
إيقاعاً ولنا على ذلك شاهد من زحافات
الشعر وعمله التي لا تطعن في كونه شعراً
موزوناً على رغم ما يخالفه من اختلاف
بين أطراد النظرية وتباين التطبيق .
انظر إلى اختلاف المسافات وبقاء الإيقاع
في قوله تعالى : « لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ
أَلْفِ شَهْرٍ » هكذا :

ل - ل - تل - قد - رخي - رن - من -
أل - ف - شهر

يضاف إلى هذا الإيقاع المقطعي إيقاع

آخر تركيبى يتمثل في قصر الجمل ،
وبساطتها إذ تبدو الجملة خفيفة على
اللسان أثيرة في الأذان لا ترسف في قيود
الموصولات وصلاتها الطويلة ولا في الجمل
الحالية عند إمكان الحال المفردة ولا في
الصفات المركبة عند إمكان الوصف المفرد
ولا في كثرة الظروف والمجرورات المتعلقة
بالفظ واحد وهلم جراً مما يصلح لخطاب
المتحريين في استعمال اللغة لا لخطاب
سواد الشعوب . ولا شك أن لغة الإعلام
إنما هي وسيلة الاتصال بسواد الشعوب .

والجملة السائدة في لغة الإعلام هي
الجملة الخبرية - يؤخذ ذلك أولاً من
ملاحظة طبيعة الاتعمال الإعلامية ويؤخذ
ثانياً من تأمل لفظ « الإعلام » وما يحمله
من دلالة . فالإعلام « نقل المعلوم إلى
غير العالم به » فإذا تأملنا أنواع الجملة
وجدناها على النحو التالي :



مختلفة للوصول إلى أثر مطلوب فلا قيد عليه في اختيار نوع الجملة الذي يختار.

ولغة الإعلام كلغة السياسة تفضل في تراكيبها عدم التورط كلما كان ذلك مستحباً ومن ثم تستغنى في الكثير من الحالات بأفعال المطاوعة والبناء للمجهول عن التورط في ذكر من أوقع الحدث فالبناء « ينهدم » ولكن لا داعي للذكر من هدمه والمعاناة « تتصل » ولا يذكر من وصلها وكان سبباً لها واللثام « أميط » عن معلومات بعينها دون ذكر لمن أماطه ، ولعل الفارق بين المطاوع والمبنى للمجهول

فالجملة الخبرية أصلح تلك الأنواع لنقل المعلومات ، أما ما عداها فإن الجملة الطلبية هي الأصلح في مقام الحشد والتحريض في الأزمات القومية بالدعوة إلى المشاركة في الجهود القومية على حين نجد الجمل الإفصاحية تسود في الشعر وفنون الأدب الأخرى . والمقصود بلفظ « تسود » أن النوع المذكور يرد في الكلام أكثر مما يرد غيره من الأنواع وليس المقصود أنه يستقل بالورود . ذلك بأن مطالب القول قد تختلف بين لحظة وأخرى والمتكلم قد يصرف كلامه في اتجاهات

أن المطاوع لا يصاغ من الفعل إلا أن يكون للمفعول قدرة على رد الحدث أو مقاومة وقوعه ومن ثم لا يقال : « أنضرب فلان » ولا « انلعبت المباراة » ولا « انقتل القتييل » لأن الضرب إذا وقع فقد وقع ولأن المباراة لا وجود لها معيناً فتقاوم اللعب ، ولأن القتييل لا يرد عن نفسه القتل . أما المبنى للمجهول فصالح في كل حالة وإن افتقر إلى الجار والمجرور كما في « أثنى على فلان » و « استقيم على الطريق » . وهكذا تجد لغة الإعلام مهرباً

من التورط بواسطة إيراد عبارة « مثل انفجرت القنبلة » دون القول بأنها « فجرها فلان » ، وفي القول بأنه « علم أن بعض العناصر تسعى إلى كذا » دون ذكر مصدر المعلومات ولا من بلغة العلم بها .

ولغة الإعلام مولعة باختيار الصفات إيجاباً وسلباً لبعض الموصوفات سعياً إلى ترسيخ اعتقاد هذه الصفات في أذهان سواد الناس لاحظ مثلاً عبارات مثل : « الشعب النبيل » و « الأرض الطاهرة » و « الهجوم الشرس » و « العهد البائد » و « الطبقات الكادحة » و « التحكم

البغيض » و « المظاهرات الصاخبة » و « الشهداء الأبرار » و « الحروب البطاحنة » و « الجنود الأبطال » وهلم جراً فإذا لصقت هذه الصفات بموصوفاتها في لغة سواد الشعب كان لها من القيمة الإقناعية ما يكون عند المشاهدة لأنها إذا فاتها أن تدرك بالعين فقد أحلت الأذن محل العين سمعاً وحل محلها اللسان نطقاً وما ظنك بجارحتين تتضافران على أداء ما تقوم به جارحة واحدة ؟

ومن هذا القبيل أيضاً ما نلمحه في لغة الإعلام من الإحالة إلى أمور غير مسلمة أو إلى وقائع ذات صلة ضعيفة بالموقف الحاضر فمن الإحالة إلى غير المسلمات أن يقول القائل رداً على سؤال اتجه إليه في مؤتمر صحفى : « إن موقفنا واضح من هذه القضية » ويكتفى بهذه العبارة عن شرح الموقف أو يحيل السائل إلى بيان نشر أو أذيع في ظرف سابق ومن الإحالة إلى وقائع ضعيفة الصلة بالموقف الحاضر أن يجرى قياً ما بين موقفه السلبي الحاضر وموقف إيجابى سابق من قضية أخرى محتملاً بالإيجاب السابق من مغبة السلب

الحاضر . ويمكن أن نسمى هذا المسلك
في لغة الإعلام باسم « الهروب » إذا
لم نسمه باسم آخر هو « التضليل » .
وقديماً اعترض بعض الناس على تعريف
اللغة بأنها « وسيلة لنقل الأفكار » ،
فقال : « ما أبعد هذا التعريف عن تحديد
طبيعة اللغة لأن اللغة في أكثر المناسبات
تمثل وسيلة لإخفاء الأفكار » ، وإذا
علمنا أن صاحب هذا الاعتراض هو
« تاليران » فهمنا دافعه إلى الاعتراض
المذكور الذي لا يأتي إلا من رجل تمرس
بالسياسة ودروبها الملتوية .

وقد تتجه لغة الإعلام عند الضرورة إلى
التراكيب التي تحتل أكثر من معنى لتصل
بها إلى لبس مقصود أو تعمية أو مغالطة .
والمعروف أن كل لغة من لغات العالم
تعرف من التراكيب ما يأذن لللبس أن
يقع . وفي لغتنا العربية شيء غير يسير
من هذه التراكيب كما يبدو في الصور
الآتية :

١- المصدر المفرد المتعدي نحو : « أنت
أولى بالإنصاف » إذ لا يدرى ما إذا كان
المقصود « أن تنصف » أو « أن تنصف »

٢- المصدر المضاف نحو « زيارة
الأصدقاء تسر النفس » إذ يمكن أن
يكون الزائر هو المتكلم أو الأصدقاء .

٣- الصفة بعد التركيب الإضافي
نحو « أعجبت بدار الكتب المصرية » ،
فهل المصرية هي الدار أو الكتب ؟ .

٤- الحال عند تعدد ما يصلح لها نحو :
« غادرته غاضباً » فمن الغاضب ؟ الفاعل
أم المفعول ؟

٥- الخبر والإنشاء نحو : « بارك الله
في زيد » فهل ذلك إخبار عنه أو دعاء له ؟

٦- تعدد احتمالات عود الضمير نحو :
« أخبر زيد عمراً أن أباه قادم » لا يدرى
لمن الأب ؟ وكذلك : « رجا التلميذ
معلمه أن يعيد قراءة الدرس » فأيهما
سيكون القارئ ؟

٧- احتمالات معنى « ما » نحو :
« ما أوصلك لأهلك » لا يدرى إن كان
المقصود الاستفهام أو التعجب .

٨- العطف على المتضاميين نحو :
« ذهب إلى أبناء زيد وعمرو » هل عطف
عمرو على الأبناء أو على زيد ؟

٩- احتمالات معنى اللام نجو :

« اشتريت ضيعة لزيد » هل اشتراها من أجل زيد أو من زيد ؟

١٠- احتمالات تعليق الجار والمجرور

نحو : « مات زيد مجاهدًا في سبيل وطنه » هل مات في سبيل وطنه أو كان مجاهدًا في سبيل وطنه ؟

١١- احتمال المفعولية والظرفية نحو :

« أحببت يوم الجمعة » فهل أحب اليوم أو أحب في اليوم ؟

١٢- احتمال المفعولية والمصاحبة نحو :

« أحببت سلمى وقدم الربيع » فهل وقع الحب على قدم الربيع أو في قدم الربيع .

يمثل هذه التراكيب أيضًا تستطيع لغة الإعلام أن تتفادى الوضوح المؤدى إلى التورط هرباً إلى اللبس والتلاعب بالعبارات وكلنا سمع عن عبارة قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وما أثاره تنكير لفظ « أراض » في الترجمة العربية من لبس إ أدى إلى إجهاض القرار نفسه وحرمانه من طاقة حل المشكلة التي صيغ من أجلها .

ولغة الإعلام تخاطب سواد الشعب

ومن ثم كان عليها أن تتوخى بعض

المعايير في أسلوبها حتى تكون مفهومة

ومؤثرة وأوضح هذه المعايير البساطة :

والتكرار . فأما البساطة فهي البعد عن

التأنيق في العبارات وعن الأساليب البيانية

البعيدة التناول بحيث يستطيع كل من

سمع العبارة أن يستوعب مضمونها أو أن

يستوعب منها مضمونها ما (إذ ليس من

شأن السامع أن يفهم دائماً ما أراد

المتكلم على وجهه المطلوب) ، لأن عمل

المتكلم في برمجة صياغة العبارة يختلف

عن عمل السامع في تحليلها فالخطان غير

متوازيين ولا يلزم من وحدة العبارة أن

ننتهي إلى وحدة الفهم . والواضح أن

تباين الأفهام مع العبارات البسيطة أقل

منه مع العبارات المنمقة وهو مع الأسلوب

الحقيقي أقل منه مع الأساليب المجازية .

وهكذا تصبح البساطة مطلباً لا تسامح في

شأنه من مطالب لغة الإعلام .

ومن الثابت أن التكرار والإلحاح على

العبارة ذو أثر بين في اعتقاد صدقها

حتى عندما يكون من البين أنها تخالف

المنطق وطبائع الأشياء . ولو أن إنساناً مستقيم التفكير ألحت على سمعه أنباء الجن والشیاطین وشطحات الصوفية وأهل الخطوة منهم كدعوى وجود ضريحيين لشخص واحد في مكانين متباعدين أو أن فلاناً يجد رزقه في الخلوة تحت السجادة كل يوم لانتهى بآثر التكرار والإلحاح على هذه الدعاوى إلى اعتقاده إياها . والتكرار من حيل الإعلام الإسرائيلي المؤثرة . لقد عمدت إسرائيل إلى تسمية الأراضى العربية المحتلة باسم « الأراضى المدارة » حتى تبعتها الإعلام الغربى في هذه التسمية ثم تخفف الإعلام الإسرائيلي من الصفة واقتصر على استعمال الموصوف حتى أصبحت الأراضى العربية المحتلة تعرف في الغرب باسم « الأراضى » فقط . ومثل ذلك أنها تسمى الفلسطينيين الذين لم يهاجروا من رقعتها قبل ١٩٦٧ م باسم « العرب الإسرائيليین » تجنباً لذكر فلسطين أو الفلسطينيين وتبعتها الإعلام الغربى في ذلك بتأثير التكرار والإلحاح في التكرار ومن ذلك أيضاً أن تسمى عدوانها حرباً وقائية وهكذا .

ولغة الإعلام تصطنع من أساليب المداورة والمغالطة ما تستطيع به أن تطمس ما لا ينفعها من الحقائق . فقد تعتمد إلى ما يعرف بتسريب الأخبار الكاذبة بعد أن تحسن صوغها وتتمكن اختلاقها لتكون صالحة للتصديق . وقد تفعل ذلك إيجاباً بدعوى حدوث مضمون الخبر أو سلباً بنفى وقوعه لتشير بالنفى دواعى الإثبات . فلقد يحدث أن تريد دولة تخويف دولة أخرى مجاورة تكن لها العداوة فيكون سبيلها إلى ذلك أحد أمرين : فإما أن تعمل على تسريب خبر يفيد أن عندها سلاحاً سرياً كالقنبلة الذرية أو الغازات السامة ... إلخ . وإما أن تنفى هذا الخبر وإن لم يقله قبل النفى قائل وذلك أن تضيع في وسائل إعلامها كلاماً مضمونه أن بعض الجهات زعمت أن الدولة المعنية تمتلك السلاح الفلانى وقد صرح مسئول بأن هذا الخبر غير دقيق . فحين يرمى الخبر بعدم الدقة يثبت له الصديق وإن انتفت الدقة .

وكذلك تعتمد لغة الإعلام أحياناً إلى المغالطة كالذى تفعله إسرائيل إذ تنكل

بالشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة
بدعوى الحفاظ على الأمن فإذا سمع الناس
أو قرأوا أن إسرائيل تسعى إلى حفظ
الأمن لم يتساءلوا عن الأمن لمن يكون؟
أهو أمن الغاصب المعتدى أم أمن المقهور
المعتدى عليه وإذا لم يكن هناك فحصر
للدعوى على هذا النحو فلا بد أن يصدق
الناس الإعلام الإسرائيلي ومثل ذلك
مانراه من أن إسرائيل تسمى الضفة
الغربية للأردن « يهودا والسامرة » ،
وماتدعيه بتلفيق الحجج من أن طابا
تدخل في حدود إقليم النقب ولعل أكبر
أكذوبة إسرائيلية هي دعوى أن إسرائيل
دولة ديمقراطية وهي دعوى للتغطية على
حقيقة أنها دولة عنصرية .

ومن وسائل لغة الإعلام رواية مايقوله
الآخرون عن الجهة صاحبة الإعلام وتبالغ
بعض الجهات في ذلك حتى يأتى إعلامها
أحياناً بنتائج عكسية . فمن المقبول
مثلاً أن يقال : إن المتحدث الرسمي
لدولة (ب) قد أثنى على سياسة دولة (أ) -
أو أن الضيف العظيم الذى يزور دولة (أ)
قد أثنى على ما شاهدته من مظاهر التقدم .

ولكن دولة (أ) تهبط بمستوى أهميتها
حين تذيع أن فلاناً الموظف بإدارة تحقيق
الشخصية في دولة (ب) قد أثنى على
طرق المحافظة على الأمن في دولة (أ)
أو أن الشيخ فلاناً صاحب معهد تحفيظ
القرآن في (ب) قد أثنى على المناهج
التعليمية في (أ) .

ولقد توحى لغة الإعلام أو توى ،
أو تعرض . فلقد توحى بالتعليق على
مناورة بالذخيرة الحية وبدعوى نجاح
المناورة وتحقيق أغراضها بأن الدولة
مستعدة لمختلف الاحتمالات . ولقد توى
بإشارة خفية إلى مساعدة قدمتها لدولة
[أخرى في أزمة عارضة إلى أنها دولة خيرة
ذات علاقات حسنة بالدول الأخرى وقد
تعهد إلى التعريض بدول أخرى تقصر
دون حفظها من الديمقراطية بإعلانها
التمسك بالديموقراطية أو تقصر دون
حفظها من التمسك بالشريعة الإسلامية
بالمفاخرة بتمسكها بالشريعة أو تقصر
دون حفظها من الاكتفاء الذاتى فى منتج
ما بالإشارة إلى اكتفاءها هى من هذا
المنتج . والغاية التى تسعى إليها دولة

ما بهذا التعريض قد تكون إيجابية لتحسين صورتها أو سلبية لتشويه صورة الغير أو هما معاً . وهذه الوسائل الأسلوبية في الإعلام قد يحسن استخدامها فتأتي بالنتائج المرجوة وقد يسوء فلا يكون منها إلا الضرر .

* * *

هل تخاطب لغة الإعلام العقل أو تخاطب العاطفة . المعروف أن مخاطبة العقل تجرى في مجريين :

(أ) الاعتماد على المسلمات التي تعد جزءاً من تركيب العقل كإدراك العلاقة السببية بين شيئين أو إدراك العلاقة الكمية أو الزمانية أو المكانية ... إلخ .

(ب) الاعتماد على الأدلة المنطقية .

والحجة التي تنبني على هذا الأساس العقلي إذا وضعت في صورة قياس منطقي ما صارت منطقية صورية . أما إذا خلطت الحجة بين العنصر (أ) وبين أمور أخرى كالإغراء والتحذير والتمنى والترجي وغير ذلك من الأساليب الإنشائية فإنها تتحول إلى دليل خطائي . فإذا تحول الأسلوب عن نهجه هذا إلى أن يكون شاعرياً في طابعه

أو تحريضياً خالصاً فإنه يخاطب العاطفة مثال ذلك ما تصطنعه وسائل الإعلام من الأناشيد الحماسية والإشادة بالأمجاد . إذا عرفنا هذا فهمنا أن لغة الإعلام تخاطب العقل حيناً والعاطفة أحياناً وأكثر ما يكون اتجاهاً إلى العاطفة . انظر

فيما تعرضه وسائل الإعلام من أنواع الفنون كالأنشيد والتمثيلات والبرامج الوطنية ... إلخ تجد ذلك يشجّه أساساً إلى شحذ العواطف . ثم انظر إلى برامج التوعية والبرامج الثقافية والتوثيقية ، تراها تخاطب العقول وتضيف إلى حصيلة المعلومات .

والإعلام في أحسن صورته تأليف للقلوب واستدعاء لمودة الجماهير . ولكن هذا التأليف وذلك الاستدعاء ينبغي لهما أن يكونا بعيدين عن التدخل في حرية إرادة الجماهير بواسطة المطالبة بأمر ما ولعل الفارق الأكبر بين الإعلام والإعلان أن المعلن يمكن له أن يجروا بمطالبتك بشراء سلعة ما غير مكثف بتحسينها في نظرك أما وسيلة الإعلام فقصارى ما تبلغه أن تحسن أمراً ما في نظرك دون أن تطالبك

باعتناق فكرة معينة وشر الإعلام ما لجأ
إلى لغة الإعلان لأن لغة الإعلان متهممة
حتى تظهر براءتها ولكن لغة الإعلام
بالعكس بريئة حتى تظهر إدانتها .

وربما كانت لغة الإعلام في كثير
من الحالات بديلاً من التصرفات العملية
غير المستطاعة؛ فلقد يحدث أن تتخطى
دولة ما حدود الشرعية فتعتدى على جهة
أضعف منها صديقة لدولة أخرى فلا تجد
الدولة الأخرى من وسائل الردع ما ترد به
هذا العدوان أو ترد عليه؛ فتعتمد إلى الشجب
والإدانة والاحتجاج والاستنكار والشكوى
وغير ذلك من الوسائل التي لا تجر عليها
موقفاً عملياً خطراً أو غير مقبول في مسرح
السياسة الدولية . مثال ذلك موقف الدول
العربية من أحداث مثل ضرب المفاعل
العراقي والغارة على لبنان والبطش بالشعب
الفلسطيني في فلسطين المحتلة وغير ذلك
من العريضة الإسرائيلية؛ فإذا لم تستطع
الدول العربية المبعثرة النوايا والجهود
أن ترد بالإيجاب على هذه الوقائع عمدت
إلى الشجب والشكوى للهيئات الدولية

وجعلت ذلك بديلاً للعمل العربي المشترك
الذي صيرته الفارقة أمراً مستحيلاً .

* * *

ولغة الإعلام في طابعها الاجتماعي أشبه
بالمحاضرة منها بالمناظرة ذلك بأن
مصدرها واحد وموردها متعدد، فهي لغة
جهة رسمية بعينها إذ تخاطب أسماع
السواد أو أبصارهم . ويصدق هذا الطابع
على لغة الإعلام حتى حين تكون ندوة
إذاعية أو تليفزيونية أو حديثاً صحفياً
مصدره طائفة من أصحاب الرأي إذ
يتناولون موضوعاً واحداً بالشرح والتعليق
فتكون وحدة الموضوع وحدة للمصدر
الإعلامي وإن تعدد المعلقون ولكن هذا
الموضوع الواحد يتجه إلى الملايين من أبناء
الشعب وإلى غيرهم ممن تصل إليه هذه
الوسيلة الإعلامية . وهذا الطابع الأحادي
المصدر يعطى لغة الإعلام وظيفة توحيد
الفكر والشعور والوجدان في سواد الشعب
ويجعل الناس صففاً واحداً وراء قيادتهم
إلا من ظفرت به منهم وسائل إعلام جهة
أخرى . وهذا ما سوف نشير إليه بعد قليل .

ولغة الإعلام تبرير لمواقف النفس ،
واتهام لمواقف الغير ومن ثم تكون دائماً
محتملة للصدق والكذب إذ لا يعقل أن
تكون مواقف جهة ما صواباً دائماً ومواقف
جهة أخرى خطأ على طول الخط ؛ وإنما يخلط
الناس عملاً صالحاً وآخر سيئاً وتلك
سنة السلوك الإنساني الذي لا عصمة له
من الزلل . وكما يتجنب الأفراد أن يطلع
الناس على سلوكهم فيعمدون إلى أن
يقدموا للناس صورا ذهنية حسنة تنوب
عن حقائق ذواتهم تسعى الدول أن تحسن
من صور شخصياتها الاعتبارية ؛ فتخفي
من نواياها ما تخفي وتستتر ما ساء من
أعمالها ثم تذيب بوسائل إعلامها ما كان
حسناً من جوانب سياساتها . وهكذا يبدو
الناس والدول في الأذهان على هيئة صور
ذهنية محسنة ولو اطلع كل فرد أو دولة
على ما أخفاه عنه فرد آخر أو دولة أخرى
لفسدت الحياة الاجتماعية ؛ ولم يعد من
الممكن أن يطمئن كل إلى كل . أما كيف
يمكن تحسين هذه الصور الذهنية للأفراد
فبالكتان والبوح بحسب الظروف إن
شئت فقل : بالنفاق الاجتماعي للأفراد

ثم للدول بواسطة لغة الإعلام أو النفاق
على المستوى السياسي الدولي .

* * *

لقد شهد العالم في العقود الأخيرة ثورة
جامحة في العلم والتكنولوجيا وانعكس
ذلك على وسائل الإعلام من حيث قدرتها
على التبليغ واكتساحها لحواجز الزمان
والمكان . يصدق ذلك على الصحافة ، كما
يصدق على الإذاعة والتليفزيون والفيديو
والسينما والمسرح والأغاني والصور ،
والمصقات والتماثيل وما عسى أن يكون
وسيلة مامن وسائل التبليغ الأخرى .
فأما الصحافة فقد شهد هذا العصر طباعة
الصحيفة الواحدة في عدد من المدن في
وقت واحد كما يحدث لصحيفتي الأهرام
والشرق الأوسط . وأما الإذاعة فقد ألغت
الحدود وسيادة الدولة وجساركها واقتحمت
على الناس مضاجعهم في كل مكان من العالم
ولم يعد شرط التبليغ من خلالها إلا
تقويتها وتوجيهها الوجهة المطلوبة . وأما
التليفزيون فقد أضاف إلى الصوت الصورة
الملونة ويسع إلى جعلها مجسمة . ولقد
استطاع الفيديو أن يجعل من التليفزيون

وسيلة خاصة وقد قصدت منه الدولة أن يكون وسيلة عامة وبذا أصبح التليفزيون وسيلة محتملة للإعلام المعاكس وللفساد والإفساد في مختلف المستويات . وتشاركه السينما هذا الاحتمال ذلك ما يكون من تخطى هذه الوسائل لحاجز المكان . أمّا تخطى حاجز الزمان فيتم من خلال طباعة الصحيفة وشرائط الكاسيت والفيديو والفيلم السينمائي إذ يمكن الاحتفاظ بهذه الوسائل على مدار الزمن فتضيف إلى قيمتها الإعلامية قيمة أخرى وثائقية .

وهذا التطور في تكنولوجيا وسائل الإعلام أدى إلى نتيجتين خطيرتين :

١- صعوبة السيطرة الإعلامية على الجبهة الداخلية في كل دولة .

٢- إمكان نشوب الحرب الدعائية كالتى أطلق عليها ذات مرة « الحرب الباردة » وقد نشبت بين الدولتين العظميين وقامت على ما أطلقت عليه السياسة الأمريكية « حافة الحرب » أو « سياسة الحافة » .

وقد ترتب على العنصر الأول بالفعل أن تنتشر الأفكار الشيوعية في العالم وأن تبدو روسيا في نظر البعض أملاً لطلاب العدالة الاجتماعية بعد أن حسنت وسائل إعلامها صورتها وعرضتها على الشعوب في صورة طيبة . أمّا العنصر الثانى فيتمثل خطره في أن الجرب الباردة قد تتحول عن برودتها لأن ردود الفعل لا تقاس ولا تضبط . وأكبر دليل على ذلك ما حدث في عام ١٩٦٧م من تصريحات غير محسوبة قصد بها مجرد الدعاية ولكنها أدت إلى كارثة ما زلنا نطعم ثمراتها المرة .

تلك هى لغة الإعلام سم وترياق ، صدق ونفاق ، نصر وعدوان ، جمع وتشيت ، ولها بعد كل ذلك ما غيرها من أنواع النشاط اللغوى فهى تشمل الصحة والخطأ ، والجمال والقبح ، ومخاطبة العقل أو مخاطبة العاطفة والوجدان ، ثم تبوح وتكتم وقد تكتم إذ تبوح وباختصار هى الإنسان نفسه بخيره وشره .

تمام حسان
مفتى الجميع

اللغة والنحو في فكر الفارابي الفيلسوف

للدكتور عبد الكريم خليفة

وتحدثنا الروايات أن أبا نصر قد عاصر في فاراب هذه لغويين مشهورين هما : إسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت . ٣٥٠ هـ) صاحب ديوان الأدب والجوهرى (ت ٣٨٦ هـ) صاحب الصحاح . ويولى الأستاذ الجليل ، إبراهيم مذكور في بحثه القيم « الفارابي والمصطلح الفلسفى (٢) أهمية خاصة لهذه البيئة الأولى في التكوين اللغوى للفارابي الفيلسوف . وعندما رحل إلى بغداد كان في حوالى الخمسين عاماً من عمره ، وكانت بغداد إذ ذاك حاضرة الدنيا ومركز العلم والحضارة ولا شك أن أبا نصر كان له حظ وافر في هذه الأوساط العلمية وإن عنايته بالعربية وعلومها قادتته ولا شك إلى الاتصال بأوساط النحاة واللغويين .

أبو نصر هو محمد بن محمد بن طرخان الفارابي الفيلسوف ، وسمى الفارابي نسبة إلى مدينة فاراب من حواضر مدن الترك وراء نهر سيحون قريبة من كاشغر إحدى المدن العظام في تخوم الصين ^(١) . وكان مولده في فاراب حوالى سنة ٢٥٩ هـ ونشأ وترعرع وقضى وقتاً غير قصير فيها . وتشير الروايات التى بين أيدينا إلى أن الحياة العلمية كانت مزدهرة في هذه المدينة ، شأنها في ذلك شأن بقية مراكز الإشعاع الثقافى والعلمى فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ، وعلى امتداد دار الإسلام من أواسط آسيا شرقاً إلى الأندلس وحاضرتها قرطبة فى أطراف أوربا غرباً .

(*) ألقى البحث فى الجلسة الخامسة ليوم السبت ٢٧ / ٢ / ١٩٨٨ م .

(١) انظر : وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ١٥٣ - ١٥٧ .

(٢) انظر : الفارابي فى الذكرى الألفية ، ص ٢٢ .

ويحدثنا ابن أبي أصيبعة ، أن الفارابي قد اتصل بابن السراج (ت ٣١٦ هـ) وأنه كان يقرأ عليه النحو ويقرئه المنطق . وتشير المعلومات التي بين أيدينا إلى أن وصوله إلى بغداد كان ما بين عامي ٣٠٦ هـ و ٣٠٨ هـ ثم رحل إلى حلب والتقى بالأمير سيف الدولة الحمداني سنة ٣٣٤ هـ ، وكان بلاطه موئل كبار العلماء والأدباء والشعراء . . . وتنبئنا الأخبار بأنه رحل معه إلى دمشق . وتوفي أبو نصر ، رحمه الله ، في رجب سنة ٣٣٩ هـ كما تشير معظم الروايات^(١) .

ونحن نشارك الأستاذ المذكور بأن أبا نصر الفارابي لم يلق ما يستحقه من البحث والدراسة في جوانب فكره الخصب ، وأن ابن سينا وابن رشد قد طغيا عليه وحجبا توجيه الاهتمام إلى دراسة فكره وفلسفته ، والآثار التي تركها في الفكر الإسلامي بخاصة والفكر العالمي بعامة ، ونود أن نضيف

إلى ذلك بأن حيفاً قد لحقه أيضاً في العصر الحديث حيث قاد الوهم بعض الباحثين إلى الوقوع في اللبس بين أبي نصر الفارابي الفيلسوف وبين إسحاق بن إبراهيم الفارابي اللغوي صاحب ديوان الأدب الذي أشرنا إليه سابقاً وربما كانت المعاصرة والعلاقة العلمية بينهما في فاراب ، والانتساب إلى المدينة ذاتها ، سبب هذا اللبس .

وكان للتكوين اللغوي أثر مهم في حياة الفارابي العلمية والفكرية وإن تمكنه من العربية^(٢) لغةً ونحواً واهتمامه الواضح في دراسة النحو على شيوخ النحاة سواء أكان ذلك في فاراب أم في بغداد ، فضلاً عن مجالس سيف الدولة الحمداني في حلب ، قد أدى به في كل ذلك إلى صياغة ما نستطيع أن نسميه نظرية متكاملة تتناول اللغة من حيث هي لغة بعجوانبها المختلفة ، فمنها ما يمس الألفاظ وأحوالها التي

(١) انظر : ابن أبي أصيبعة ، حيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٦٠٣ - ٦٠٩ .

(٢) انظر : وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ١٥٣ - ١٥٧ .

تتشترك فيها جميع الأمم ومنها ما يمتس
النحو من حيث قواعده وقوانينه التي
تنظم الألفاظ والتراكيب ومنا ما يمتس
الأصوات والحروف . . . وينتقل
منها إلى صياغة نظرية كلية في تحديد
علاقة اللغة بالفكر .

ونحن لا نهدف في هذا البحث
المتواضع أن ندرس أصول هذه النظرية
عند الفارابي والمصادر التي إستلهمها
في تحديد نظرية اللغوية ، ولكننا
نريد أن نوجه الاهتمام إلى أهمية دراسة
الجانب اللغوي بعامة والنحوي بخاصة
في فكر الفارابي الفيلسوف . فقد
شهدت الدراسات اللغوية والنحوية

ازدهارا بلغ الذروة ، بل وحد النضوج
في القرنين الرابع والخامس الهجريين .

فالحديث عن « علم اللغة » وعن « علم
النحو » وعن الأصوات والتجويد في
نطقها ، قد سبق الفارابي الفيلسوف
بمدة طويلة . . . وكان الخليل بن أحمد
فيما أثبتته تلميذه سيبويه في « الكتاب »
باع طويل في تحديد هذه العلوم
ووضع أصولها في العربية .

وكما شغل اللغويون والنحاة في
القرن الرابع الهجري في دراسة اللغة
بألفاظها ونحوها وصرفها وشواهدا على
مختلف المستويات العلمية والتعايحية ،
فقد شغل أيضاً الفلاسفة والمفكرون
بالقضية اللغوية من حيث مفهومها
العام الذي يتجاوز لسانا ما يعنيه إلى
ما هو مشترك في ألسنة جميع الأمم .
وهذا ما نجده منذ وقت مبكر عند
فيلسوفنا الفارابي وكذلك عند إخوان
الصفاء وخلان الوفاء في رسائلهم فضلا
عن مفكرى وفلاسفة القرنين الخامس
والسادس الهجريين أمثال ابن سينا
وابن حزم وابن طفيل وابن رشد
وابن ماجه والشهرستاني وغيرهم .

وقد احتلت القضية اللغة المكانة الأولى
في تقسيم العلوم عند الفارابي . وهذا
ما نجده مثلاً في كتابه الذي سماه .
« إحصاء العلوم » . فجعل هذا الكتاب
في خمسة فصول ، وكان الفصل الأول
في علم اللسان وأجزائه ويليه في الأهمية
الفصل الثاني في « علم المنطق » وهو
ما اشتهر به وكان من شيوخه الأوائل .

وقد حدّد الفارابى قصده فقال :
« قصدنا فى هذا الكتاب أن نحصى
العلوم المشهورة علما علما ، ونعرّف
جمل ما يشتمل كل واحد منها ،
وأجزاء كل ما له منها أجزاء ، وجمل
ما فى كل واحد من أجزائه ، ونجعله
فى خمسة فصول »^(٢)

فمن الواضح أنه يهدف إلى إحصاء من
ناحية ومن ناحية أخرى إلى تبين مراتبها
وفق منهج معين ، ولا أدلّ على ذلك من
تأكيد المستمر فى بحوثه عن العلاقة
العضوية بين علم اللسان من جهة وعلم
المنطق من جهة أخرى وعلاقتهما
المتسلسلة بالعلوم الأخرى وفق مراتبها .

ونلاحظ أن الفارابى قد تجاوز فى
مفهومه « علم اللسان » اللغات الخاصة
بكل أمة على حده ، إلى الحديث عن

علم شامل تشترك فى أصوله جميع
اللغات إذ يقول : « وعلم اللسان عند
كل أمة ينقسم سبعة أجزاء عظمى :
علم الألفاظ المفردة ، وعلم الألفاظ
المركبة ، وعلم قوانين الألفاظ عندما
تكون مفردة ، وعلم قوانين تصحيح
الكتابة : وعلم قوانين تصحيح القراءة
وعلم قوانين الأشعار^(٢) ويرى الفارابى
أن علم اللسان هذا يكون فى جملة
على ضربين : أحدهما حفظ الألفاظ
الدالة عند أمة ما ، وعلم ما يدلّ عليه
شئ منها ، والثانى علم قوانين تلك
الألفاظ . »^(٣)

ثم يقف الفارابى عند تحديد مفهوم
مصطلح « القوانين » فيضع له تعريفاً
شاملاً ، يفسح فيه المجال كى « تأتى
أى القوانين ، على جميع الأشياء التى
هى موضوع للصناعة أو على أكثرها . . .
وفى قوله : « أو على أكثرها ... »^(٤)

(١) انظر : إحصاء العلوم ، ص ٥٩ .

(١) انظر : إحصاء العلوم ، ص ٥٧ .

(٢) انظر : المصدر ذاته .

(٣) انظر : المصدر ذاته .

يحتاج. فيه لتفسير الشاذ عن القواعد اللغوية . . فالقوانين في كل صناعة ، على حد تعبير الفارابي هي أقاويل كلية أي جامعة ينحصر في كل واحد منها أشياء كثيرة مما تشتمل عليه تلك الصناعة وحدها حتى تأتي على جميع الأشياء التي هي موضوعة للصناعة أو على أكثرها (١) .

ويحـ رص الفارابي على تحديد مصطلحاته العلمية ، فنجد أنه يحدد مفهوم « القوانين » بأنها « الأقاويل الكلية » وذلك من أجل أن ينبه إلى تطور معنى مفهوم « القوانين » فقد كان القدماء يسمون كل آلة عملت لامتحان ما عسى أن يكون الحس قد غلط فيه - من كمية جسم أو كيفيته أو غير ذلك مثل الشاقول والبركار والمسطرة والموازين ، قوانين . ويسمون أيضا جوامع الحساب وجداول النجوم قوانين ، والكتب المختصرة التي جعلت

تلك الكتب الطويلة ، قوانين... (٢)
ونجد الفارابي ، بعد أن يجدد مفهوم « القوانين » بمعناه الاصطلاحي الذي يستخدمه هو ، نجده ينتقل إلى تحديد الغايات النفعية من استخلاص هذه القوانين أو الأقاويل العامة ، فهي على حد تعبيره معدة إما ليحاط بها ما هو من تلك الصناعة لئلا يدخل فيها ما ليس منها أو يشد عنها ما هو منها ، وإما ليتمتحن بها ما لا يؤمن أن يكون قد غلط فيها غلط ، وإما ليسهل بها تعلم ما تحتوي عليه الصناعة وحفظها (٣) .

وبعد هذه التحديدات الضرورية ، نستطيع أن نتحرى الملامح العامة لبُنية ما يمكن أن نسميه نظرية الفارابي في اللغة والنحو وعلاقة اللغة بالفكر ...

يرى الفارابي أن الألفاظ الدالة في لسان كل أمة ضربان : مفرد ومركب . فالمفرد كالبياض والسواد والإنسان والحيوان .

(١) انظر : المصدر ذاته .

(٢) انظر : إحصاء العلوم ، ص ٥٨ .

(٣) انظر : إحصاء العلوم ص ٥٧ .

(٤) انظر : إحصاء العلوم ، ص ٥٨ - ٥٩ .

هو « علم الألفاظ المفردة الدالة » ويحتوى على علم ما تدل عليه لفظة من الألفاظ. المفردة الدالة على أجناس الأشياء وأنواعها وحفظها وروايتها كلها ، الخاص بذلك اللسان والدخيل فيه ، والغريب عنه والمشهور عند جميعهم^(٢) .

وثانى هذه الأجزاء ، علم الألفاظ المركبة وهو علم الأقاويل التى تصادف مركبة عند تلك الأمة ، وهى التى صنفها خطباؤها وشعراؤها ، ونطق بها بلغاؤها وفصحائها المشهورون ، وروايتها وحفظها ، طوالة كانت أو قصارة موزونة كانت أو غير موزونة^(٤) .

وثالث هذه الأجزاء علم قوانين الألفاظ المفردة . ومما تجدر ملاحظته هو أن الفارابى يضع فى بحثه هذا أصول ما نسميه بعلم الصوتيات إذ يقول : « وعلم قوانين الألفاظ المفردة يفحص أولا فى الحروف المعجمة ، عن عددها ، ومن أين يخرج

والمركب كقولنا : الإنسان حيوان ، وعمر أبيض ... والمفردة منها ما هى ألقاب أعيان ، مثل : زيد وعمر ، ومنها ما يدل على أجناس الأشياء وأنواعها مثل : الإنسان والفرس والحيوان والبياض والسواد . والمفردة الدالة على الأجناس والأنواع ، منها أسماء ، ومنها كلم ، ومنها أدوات . ويلحق الأسماء والكلم التذكير والتأنيت والتوحيد والتثنية والجمع ويلحق الكلم الأزمان وهى الماضى والحاضر والمستقبل^(١) ولاشك أن المنهج الذى اتبعه الفارابى ، منهج سليم ، فهو إذ يتحدث عن نظرية عامة بعلم اللسان ، فإنه يأتى بأمثله وشواهد من اللغة العربية ، النظرية العامة لعلم اللسان . هذا وتدل الروايات التى بين أيدينا أن أبا نصر كان يحسن عدداً من اللغات^(٢) .

يقوم الفارابى الفيلسوف بتحديد الأجزاء العظمى التى ينقسم إليها علم اللسان عند كل أمة من الأمم . وأول هذه الأجزاء

(١) انظر : وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ١٥٣ .

(٢) انظر : إحصاء العلوم ، ص ٥٩ .

(٣) انظر : إحصاء العلوم ، ص ٦٠ .

(٤) انظر : إحصاء العلوم ص ٦٠ .

كل واحد منها في آلات التصويوت ، وعن المصوت منها ، وعما يتركب منها في ذلك اللسان وعما لا يتركب ، وعن أقل ما يتركب منها حتى يحدث عنها لفظة دالة ، أكثر ما يتركب وعن الحروف الثابتة التي لا تتبدل في بنية اللفظ عند لواحق الألفاظ من تثنية وجمع وتذكير وتأنيث واشتقاق وغير ذلك ، وعن الحروف التي بها يكون تغاير الألفاظ عند اللواحق ، وعن الحروف التي تندغم عندما تتلاقى ... (١)

وهكذا يستمر الفارابي الفيلسوف في استقصائه الأجزاء التي أشار إليها ، ويتوقف عند « علم قوانين الألفاظ عندما تتركب » فيأتي هذا العلم أولاً على إحصاء حال من أحوال الأسماء الموحدة المتصرفة التي يلحقها في كل حال طرف من أطراف الأسماء ، ثم يعطى مثال ذلك في الأسماء المثناة والمجموعة إلى أن يسدوعب الأحوال التي يتبدل فيها على الكلم أطرافها

التي جعلت لها ، ثم يعرف الأسماء التي تنصرف في بعض الأطراف ، وفي أيها تنصرف وفي أيها لا تنصرف ، ثم يعرف الأسماء التي كل واحد منها مبني على طرف واحد فقط. وأيها مبني على أي طرف ... (٢)

ثم يتحدث عن « الأدوات » في هذا الباب وعن الألفاظ التي يشك في أمرها ، هل هي أدوات أو أسماء أو كلم ..

وفي حديثه عما يسميه علم قوانين الألفاظ عندما تتركب ، يبدأ الفارابي الفيلسوف بصياغة نظرة متكاملة لما يمكن أن نطلق عليه « علم النحو العام » ؛ أنه لا يتحدث عن نحو لغة معينة ولكنه يتحدث عن علم عام يشمل جميع اللسنة. ولذا نراه يقول : « وعلم قوانين الألفاظ عندما تتركب ضربان : أحدهما يعطى قوانين أطراف الأسماء والكلم عندما تتركب أو ترتب ، والثاني يعطى قوانين في أحوال

(١) انظر : المصدر ذاته ، ص ٦٠ .

(٢) انظر : المصدر ذاته ، ص ٦٣ .

التركيب والترتيب نفسه ، كيف هي في ذلك اللسان^(١) . ومن الواضح أن الفارابي هنا يشير إلى الأصول العامة لعلم النحو وكذلك إلى أصول علم البلاغة والفصاحة . وفي هذا العلم الأخير يحدد أصوله بقوله : « وأما الضرب الذي يعطى قوانين التركيب نفسه ، فإنه يبين أولاً كيف تتركب الألفاظ وتترتب في ذلك اللسان ، وعلى كم ضرب حتى تصير أقاويل ، ثم يبين أيها هو التركيب والترتيب الأوضح في ذلك اللسان^(٢) .

ويشغل « علم النحو » مكانة بارزة في نظرة الفارابي إلى اللغة ، ولاشك أنه عني بالنحو عناية شديدة . ويؤكد في أماكن متعددة من أحاديثه على أهمية قوانين النحو من أجل تقويم اللسان وتجنب اللحن وفي حديثه عن علم النحو يقول :

« وعلم قوانين الأطراف المخصوص بعلم النحو ، فهو يعرف أن الأطراف إنما تكون أولاً للأسماء ثم للكلم ، وأن أطراف

الأسماء منها ما يكون في أوائلها مثل ألف لام التعريف العربية ، أو ما قام مقامها في سائر الألسنة ، ومنها ما يكون في نهاياتها وهي الأطراف الأخيرة وتلك التي تسمى حروف الإعراب . وإن الكلم ليس لها أطراف أول وإنما لها أطراف أخيرة . والأطراف الأخيرة للأسماء والكلم هي في العربية مثل التنوينات الثلاثة والحركات الثلاثة والعزم وشيء آخر إن كان يستعمل في اللسان العربي طرفاً ...^(٣) وهكذا يستمر الفارابي في حديثه عن المبنى والمعرب ، وما ينصرف وما لا ينصرف ، وذلك في إطار قوانين كلية تشمل علم اللسان من حيث هو علم عام ، وإن كان يبحث عن أمثله في اللغة العربية ، كما هو شأنه دائماً .

وتحتل القوانين والقواعد العامة مكانة أساسية في فلسفة الفارابي وتفكيره ، سواء أكان ذلك في العلوم أم في اللغات . ولاشك أن المنهج المنطقي يشكل الركيزة الأساسية في منهجه اللغوي والنحوي والعلمي ... وهو لا يفتأ يردد هذه المقولة ، فلنستمع

(١) انظر : احصاء العلوم ، ص ٦١ .

(٢) انظر : احصاء العلوم ، ص ٦٤ .

(٣) انظر : احصاء العلوم ، ص ٦١ - ٦٢ .

إليه في حديثه عن أهمية « علم قوانين المنطق » إذ يقول :

« وأما من زعم أن الدربة بالأقاويل والمخاطبات الجدلية أو الدربة بالتعاليم . مثل الهندسة والعدد تغنى عن علم قوانين المنطق أو تقوم مقامه وتفعل فعله ، وتعطى الإنسان القوة على امتحان كل قول ، وكل حجة وكل رأى ، وتسدد الإنسان إلى الحق واليقين حتى لا يغلط في شيء من سائر العلوم أصلاً ، فهو مثل من زعم أن الدربة والإرتياض بحفظ الأشعار والخطب والاستكثار من روايتها يغنى في تقويم اللسان وفي أن لا يلحن الإنسان ، عن قوانين النحو ، ويقوم مقامها ويفعل فعلها وأنه يعطى الإنسان قوة يمتحن بها إعراب كل قول ، هل أصيب فيه أو لحنه فالذى يليق أن يجاب به في أمر النحو ها هنا هو الذى يجاب به في أمر المنطق هناك » (١)

فمن الواضح أن الفارابى يعتبر وجود قواعد النحو ضرورة للتعليم واجتناب اللحن

وذلك إلى جانب الدربة بحفظ الأشعار والخطب والاستكثار من روايتها ... ولا شك أن الفارابى قد استطاع أن ينفذ إلى العلاقة الجوهرية التى تربط النحو باللغة ... وينبه الفارابى إلى أن وجود من لا يلحن أصلاً من بين أبناء هذا اللسان أو ذاك من غير أن يكون قد علم شيئاً من قوانين النحو ، لا يقلل من أهمية قوانين النحو للعالم والمتعلم إذ يقول :

« وكذلك قول من زعم أن المنطق مفضل لا يحتاج إليه ، إذ كان يمكن أن يوجد في وقت ما إنسان كامل القريحة ، لا يخطئ الحق أصلاً من غير أن يكون قد علم شيئاً من قوانين المنطق ، كقولنا من زعم أن النحو فضل ، إذ قد يوجد في الناس من لا يلحن أصلاً من غير أن يكون قد علم شيئاً من قوانين النحو : فإن الجواب عن القولين جميعاً جواب واحد (٢) »

وبعد أن يضع الفارابى أصول علم النحو العام ، يتجه إلى ما يخص لسان كل أمة من الأمم ، فيقول :

(١) انظر : احصاء المعلوم ص ٧٣ - ٧٤ .

(٢) انظر : احصاء المعلوم ص ٧٤ .

« فعلم النحو في كل لسان إنَّما ينظر فيما يخصُّ لسان تلك الأمة ، وفيما هو مشترك له ولغيره ، لا من حيث هو مشترك ، ولكن من حيث هو موجود في لسانهم خاصة » .
فهذا هو الفرق بين نظر أهل النحو في الألفاظ وبين نظر أهل المنطق فيها : وهو أن النحو يعطى قوانين تخصُّ ألفاظ أمة ما ، ويأخذ ما هو مشترك لها ولغيرها ، لا من حيث هو مشترك ، بل من حيث هو موجود في اللسان الذي عمل ذلك النحو له .

والمنطق فيما يعطى من قوانين الألفاظ ، إنَّما يعطى قوانين تشترك فيها ألفاظ الأمم ويأخذها من حيث هي مشتركة ، ولا ينظر في شيء مما يخصُّ ألفاظ أمة ما ، بل يوصى أن يؤخذ ما يحتاج إليه ذلك عن أهل العلم بذلك اللسان ^(١) .

ويتحدث الفارابي عن الخصوصيات النحوية التي ينفرد بها لسان دون آخر ، ولكن ضمن الصورة الكلية الشاملة لمفهوم

النحو في جميع الألسنة إذ يقول : « وهاهنا أحوال تخصُّ لساناً دون لسان . مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول به منصوب ، والمضاف لا يدخل فيه ألف . ولام التعريف . فإنَّ هذه وكثيراً غيرها تخصُّ لسان العرب . وكذلك في لسان كل أمة أحوال تخصُّه » ^(٢)
ولكن الفارابي ينظر إلى هذا التعدد في خصوصيات كل لسان ضمن إطار الوحدة الكلية لعلم النحو الذي يشمل جميع الألسنة ، إذ يقول :

« وما وقع في علم النحو من أشياء مشتركة لألفاظ الأمم كلها فإنَّما أخذها أهل النحو من حيث هو موجود في ذلك اللسان الذي عمل النحو له ، كقول النحويين من العرب : إنَّ أقسام الكلام في العربية اسم وفعل وحرف . وكقول نحوى اليونانيين : أجزاء القول في اليونانية اسم وكلم وأداة . وهذه التسمية ليست توجد في العربية فقط ، أو في اليونانية فقط ، بل في جميع الألسنة . وقد أخذها نحويو العرب

(١) انظر : احصاء العلوم ص ٧٦ .

(٢) انظر : احصاء العلوم ص ٧٦ .

على أنها في العربية ، ونحويو اليونانيين
على أنها في اليونانية »^(١) .

وإن نظرة الفارابي الفلسفية لأصول
علم النحو ، تثبت أن نحو العربية هو علم
عربي أصيل ، قد انبثق بصورة أصيلة
من اللغة العربية ذاتها ، « وإنما أخذ أهل
النحو على حدّ تعبير الفارابي من حيث هو
موجود في ذلك اللسان الذي عمل النحوله »
وبذلك يضع الفارابي الفيلسوف عدداً لتلك
الأقاويل التي تحاول أن تبتعد عن الآثار
اليونانية أو الهندية أو غيرها من اللغات
في نحو العربية ومن هنا تتضح لنا الصورة
التي طالما اكتنفها الغموض والإبهام في
الكثير من الأحيان حول أصالة النشأة
العلمية للنحو في العربية . فقد اكتمل هذا
العلم على أيدي الخليل ابن أحمد وتلميذه
سيبويه في « الكتاب » . وترجع جذور
نشأته . كما تقول الروايات التي بين
أيدينا إلى أبي الأسود الدؤلي وإلى ، الإمام
على رضي الله عنه بل وتذهب بعض
الروايات إلى أبعد من ذلك .

وإن نظرية الفارابي هذه في أصالة علم
العربية ، في ألفاظها ونحوها وصرفها ونثرها
وموزونها لا تنفي مطلقاً استخدام اللغويين
والنحاة علم المنطق من حيث هو أداة
التفكير الصحيح شأنهم في ذلك شأن
العلماء الآخرين في شتى مجالات المعرفة .
فقد استخدم النحاة المتأخرون المنطق كما
استخدمه الفقهاء والمتكلمون والعلماء
الآخرين في بئرثهم العلمية والجدلية ...
دون أن يدرك ذلك موضوع أصالة تلك
العلوم .

وقد أرسى الفارابي الفيلسوف دعامة
العلاقة العضوية بين الفكر واللغة ، وجعل
منها جزءاً أساسياً من نظريته الكلية لعلم
اللسان . فالنطق على حدّ تعبيره « مشتق
من النطق . وهذه اللفظة تقال عند القدماء
على ثلاثة معان : أحدها القول الخارج
بالصوت ، وهو الذي به تكون عبارة
اللسان عما في الضمير . والثاني : القول
المركوز في النفس ، وهو المعقولات التي
تدل عليها الألفاظ . والثالث القوة
النفسانية المفطورة في الإنسان ، التي بها

يُميز التمييز الخاص بالإنسان دون ما سواه من الحيوان . وهى التى بها يَحْصُل للإنسان المعقولات والعلوم والصنائع ، وبها تكون الروية ، وبها يُميز بين الجميل والقبيح من الأفعال . وهى توجد لكل إنسان حتى فى الأطفال ، لكنها نذرة لم تبلغ بعد أن تفعل فعلها ...»^(١) .

ومن هنا نجد أن الفارابى ما فتى يؤكد العلاقة الحميمة بين المنطق بفهومه العقلى وبين النطق والقول ، وينذهب فى ذلك إلى البحث فى الجذور التاريخية لمعانى هذه المصطلحات . ويعود إلى هذه الفكرة فى أماكن متعددة من مؤلفاته فى إحصاء العلوم وفى رسالته التنبيه على سبيل السعادة وغيرها .

ونحن نستطيع أن نستبين معالم فلسفته العقلية فى نظرتة إلى علم اللسان ، لاسيما فى مجال المنطق الذى اشتهر به ، إذ يقول :

« وأما موضوعات المنطق ، وهى التى فيها تُعطى القوانين ، فهى المعقولات

من حيث تدل عليها الألفاظ ، والألفاظ من حيث هى دالة على المعقولات . وذلك أن الرأى إنما نصححه عند أنفسنا بأن نفكر ونروى ونقيم فى أنفسنا أموراً ومعقولات شأنها أن تصحح ذلك الرأى » .
ثم يواصل حديثه حيث يقول : « ... بل نحتاج فى كل رأى نلتمس تصحيحه إلى أمور ومعقولات محدودة ، وإلى أن تكون بعد ما معلوم ، وعلى أحوال وتركيب وترتيب معلوم . وتلك ينبغى أن تكون بحالها وألفاظها التى بها تكون العبارة عنها ، عند تصحيحها لدى غيرنا . فلذلك نضطر إلى قوانين تحوطنا فى المعقولات وفى العبارة عنها ، وتحرسنا من الغلط فيها . وكلتا هاتين أعنى المعقولات والأقاويل التى بها تكون العبارة عنها يسمىها القدماء « النطق والقول » . فيسمون المعقولات القول ، والنطق الداخلى المركوز فى النفس والذى يعبر به عنها القول ...»^(٢) .

(١) انظر : إحصاء العلوم ، ص ٧٨ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٧٤ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٧٤ .

ويعود الفارابي إلى هذه الفكرة الأساس في نظريته اللغوية فيقول في رسالته التنبيه على سبيل السعادة : « فاسم العقل قد يقع على إدراك الإنسان الشيء بذهنه ، وقد يقع على الشيء الذي به يكون إدراك الإنسان . وهذه الصناعة تفيد الخير والسعادة بهذين الأمرين جميعاً ، وبها يتقومان . والأمر الذي به يكون إدراك الإنسان - وهو أحد الأمرين اللذين يقع عليهما اسم العقل - قد جرت العادة من القدماء أن يسموه النطق . واسم النطق قد يقع أيضاً على التكلم والعبارة باللسان . وعلى هذا المعنى يدل اسم « النطق » عند الجمهور وهو المشهور من معنى الاسم .

وأما القدماء من أهل هذا العلم ، فإن هذا الاسم يقع عندهم على المعنيين جميعاً . والإنسان قد يصدق عليه أنه ناطق بالمعنيين جميعاً ، أعنى من طريق أنه مُعَبِّرٌ ، وأن له الشيء الذي به يدرك ، غير أن القدماء يعنون بقولهم في الإنسان إنه ناطق أن له الشيء الذي به يدرك ما قصد تعرفه ^(٢) .

ويعزو الفارابي اللبس في فهم العلاقة بين المنطق وعلم اللسان بعامة وعلم النحو بخاصة ، إلى عدم تحديد مفهوم هذه المصطلحات في مسيرتها التاريخية ، وأن مفاهيمها قد اختلفت ، لاسيما فيما يتعلق بدلالات « النطق » و« المنطق » و« القول » و« الأقاويل »... إذ يقول : « ولما كان اسم النطق والمنطق ، قد يقع على العبارة باللسان ، ظن كثير من الناس أن هذه الصناعة قصدتها أن تفيد الإنسان المعرفة بصواب العبارة عن الشيء والقوة على صواب العبارة . وليس ذلك كذلك . بل الصناعة التي تفيد العلم بصواب العبارة والقدرة عليه هي صناعة النحو . وسبب الخلط في ذلك هو مشاركة المقصود بصناعة النحو المقصود بهذه الصناعة في الاسم فقط . فإن كإيهما يسمى باسم المنطق غير أن المقصود في هذه الصناعة من المعنيين اللذين يدل عليهما اسم المنطق هو أحدهما دون الآخر » .

(١) رسالة التنبيه على سبيل السعادة ، ص ٢٢٩ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢٣٠ .

ثم يعود الفارابي إلى توضيح العلاقة بين النحو والمنطق بمفهومي العقل الذي وضع تعاليمه ونهج مسالكه وقرب موارده إلى المتعلمين . وهو في ذلك لا يخرج عن القواعد التي أصابها في فهم علم النحر . يقول أبو نصر الفيلسوف :

« ... لكن بين صناعة النحو وبين صناعة المنطق تشابه ما ، وهو أن صناعة النحو تفيد العلم بصواب ما ننطق به ، والقوة على الصواب منه بحسب عادة أهل لسان ما ، وصناعة المنطق تفيد العلم بصواب ما يُعقل والقدرة على اقتناء الصواب فيما يعقل . وكما أن صناعة النحو تقوم اللسان حتى لا يلفظ إلا بصواب ما جرت به عادة أهل لسان ما ، كذلك صناعة المنطق ، تقوم الذهن حتى لا يعقل إلا الصواب من كل شيء . وبالجمله فإن نسبة صناعة النحو إلى الألفاظ هي كنسبة صناعة المنطق إلى المعقولات »^(١) .

ويخلص الفارابي الفيلسوف من هذا العرض إلى تأكيد التشابه بين المنطق والنحو ، ولكنهما مختلفان ولا يدخل أحدهما في الآخر . يقول أبو نصر : « فهذا تشابه ما بينهما فإما أن تكون أحدهما هي الأخرى ، أو تكون أحدهما داخله في الأخرى ، فلا »^(٢) .

وتتميز نظرة الفارابي الفيلسوف إلى اللغة ، بالشمول والوحدة الكلية من خلال الأجزاء السبعة العظمى التي رأى أن علم اللسان عند كل أمة من الأمم ينقسم إليها . أنه ينظر إلى اللغة باعتبارها وحدة متكاملة . ويستكمل هذه الوحدة بحديثه عن علم قوانين تصحيح الكتابة وعلم قوانين تصحيح القراءة وعلم قوانين الأشعار . ففي نظره أن علم قوانين الكتابة يميز أولا ما لا يكتب في السطور من حروفهم وما يكتب ، ثم يبين فيما يكتب في السطور كيف سبيله أن يكتب . وكذلك فإن علم قوانين تصحيح القراءة يعرف مواضع النقط والعلامات التي تجعل عندهم ، لما

(*) انظر : التنبيه على سبيل السعادة ، ص ٢٣٠ .

(١) المصدر ذاته .

لا يكتب في السطور من حروفهم وما يكتب
والعلامات التي تميز بين الحروف المشتركة ،
والعلامات التي تُجَعَل للحروف التي إذا
تلاقت اندغم بعضها في بعض .. الخ .

وأخيراً يتحدث الفارابي الفيلسوف عن
« علم الأشعار » وبعبارة أخرى عن
الموزون في اللغة ، فيقول :

« وعلم الأشعار على الجهة التي تشاكل
علم اللسان ثلاثة أجزاء : أحدها إحصاء
الأوزان المستعملة في أشعارهم ، بسيطة
كانت الأوزان أو مركبة ، ثم إحصاء
تركيبات الحروف المعجمة التي تحصل
باعتبار صنف صنف منها ، ووزن وزن من
أوزانهم . وهي التي تعرف عند العرب
بالأسباب والأوتاد ، وعند اليونانيين
بالمقاطع والأرجل الخ والجزء الثاني
المنظر في نهايات الأبيات في وزن وزن ،
أيما منها عندهم على وجه واحد ، وأيما منها
على وجوه كثيرة . ومن هذه أيها التام
وأيها الزائد وأيها الناقص ... الخ والجزء
الثالث يفحص عما يصح أن يستعمل

في الأشعار من الألفاظ عندهم ، مما ليس
يصح أن يستعمل في القول الذي ليس
بشعر ... »^(١)

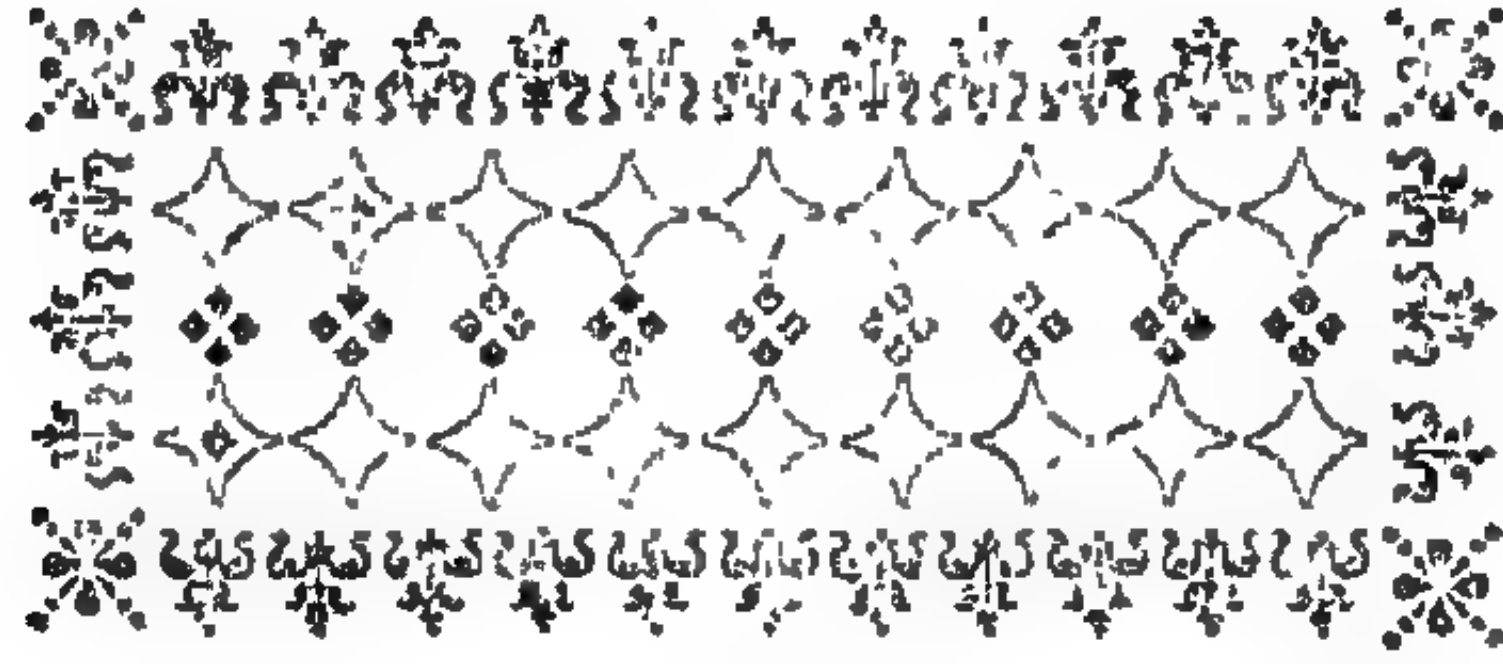
والخلاصة ، فإننا نجد أنفسنا أمام
نظرية لغوية متكاملة وضع الفارابي
الفيلسوف الخطوط الرئيسية لبنيتها
الأساسية . فقد تحدث عن « علم
اللسان » العام وعن أصوله العملية التي
تتشرك فيه ألسنة الأمم المختلفة .
ونظر إلى اللغة نظرة كلية ومتكاملة .
وإن هذه العمومية التي رأها في بنية
علم اللسان العام قد وجدت طريقها
في منهجه العلمي عندما تحدث عن
الأجزاء السبعة العظمى التي رأى أن
علم اللسان ينقسم إليها . وتوقف وقفة
متأنية وعسيفة عند « علم النحو »
سواء ما كان منه عاماً ومشتركا بين
ألسنة الأمم المختلفة أم ما كان نحواً
للسان من الألسنة لأمة من الأمم .
وكان تأكيد العلاقة العضوية بين
اللغة والفكر وبين الألفاظ ومدلولاتها
سمة مميزة لنظريته اللغوية ، وربما

(١) انظر أحياء العلوم ، ص ٦٤ - ٦٥ .

لا نعدو الصواب إذا قلنا ، إنما نلمس
عنده أصول النظرية الحديثة التي دَوَّدَاها
أن الإنسان يفكر من خلال اللغة ، وأن
وضوح اللغة دليل على وضوح الفكرة
وبالتالي فإن سلامة اللغة ودقة التعبير
ترتبطان ارتباطاً وثيقاً بسلامة التفكير .

وكان الفـارابي في كل ذلك يبحث
عن أمثاله في اللغة العربية []
ويشير أيضاً إلى نظائرها في اللغة اليونانية
من أجل توضيح الفكرة وتقريبها إلى []
أذهان المتعلمين .

عبد الكريم خليفة
عضو المجمع من الأردن



مصادر البحث

ابن أبي أصيبعة : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي
الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،
شرح وتحقيق نزار رضا ، بيروت .

إبراهيم مذكور : الفارابي والمصطلح الفلسفي ، الذكرى الألفية لوفاته ، القاهرة ١٤٠٣ هـ -
١٩٨٣ م .

ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، وفيات
الأعيان وأنبياء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، ج ١ - ٨ ،
بيروت ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

الفارابي : أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي ، إحصاء العلوم ، تحقيق
عثمان أمين ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .

الفارابي : أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي ، رسالة التنبيه على سبيل
السعادة ، تحقيق سحبان خليفات ، عمان ، ١٩٨٧ م .

الفارابي : أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي ، رسالتان فلسفيتان ، تحقيق
جعفر آل ياسين ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

الشهرستاني : الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ، مصر
١٣٨٤ هـ .

لغة الوثيقة الدبلوماسية في مغرب الأندلس بين التأثير والتأثر بالنسبة للغات الأخرى للدكتور عبد السهادى التازى

لقد ظلت اللغة العربية هي اللغة الرسمية الوحيدة في ديار المغرب منذ أن احتضن المغاربة الدين الإسلامى وهكذا كان البدء بالتعريب يعطى الأولوية ، حيث وجدنا أن الدول الحاكمة في المغرب تعتمد اللغة العربية في دواوينها ومراسلاتها الدولية وفي سائر الأجهزة التابعة لما نسميه اليوم بالإدارة المركزية .

لقد شاهدنا أن حركة الترجمة على العهد الموحدى كانت من أهم الحركات التى عرفتھا الإمبراطورية المغربية ، وقد عرفنا من خلال الوثائق الدبلوماسية التى يحتفظ بها أرشيف الدولة في بيزرة مثلاً عن عدد من أسماء الشخصيات التى كانت تهتم بالتعريب من أمثال حسن بن أبى على ، وعثمان ابن أبى بكر ، وأحمد بن تميم ومن الطريف أن نجد أن الترجمان لا يوظف من قبل الموحدین إلا إذا زكى من قبل الجهة

وبهذا حافظ المغرب بضرارة على الحرف العربى ولم يرض بديلاً به طوال تاريخه الطويل

وليس معنى هذا أن المغرب كان غير قادر على أن يتوفر على جهاز للترجمة يساعد على ما يرد عليه ، كما يساعد

الأخرى التى يتكلم لغتها ، على نحو
ما نعرفه اليوم من شهادات الإمتحان !
هذا إلى لائحة الترجمة الذين عُرِفُوا
كذلك بأعيانهم وأسمائهم فى عهد
بنى مرين من أمثال عبد الحق الترجمانى
وأبى العباس بن الكماد ، ومسعود
ترجمان أبى الحسن وعمر ابن العجوز
على ما يعرفه الذين يهتمون بالتاريخ
الدولى للمملكة المغربية

وقد علمنا عن بعض الملوك المغاربة
من كانوا أنتمسهم يتكلمون لغات
أجنبية من أمثال السلطان محمد ،
البرتغالى الذى كان يتقن اللغة البرتغالية
ويشيعها فى حاشيته ، وأمثال السلطان
عبد المالك السعدى الذى يعتبر الملك
المغربى الوحيد الذى وقع بعض مراسلاته
بحروف لاتينية ، لقد كان يتقن
الإسبانية ، ويكتبها بسلامة كما يتقن
الإيطالية والتركية والأرمينية . . . إلى
جانب الترجمة المتخصصين فى المهنة ،
وعدهم كثير فى البلاط المغربى وفيهم
من يحسن العربية من الأجانب . . .
ولا بد أن نذكر بهذا الصدد تشجيع

البلاط السعدى لنشر الكتب التى
تعالج قضايا الترجمة على نحو ما
نرى فى (الشذور الذهبية والقطاع
الأحمدية فى اللغة التركية) المؤلف
بأمر الحكومة المغربية . . .

ورأينا على العهد العلوى طائفة
من السفراء الذين كانوا يقضون
الشهور الطوال فى البلاد الأوربية
متفاوضين محاورين ، كما سمعنا عن
أسماء عدد من الترجمة سواء منهم الذين
تمكنوا من اللغات الأوربية بوسائلهم
وطرقهم ، أو الذين درسوها فى أوربا
نفسها وعادوا يعملون فى جهاز الدولة . .
وجميع ذلك يعبر عن إدراك الدولة
لضرورة التفتح على اللغات الأخرى
والاستفادة من المباشرة فى التعامل مع
الأجنبى بالقدر الذى تدعو إليه الحاجة .

وهل نغفل أن جلّ سفراء الدولة
العلوية إلى الخارج كانوا يعرفون لغة
البلاد التى اعتمدوا فيها ، كلاً أو
بعضاً ، بالرغم من أنهم كانوا يصحبون
فى أكثر الأحيان بترجمان من أجل
التثبت حتى لا يقعوا فى أخطاء قد

تضرر بمصالح البلاد على نحو ما رأينا
أيام السعديين وفي العهد العلوي الأول ..

وقد سجل التاريخ الدبلوماسي للمغرب
أن أحد سفراء السلطان مولاي إسماعيل
لدى شارل الثاني ملك إنجلترا كان
يقول الشعر باللغة الإنجليزية . . !

لكن اعتماد الدبلوماسية المغربية على
اللغة العربية كان قضية مبدأ يتخذها
المغرب شعاراً للتعبير عن هويته
الأولى والتأكيد على اختياره للغة .
القرآن .

* * *

وهكذا حرصت الدبلوماسية المغربية
على اعتماد اللغة العربية في مخاطباتها
وفي معاهداتها ، وفي الكلمات التي كانت
تلقونها أمام رؤساء الممالك والدول ،
لأن الأجنبية وقد قرأنا منذ بداية أيام
المرابطين (453 = 1060)

عن خطابات يوسف بن تاشفين لملك
قشتالة باللغة العربية على ما نعرفه
جميعاً عندما استجاب السلطان يوسف

ابن تاشفين لاستنجد أهل الأندلس .
كما سمعنا في بداية أيام الموحدين
(524 = 1129) عن السفير سيدرأى
أبو محمد بن وزير الذي كان
يتعمد الحديث إلى المفاوض القشتالي
باللغة العربية بالرغم من أنه ، أي
السفير ، على علم باللغة القشتالية . . !

كما سمعنا عن « المدارس المشتركة »
بين المسلمين واليهود والنصارى في
الأندلس عن ترجمة ابن سمل الغرناطي
وترجمة القرموطي المرسى (١) .

وحتى في أحلك الظروف التي كانت
تعيشها المملكة الخـلافية رأينا أن
المراسلات كانت تعتمد على اللغة العربية
كأصل ومرجع . . . وأمامنا طائفة مهمة
من الخطابات التي كانت توجه إلى
الممالك والجمهوريات المسيحية في
العصر الوسيط ، كل تلك المراسلات
إنما كانت باللغة العربية الفصحى . . .
وأمامنا كذلك جملة من نصـوص
الاتفاقيات الدولية التي كانت تبرم

بين المغرب وغيره من الأمم باللغة
العربية . . .

[[وثيقتان من العهد الموحدى]]

وقد استمرّ الحال على هذا المنوال
فى عهد المرينيين (657 = 1259)
والوطاسيين (876 = 1471) فى المراسلات
والمعاهدات وتشهد لذلك هذه الجملة
الوافرة من الوثائق التى تزخر بها
الأرشيفات الأوربية . . .

وقد كان الأمر كذلك على العهد
السعدى (918 = 1512) . . . حيث
وجدنا أن الحرف العربى يطوّع
ليس فقط لمعالجة أدقّ المشاكل الدولية
التي كانت تُثار آنذاك ولكنه ، أى
الحرف العربى ، يطوّع لأداء الرسائل
بالرموز السرية التى كانت تخضع
بدورها للإستعمال العربى على نحو
ما رأينا عندما توجهت سفارة مغربية
برئاسة عبد الواحد عنون تفتح بإسم
السلطان أحمد المنصور الذهبى - الملكة
إليزابث - فى شأن تنظيم نزول عسكري
فى الهند الشرقية والغربية لإحكام

الخناق على المصالح الإسبانية حتى تستجيب
لتحرير الثغور المغربية المحتلة .

أما على عهد الدولة العلوية (1050 = 1640)
فعلاوة على ما نعرف ! أذكر بنصوص
العشرات من المعاهدات التى كانت تبرم
بين المملكة المغربية وبين الممالك
والجمهوريات الأوربية والأمريكية ،
والتي كانت جميعها باللغة العربية وليس
بغيرها . . .

ويشعر الإنسان العربى بإعتزاز ما
عليه من مزيد وهو يزور أرشيف الدولة
فى كلّ القواعد الأوربية بل وفى بعض
المدن الثانوية . . . فى نخزائن لندن ،
 وإسبانيا . . . والبرتغال وفرنسا . . .
والدول السكندنافية . . . فى جنوة -
بيزة - البندقية - نابولى - والقواعد
الأفريقية - والولايات المتحدة الأمريكية . .

إنّ المرء ليَجِدُ نفسه أمام وجود عربى
مكشّف يتمثل فى تلك الوثائق التى
حرّرت بلغة التباد من لدن كُتّاب مغاربة
- كانوا فى وقتهم - مسئولين عن التحرير
فى جهاز الدولة . . .

وأحرص بهذه المناسبة على أن أثير الانتباه إلى أن هذا الموقف من المغرب كان له أثرٌ قوى على احتفاظ المجموعة الدولية التي كان يتعامل معها ، أقول على احتفاظها دائماً بأطـر تتعلم اللغة العربية في مختلف المعاهد ، ومن هنا وجدنا أن الباحثين عندما يتحدثون عن ازدهار الدراسات الإستشراقية في العالم الغربي أو يتحدثون عن انتشار اللغة العربية في إفريقيا السوداء لا ينسون أن يذكروا أن من أبرز البواعث لذلك الشعور بالحاجة لمعرفة ما كان يصدر إلى تلك الدول وتلك الممالك عن المغرب من مراسلات باللغة العربية ، وما يتردد عليهم من سفارات مغربية كانت تعتمد تلك اللغة في حديثها ، ومعاملاتها . . .

ومن أجل كل ذلك فليس من الغريب أن نجد أن اللغة التي كان يخاطب بها المغرب سائر الدول التي كان يتعامل معها ، كانت تعتمد أساساً على اللغة العربية ، ومن أجل ذلك أيضاً نرى أن المغرب لم يكن بمستعد لقبول

المراسلات وقبول مناقشات بنود ، الإتفاقيات إذا لم تكن مكتوبة بلسان عربي !

ومن هنا أيضاً وجدنا المغرب يرفض الرسائل الواردة عليه من أوروبا بل ومن تركيا إذا لم تكن مصحوبة بترجمة لمضمونها .

وهكذا وجدنا سفيراً مغربياً بفرنسا يرفض أن يجلس على طاولة المفاوضات دون ما أن تحرر نصوص البنود باللغة العربية . . . كما وجدنا سفيراً آخر يرفض عام 1777 = 1191 أن يقبل ترجمة بالعربية لرسالة بالفرنسية من لويس الرابع عشر دون ما أن تكون موقعة من طرف وزير الحربية على ما هو الحال في الأصل الفرنسي ، حتى تكون النسخة المعتمدة هي المكتوبة باللغة العربية ! .

وهكذا أيضاً وجدنا أن الملك محمد الثالث يأمر وزيره محمد بن أحمد الدكالي بإرجاع رسالة محررة بالتركية إلى الوزير العثماني محمد سلاحدار باشا

حتى يكتبها هذا باللغة العربية ، مع العلم أن البلاط الملكي بالمغرب - كما أسلفنا - يتوفر على قامم للترجمة . « . . . فإن كنت - أبقاك الله - موجهاً بعد مسطوراً فلتجعل مضمونه كله تركيباً عربياً مشهور لنقف إذ ذاك منه على المرام ونتلقى كل ما في ضمنه بجميل الإيعاف والإكرام . . . » على حدّ تعبير العامل المغربي رحمه الله في رسالته بتاريخ 24 جمادى الأولى 1194 = 5 - 28 - 1780 .

أكثر من هذا نجد أن المغرب كان يحمل الذين يخاطبونه من الدبلوماسيين الأجانب ، بما في ذلك الذين يعيشون معه على أرضه ، كان يحملهم على مخاطبة الحكومة المغربية بلسانها الرسمي أى باللغة العربية . . . وهكذا تكتظ الأرشيات داخل المغرب وخارجها بآلاف الرسائل الموجهة من أعضاء السلك القنصلي والسياسي إلى الدولة المغربية وكلها مكتوبة باللغة الرسمية للدولة . .

إنّ الممثلات الأجنبية بما فيها ممثلية بريطانيا وفرنسا وإسبانيا وأمريكا ،

بل ودول أمريكا الجنوبية : فنزويلا - البرازيل - المكسيك - كواتيمالا - الأرجنتين . . . كانت لا تخلو جميعها من ترجمان ملحق بها لتحرير الرسائل بالعربية . .

ولعلّ ما يكشف عن الصدى الواسع الذي كان للغة العربية في مختلف جهات المملكة أن أحدا من الملوك السابقين واللاحقين ، كيفما كان مصدره ومورده ، لم يسمح إطلاقاً بالإخلال بهذه اللغة التي كان المغاربة وما يزالون يعتبرونها ضمن مقدساتهم ، الأمر الذي فرض هذه اللغة أيضاً على الممالك والجمهوريات التي كانت على مرمى ميجراته من المغرب في حوض البحر المتوسط ، حيث نكتشف بكل سهولة مئات الكلمات العربية التي انسابت عبر البحر لتدخل في لسان القوم من إسبانيا وبرتغال ووليان وفرنسيس وإنجليز . . ثم لتتحول من القارة الأوربية إلى أمريكا الشمالية والجنوبية حيث يشتغل الباحثون اليوم بمجرد الكلمات العربية التي رحلت إلى القارة الأمريكية من المغرب عبر إسبانيا والبرتغال وغيرها

وهنا سأتخلص للمعجم الدبلوماسي الذي
اعتكف هذه الأيام على تخريجه من
مختلف الوثائق التي تتصل بالتاريخ
الدولي للمغرب .

لقد تجلّى لي وأنا أمارس كتابة
ذلك التاريخ أن المكتبة العربية بحاجة
ماسة إلى معرفة وجه من وجوه التفاعل
التي بين الشرق والغرب والشمال والجنوب
ما كان يستحق أن نمرّ عليه مروراً
عابراً . . .

وستكون خطتي في هذا المعجم أن
أوزّعه على خمسة فصول : الأول :
للمفردات العربية التي دخلت في
الاستعمال الدولي للأمم الأخرى عبر
الوثائق الدبلوماسية المغربية .

الثاني : المفردات الأجنبية التي دخلت
الوثيقة الدبلوماسية المغربية . . .

الثالث : الطرق والأساليب التي تأثر بها
طرف ما بالطرف الآخر .

الرابع : المصطلحات والألفاظ العامية
المستعملة في الوثيقة المغربية لتقريب
الشقة . . .

الخامس : الأمثال والتعابير التي لها
صبغة دولية . . . أو التي ترددت فيها
أعلام جغرافية أو شخصيات أجنبية . . .
وهكذا سنكون لأنفسنا فـكرة عن
الموضوع أتمنى أن تكون نواة لوضع
معجم يشمل البلاد العربية كلها .

وسيقصر تدخلي اليوم على :

استعراض نماذج من المفردات العربية
التي وجدناها ترحل إلى الجهات الأخرى
معتمداً في هذا على ما يوجد في الأرشيفات
الأوربية والأمريكية وعلى المجاميع التي
دوّنت منذ التاريخ المبكر حول هذه
الوثائق ، كما اعتمد على المؤلفات
التي صدرت حول ما يمكن أن يستخلص
من تلك الوثائق . . .

فيما يتصل بهذا الفصل الأول أذكر
أن من بين الكلمات التي عرفت في المجاميع
الوثائقية :

الأمان . . . Aman

الأمير . . . Emir

أمير البحر . . . Amiral

الأمين . . . Amine

| | | | |
|------------|----------------------------|----------|-------------|
| Camphre | كافور | Albara | البّراءة |
| Alcol | الكحول | Barda | البردة |
| Amalgame | الملغم | Baraka | البركة |
| Mastic | المصطكي | Burnos | البرنس |
| Mostaghil | المستغل | Drogman | ترجمان |
| Zazir | الناظر | Tenfid | التنفيذ |
| Anbare | العنبر | Tarif | التعريف |
| Algarade | الغارة | Al Jabi | الجابي |
| Algazelle | الغزال | La Jarre | الجرّة |
| Fez | فاس (الطربوش) | Haik | الحايك |
| Alcove | القبّة | Alfa | الحلفاء |
| Fondoq | فندق | Halka | الحلقة |
| Alcade | القاضي | Khan | الخان |
| Caide | القائد | Magasin | المخزن |
| La Gabelle | القبالة | Mokhtaf | المخطاف |
| Coton | القطن | Assenal | دار الصناعة |
| Cafis | القفيز | Douane | الديوانة |
| Surriach | السرياق (الحبل) | Rotle | الرطل |
| Zeccha | السكة | Matzen | ما يازم |
| Sultan | السلطان | Mamelouk | مملوك |
| Sumac | السماق (تنوع من التوابل) | Tartere | التردي |
| Mosril | المشرف | Safran | الزعفران |
| Wali | الوالي | | |

| | | |
|---------------------------------|----------|-------------------------------------|
| Honorable | النورابل | وفيما يتصل بالفصل الثاني يمكن أن |
| Sacca | الصاكة | نقسمه حسب أصوله إلى قسمين : |
| Golf | الغولف | الأول الأصل الأروبي والثاني : الأصل |
| Faveur | الفابور | التركي أو الفارسي ففيما يتصل ببعض |
| Rafriichisse Ment | الفريشكو | المفردات التي هي من أصل أروبي : |
| Fanega | الفنيكة | الآرمادا Armada |
| Corsal | القرصال | انجينيور Ingenieur |
| Sota | سوطا | البابور Vapeur. |
| Sambriro | الشميرير | باصبورت Pasport |
| وفي الكلمات التي ترجع لأصل تركي | | باساجير Passagere |
| نذكر بعضها على النحو التالي . | | البنديرة Bandira |
| الإنكشارية : Les Jenissaires | | البوكاٹو Avocat |
| بقشيش | | بيلوط Pilote |
| الطبيعية | | الكادش "Calesa" |
| الكاهية أو الكيخيا | | كانابى Canape |
| المنجنيق | | كنطرباند Contrebande |
| الصايجي | | الكشينة Cuisine |
| السنجق الراية | | الكورطاوية La Courtoisie |
| السفرجي | | الكومانية (المؤنة) Camino |
| الجمري | | الكيرة Guerra |
| الياتاغان | | ميركانطى Mercantil |
| اليولدلاش أو اليولظاش | | النمره Numero |

ويحتوى الفصل الثالث المتعلق
بالمصطلحات والألفاظ العامة على جملة
من الكلمات نذكر منها :

الإدالة : الحامية

الإمارة : الشفيرة

الإقامة : الأدوات

التفكرة : التذكرة

«تهاود» معه فى الثمن

الجنس : الدولة

حرث : غرق

الحناطى ج حنطة : المهنة

نخرج بلادنا . . شكلها .

خط اليد : التوقيع

الخفيف : الرصاص

الخوارجى الذى لا مبدأ له .

الرقاص : ناقل البريد

زراً عليه : رغماً عنه .

الطاروق : المدفعية

الطاغية : رئيس الدولة

الطالوع : الفائدة النقدية

الطبلية : دراهم الخراج

الظهير : المرسوم الملكى

المصرية : البيت

المقدم

المزوار : النقيب

الموجب : شهادة اللفييف

الصقلبية : الحجرة

الضييف : الملك

العمارة : المركب الأسكول

العشّار : الجاني

الغرامة . . . مكيال

الفرقونة : العاصفة البحرية

قلّب : فتّش

تسبّب : اتجر

ساقطه : أرسله

الوجبة : الفرصة

وتحتفظ الوثيقة الدبلوماسية فى

المغرب القديم والحديث بكتابة الأرقام

على الطريقة التى عرفت فى الموسوعات

العالمية بإسم «الأرقام العربية» وكان

من أقدم المخطوطات التى حملت هذه

الأرقام المعروفة بالقلم الغبارى هى مخطوطة

ابن الياسمين (ت 600) . . .

وقد كانت الرسائل الدبلوماسية تحمل التاريخ بالأرقام العربية في الرسائل التي راحت إلى جان الثالث ملك البرتغال بتاريخ 24 صفر 932 . . .

ومن المعروف أن هذه الأرقام العربية نقلت إلى أوروبا على مرحلتين أو ثلاث مراحل : مرة أولى مع سيلفسر الثاني عندما ورد على الأندلس والمغرب تحت اسم جيرير دوربيالك . . .

ومرة ثانية عند بداية العهد الموحدى عندما كانت البعثات التجارية الأجنبية ترد على الموانئ المغربية لتختلط مع رجال الديوانة الموحدية وتستمد منها طريقة التعامل على ما يحكيه أولئك التجار أنفسهم . . .

على أن هناك طابعاً آخر يميز الوثيقة الدبلوماسية المغربية : تلك اعتماد التاريخ الهجرى كأساس لتاريخ المراسلات تعبيراً عن الدولة عن الهوية الإسلامية للجهة التي تراسلها أو لم يكن هناك مانع أحياناً من إثبات التاريخ الميلادى الذى لم يكن بعيداً عن المغاربة وهم شعب فلاح كما نعلم . . .

على أن هناك ظاهرة أخرى تميزت بها الوثيقة الدولية في المغرب تلك هي التوقيعات والأختام التي تكون وحدها مادة في علم السيجيلوغرافيا (La Sijillographie)

ومن الطريف أن نجد هذه الأختام تحمل مرة آية أو حديثاً أو حكمة . . . وربة بيتاً من الشعر على ما نرى في الأختام العلوية طوال أكثر من قرن ونصف من عهد محمد الثالث 1171 = 1757 إلى

محمد الخامس . . .

نقد كان بيتاً من بردة الإمام البوصيرى رددت صداه القصور الملكية في أوروبا . . . وكان مصدر استفسار من الرئيس جورج واشنطن عندما وقعت عينه على الحرف العربى لأول مرة وهو يتلقى نصوص التصديق على نصوص الإتفاقيات المغربية الأمريكية :

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نُصْرَتُهُ

إِنْ تَلَقَّه الْأَسَدُ فِي آجَامِهَا تَجْم

ويجربنا الحديث من التوقيعات والأختام إلى ما تضمنته الوثيقة الدبلوماسية من تعابير خاصة تستدعى منا الوقوف عندها . . .

وأعمل من الطريف أن نسمع عن أن
المخاطبات الدبلوماسية المغربية ظلت
إلى العهد القريب تحيى ملوك ورؤساء
الدول بعبارة «السلام على من اتبع
الهدى» لقد حيى بها محمد الثالث
جورج واشنطن والإمبراطورة كاثرينا
وسائر ملوك أوروبا بالرغم مما كانت
تشير به هذه العبارة التي استعملها الرسول
مع مخاطبيه من كسرى فارس وهرقل
الروم . . .

وقد كان من العبارات التي وردت في
بعض المراسلات والاتفاقيات الدولية
تلك العبارة التي تعتبر اليوم أساساً من
أسس القانون الدولي ، ويتعلق الأمر
بشرعية حماية الراية للبضاعة . . فقد
صار من العبارات المرددة : «البنديرة
ضامنة» أي أن العلم يحمي ما في المركب !!

ومن العبارات التي استعملت في
الوثيقة الدبلوماسية : «أعطاه القدرة»
ليقوم بكذا « أي أعطاه الصلاحية أو
التفويض أو سلّمه أوراق الاعتماد .

وقد وجدت بعض الرسائل الموجهة
للكوك أوروبا تستعمل عبارة ماتزال العامة

إلى الآن تستعملها - على نحو ما يستعملها
الناس في الجزيرة العربية : «والله إلا»
كان كذا وكذا . . مع حذف كذا وكذا . .

وقد كان مما أثار انتباهي في التعامل
الدولي للمغرب أن يُعبر عن وصول
العلاقات بينه وبين غيره من الأمم
درجةً عليا في الترابط والتواصل . . .
أن يعبر عن ذلك بعبارة عربية صحيحة ،
ألا وهي تهادى الصقور والبزاة . . وما
يصحبها من أدوات دقيقة باللغة الغاية

في الدلالة على الرقة والتحضر والرفاة . .
وإذا ما طرّقنا باب المثل . . فإننا
سنقف على منجم من الأمثال التي تسجل
حدثاً أو تعبر عن فكرة أو تؤدي معنى
يرتبط بأمة ما من المجموعة الدولية
أو بموقع جغرافي ما من أطراف الدنيا . .

سأكتفي بالإشارة إلى بعض الأمثال
تاركاً شرحها لوقت الحاجة :

إذا تخاؤوا الجنوس مابقى في الغرب
جلوس !

حالته كحالة فيرناندو !

راى تلمسان جأ يضرب الباكورة
أخطأ الجنان !

فعايل الكريك !

شروط الخزيرات . . .

الله يعبيك لماطة . . لافرش لاغطا !

أدهى الناس ثلاثة : الإنجليز وصياد
القرب ومولاى العربى الدرقاوى !

الألمان إذا دبر والنجليز إذا بحر .
والفرانسيس إذا جدر !

إنما يخاف الفيل من الفار ! !

إن للمصالحة وقتاً ينبغى للحكيم
حفظه !

خير الجهاد ما استطعته !

بات فى الحبس ولاتبات فى الكاغط . ! !

التجار السنة الزمان .

حج ودار على برقة ومابقت فيه
مرقة !

حصدناهم بالمناجل !

الخدمة مع النصارى ولا الجلوس
خسارة .

ذهب الحمار يطلب قرنين فراح
ملا أذنين !

الرأس الى مايدور كدية .

لاتكونشى روسى ! !

الى ما عندوش العسل فى أركانه يعملها
فى لسانه !

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة
* يضررس بأنياب ويوطأ بمنسم !

تجمع فيه كل لسن وأمة
* فما يفهم الحداث إلا التراجم .

صحبة العلوج حرثة المروج .

فلوس النصارى تيمشيوا فى الضد
والعناد .

وفلوس اليهود فى السبت والأعياد .

وفلوس المسلمين فى الحج والجهاد .

العداوة ثابتة والصواب يكون !

علق البنديرة ! !

القادم يزار . . .

وأخيراً فإن مما يدخل فى إطار ضرب
المثل . . . مايتصل بفكرة عمليات

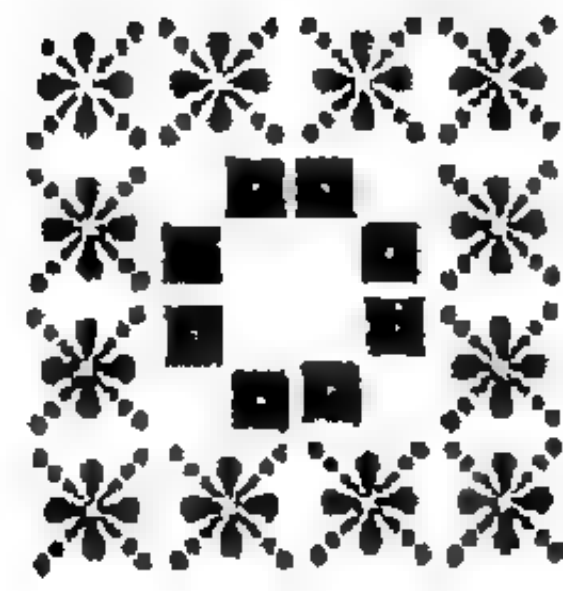
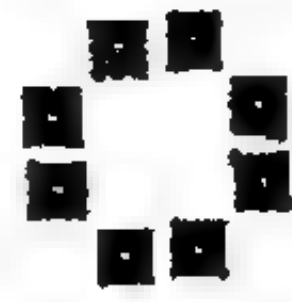
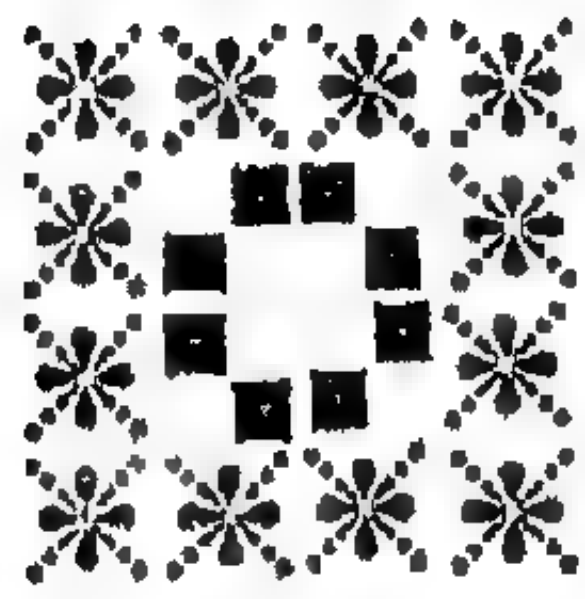
«توأمة» المواقع مشرقها ومغربها حيث
نجد عدداً من الأعلام الجغرافية المعروفة
بالمشرق تعطى لمواقع بالديار المغربية

تعبيراً عن التعلّق بالمكان ومّن يحلّ ذلك
المكان . . .

ففي المغرب هناك عدد من الأماكن
التي تحمل أسماء مثيلات لها في المشرق ،
وأكتفى هنا بذكر « القاهرة » التي يعرفها
موقع معروف في جنوب المغرب ، وهكذا
فلمغرب قاهرته كما لمصر قاهرته . . .

هذه فقط رؤوس أقلام للمعجم
الذي أعده هذه الأيام على هامش كتابي
التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، ذلك
المعجم الذي سبق لي أعطيته الإشارة
إليه بتاريخ 1986/11/10 في مراسلاتي
للمجامع التي أتشرف بالانتساب إليها
وعلى رأسها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،
وذلك بمناسبة إثارتى لكلمة « القرصلة
والقرصنة . . .

عبد الهادي التازي
عضو المجمع المراسل من المغرب



قصيدة "تحية ومودة وأسى"

للدكتور إبراهيم السامرائي

سَعَيْتُ بَعْدَ ثَلَاثِ أَيْتَغَى أَرْبَى
وَعُدْتُ بَعْدَ ثَلَاثِ أَرْتَعَى أَمْسَالاً
حُلَّيْتُ عَنْ مَوْرِدِ عَذْبٍ غَرَضْتُ لَهُ
عَقَدْتُ فِي شَامِخِ الْأُرْدُنِّ آصِرَتِي
وَفُزْتُ فِيهِ ، وَلِي أَهْلٌ جَعَلْتُ بِهِمْ
أَتَعَبْتُ نَفْسِي ، فَلَمْ أَحْمَدْ مَسِيرَتَهَا
وَقَدْ دَرَجْتُ ، وَدَأْبِي فِيهِ فِي صَعَدِ
وَقَدْ صَرَفْتُ إِلَى «صِنْعَاءَ» وَافْدَائِي
وَقُلْتُ : لَا بُدَّ فِي «صِنْعَاءَ» لِي رَحِمٌ
قَصَدْتُهَا ، وَرَمَيْتُ الطَّرْفَ مُحْتَسِباً
وَعُدْتُ أَضْيَعَ مَأْسُورٍ ، وَآسِرُهُ
قَدْ حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَهْلِ فِي بَلَدِ

وَقَدْ تَخَيَّبُ الْمُتَنَّى فِي سَعَى مُغْتَرِبِ
مُنَى ضُرُوباً وَأَلْفَاظاً مِنَ الْأَدَبِ
وَالْعَذْبُ أَنْفَسُ مَا أَبْغِيهِ فِي طَلْبِي
وَبُنْتُ عَنْهُ ، فَلَمْ أَعْلِمْ بِهِ نَسَبِي
وِقَاءً مَا أَتَرَدَّى فِيهِ مِنْ وَصَبِ
وَقَدْ تَسَلَّقْتُ سَفْحَ الطُّودِ فِي تَعَبِي
حَتَّى فَطَنْتُ ، وَسَعَى فِيهِ فِي صَبَبِ
وَقَبِلْتُ كُلَّ «نَجْمٍ» ثَاقِبٍ «نَدَبِ»
جَدَاءً ، لَمْ أَتَّخِذْ يَوْماً لَهَا سَبَبِي
أَنْ أَلْتَقِيَ الْبَلَدَ الثَّائِي عَلَى اللَّهَبِ
ذُئِبُ النَّوَى ، يَا لَبُؤُسِ النَّازِحِ الْحَرَبِ
سَمَا بِهِ كُلَّ مَعْدُودٍ مِنَ النُّخَبِ

* * *

يَا وَيْلَ بَغْدَادَ مِنْ ظُلْمٍ أَعَدَّ لَهُ
يَا خُسَرَ عَانِينَ رَا حُوا يَبْتَغُونَ بِنَا
أَيُّغْتَلِي كُلُّ هَمَامٍ إِلَى السَّلَابِ
لَا ، لَنْ يَجِيءَ إِلَى مَارَامٍ مِنْ خَبَثِ
قَدْ أَنْكَرُوا الْخَالِصَ الْمَأْثُورَ فِي الْكُتُبِ

ذُو بَغْضَةٍ بَاتَ يُذَكِّي النَّارَ فِي الْحَطَبِ
مَا يَبْتَغِي كُلُّ مَسْعُورٍ مِنَ الْكَلْبِ
وَيَخْلِطُ الْأَفْنَ الْمُرْذُولَ بِالْكَذِبِ !!
وَكَيْفَ يَسْطِيعُ مَشَاءٌ إِلَى الْغَلَبِ
أَوْ لَا ، فَكَيْفَ الَّذِي مِنْ جَارِنَا الْجُنُبِ

* * *

وقد شَرَّتَنِي ، وباعَتْ بِبَيْعٍ مُّقْتَضِبٍ
أَنْ أَسْعَفَتْ بِإِقْمَاءِ السَّادَةِ الذُّجُبِ

وَيَحْ النُّوَى ، أَخَذَتْنِي أَخَذَ مُقْتَسِرٍ
لَا أَكْذِبُ اللَّهَ ، لَمْ أَعْلِمُ بِهَا غَرَضاً

* * *

مَا دُمْتُ تَحْرِصُ حِرْصَ الْوَالِدِ الْحَدِيبِ
عِلْماً فَيَعْمُرُ مَا تُعْطِيهِ مِنْ كَثِيبِ
مَانُورُوا فِيهِ مِنْ إِشْعَاعِنَا الْعَجَبِ
نُورُ « الْكِتَابِ » الَّذِي أَرْبَى عَلَى الْكِتَابِ
وَاسْتَمْرُؤُوهَا فَطَابَتْ زُبْدَةُ الْحَدِيبِ
وَكَانَ مِنْهُ جَنَى مَعْسُولَةِ الرُّطَبِ

يَا صَاحِبَ الْبَيْتِ مَعْمُوراً تَجُودُ لَهُ
سَاحَةً ثَرَّةً قَدْ رُحِتَ ثُرْسَالُهَا
حَبَاكَ صَفْوَةُ قَوْمٍ كُلُّهُمْ قَمَرٌ
مَشَوْا إِلَى الْكَلِمِ اللَّائِي أَضَاءَ بِهِ
تَحَلَّبُوهَا فَأَهْدَتْ دَرَّ سَامِحَةٍ
وَكَانَ مَا كَانَ مِنْ نُعْمَاهُ أَصُورَةٍ

* * *

فِي حَاضِرٍ يَتَشَهَّى عَوْدَةَ الْحَقِيبِ
كَانَتْ لِأَسْلَافِنَا فِي مَعْقِلِ أَشِيبِ
عَلِقْتُ مِنْهُ ، وَلَمْ أَسْمَعْ لِمُحْتَطِيبِ
صَحْبٌ تَسَامَوْا عَنِ الْمَرْهُوِّ بِالرُّتَبِ
عُقْبَى الَّذِي جَلَّ عَنْ شَاكٍ وَعَنْ رِيَبِ

يَا صَاحِبَ الْبَيْتِ ، إِنَّا أُمَّةٌ شَقِيبَتُ
أَنْبِيَاكَ أَنَا أَضَعْنَا مَجْدَ عَامِرَةٍ
وَأَنْنَى جِئْتُ أَشْدُو بَعْضَ عَارِفَةٍ
فِي جَمْعِكُمْ عَزَّ مِنْ جَمْعٍ تَأَلَّفَهُ
حَمَلْتُمُ الْعِبَاءَ ، بَلْ حُزْتُمْ بِهِ شَرْفَاً

* * *

فِي حَاضِرٍ تَتَرَامَاهَا يَدُ النُّوبِ
وَنِلْتُ مِنْهَا ، وَقَدْ حَقَّقْتُ مِنْ أَرْبَى
صَيْدُ الرِّجَالِ ، فَكَانَتْ زِينَةُ الْخِطَابِ
وَهِيَ السَّاحَةُ فِي الْآفَاقِ وَالرَّحَبِ
جَمْعُ الْوَرَى ، وَهِيَ صَوْتُ الْجَحْفَلِ الدَّجِيبِ
مِنَ اللُّغَاتِ الَّتِي خَفَّتْ إِلَى الْجَشِيبِ

إِنَّ الَّتِي بَتُّ مِنْ أَحْلَامِهَا قَلِيقاً
سَعِدْتُ فِيهَا عَلَى مَرٍّ مِنَ الْحَقِيبِ
مَشَتْ عَلَى الدَّهْرِ ، بِنْتُ الدَّهْرِ يَخْطُبُهَا
وَاسْتَقْبَلَتْهَا رُبُوعٌ لَاحِدٌ لِدُودِهَا
وَقَدْ تَحَلَّى بِهَا مِنْ غَيْرِ آهٍ لِيهَا
حَوَتْ لُثَايُ ، لَمْ تُعْرِفْ بِعَامِرَةٍ

ولم تَقِفْ عند هذا، بل شأت عَدَدًا
زَكَتْ وطابَ لها عِرْقُ تَكَمُّلِهَا
صَحِبَتْهَا فَنَمَتْ فِي صُحْبَتِي مَقَّةً
لَزِمَتْهُ فَهَلْدَانِي بِعُضْ صُحْبَتِهِ
وَجَدْتُهُ فَوَجَدْتُ الْعِلْقَ يَنْقُصُهُ
ولم أَشِخْ عَنْ حَصَاهَا، جَلَّ عَنْ شَبَةِ
وقد يَشْوُقُكَ بِعُضْ السُّخْرِ فِي حَجَرٍ
وَحُلُوهُ حُلُوٌّ مَا اسْتَصْفَيْتُ مِنْ مُلَحٍ
إِنِّي لَأَقْتَحِمُ الْأَسْرَارَ فِي شَطِيفِ

* * *

وَقُلْتُ : هَا مِصْرُ قَدْ عُدْنَا وَعَادَ بِنَا
رُحْنَا نَزْمُ خَرَابٍ بَاتَ يَنْقُضُنَا
كَأَنَّنَا لَمْ نَرِثْ مِنْ غَابِرِ الْقَدَا
أَنْتَضَى أَنْ يَسْوَدَ الْكُفْرُ فِي بَلَدِ
يَسُومُنَا الْخَسْفَ لَمْ نَشَأْ لِمَ ظَلَمَ
لَهْفِي عَلَى الرَّبَوَاتِ الزُّهْرِ عَفَّرَهَا
وَيَا رَبِّي « الْقُدْسِ » وَافَاكِ الرِّفَاقُ بِمَا
حَمِدْتُ فِيكَ الْأَلَى اخْتَارُوا سِلَاحَهُمْ
فَلَدَاكَ أَجَلِي عَلَيْنَا مِنْ رُفْهَنِيَّةٍ
لَمْ نَعْتَبِرْ بِالَّذِي يُرَوَى لَنَا عَجَبًا
إِنِّي لَأَنْفُ مِنْ بَعْضِ تَخَطُّفِهِمْ
وقد أَعَانُوا « بَلَاغِي » لَاغْنَاءَ بِهِ

من المعارف في الأجواء والشهب
بِمَا غَدَتْهُ مِنْ أُمِّ بَرِّقٍ وَأَبِ
مَشَتْ إِلَى كُلِّ عِرْقٍ غَابِرٍ تَرِبِ
إِلَى مَكَارِمِ هَذَا الْخَالِصِ الذَّهَبِ
أَشَابَةُ حَفَلْتُ بِالتَّبْرِ وَالْحَصَبِ
بَلْ جُلْتُ فِيهِ، وَلَيْسَ النُّبُعُ كَالْغَرَبِ
كَمَا تَرَى الْأَلْقَ الْمَنْصُورَ فِي خَشَبِ
فَخَلَّ عَنْكَ بَعِيدًا شَهْدَةُ الضَّرْبِ
مِنَ الْأَوَابِدِ ثَمًّا لُفَّ بِالْحُجُبِ

مَا ضَمَّ مِنْ حَاضِرٍ أَوْفَى عَلَى الشَّجَبِ
مِنَ الْقَوَاعِدِ، بَلْ رُحْنَا إِلَى صَخَبِ
يَبْدُو عَلَى مَا أَضْعَانَاهُ مِنَ الْحَسَبِ
أَسْرَى إِلَيْهِ نَبِيُّ الْعُجْمِ وَالْعَرَبِ
وقد تَحَوَّلَ مَعْمُورٌ إِلَى خَرِبِ
دَمُّ الشَّهَادَةِ مَطْلُولًا عَلَى التُّرْبِ
يَزِيدُ سِحْرًا عَلَى أَثْوَابِكَ الْقُشْبِ
« حَجَارَةٌ » كَرُمْتَ كَالسُّمْرِ وَالْقُضْبِ
إِنْ كَانَ كُلُّ الَّذِي نَبَغِيهِ فِي الْخُطْبِ
مَا قِيلَ مِنْ فَعَلَاتِ الْخُرْدِ الْعُرْبِ
مَا زَانَهُمْ فَارْتَمَوْا فِي نَشْوَةِ الطَّرْبِ
وَذَاكَ أَعْظَمُ مِمَّنْ لَازَ بِالْهَرَبِ

لو أَنَّ قَوْمِي أَفَاقُوا مِنْ عَمَائِيَّتِهِمْ
إِذَنْ لَأَمْنْتُ أَنَا أُمَّةٌ فَطَنَتْ

وَقَدْ تَدَاعَوْا فَشَارَتْ سَوْرَةُ الْغَضَبِ
لِيَمَا يُحْيِقُ « بِأَقْصَاهَا » مِنَ الْكُرْبِ

* * *

يَا مِصْرُ ، يَا مِصْرُ أُمَّ الْوَافِدِينَ إِلَى
مَشَاوِي إِلَيْكَ ، وَكُلُّ يَجْتَدِيكَ إِلَى
يَسْتَلْهِمُونَ نَجِيعَ التَّضَحِيَّاتِ هُدًى
وَحَسْبُهُمْ كُلُّ شَبِيرٍ جَلَّ مَعْلَمُهُ

رِحَابِ مَجْدِكَ مِنْ مَوْرُوثَةِ الْخَضْبِ
« صَعِيدِ » أَرْضِكَ بِالْأَمْجَادِ مُخْتَضِبِ
بَادِي الشَّوَاهِدِ مِنْ آتِي دَمٍ سَرِبِ
وَبَيْضَةِ الْمَجْدِ لَمْ تَهْرَمَ وَلَمْ تَشِبِ

* * *

يَا مِصْرُ إِنْ هَزَّنِي لُقْيَاكَ يَا سِرْنِي
فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى أَمْرٍ وَجِئْتُ لَهُ
وَذَاكَ أَنَّ صَحَابًا قَدْ عَرَفْتَهُمْ
بِهِمْ غَنِيَتْ ، وَقَدْ حَقَّقْتُ نَافِلَةً
طَوَّأُوا ، وَأَمْرِي مِنْهُمْ أَمْرٌ مُحْتَسِبِ
بِكَيْثُهُمْ ، وَبِكَائِي زَفْرَةٌ صَعِدَتْ
وَقَدْ أَسَوْتُ إِلَى جُرْحِي بِبَعْضِ أَسَى
طَوَّأُوا شُخُوصًا ، وَعِنْدِي مِنْ سَرَائِيهِمْ
لَكِنِّي رُحْتُ فِي تَيْهَاءِ مُظْلِمَةٍ
وَبِي تَعْلَةً مَا أَلْفَى بِهِ سَعَةً

وَقَدْ سَعَيْتُ إِلَيْهِ سَعَى مُرْتَقِبِ
وَنَالَ مِنِّي مَا قَدْ نَالَ مِنْ نَصَبِي
طَوَّأُوا فَرُحْتُ أَعَانِي أَيْ مُضْطَرَبِ
أَنْ كَانَ فِي « رُفَقَاءِ » الْأَمْسِ مُطْلَبِي
وَبِنْتُ عَنْهُمْ ، وَصَبْرِي صَبْرٌ مُحْتَرَبِ
تَهْدٌ مِنْ صَبْرٍ مُلْتَمَعٍ وَمُلْتَهَبِ
عَنْ بَعْضِ مُبْتَدِعٍ فِي شَخْصٍ مُقْتَرَبِ
كَأَنَّ مِنْهَا ظِلًّا لَا قَطُّ لَمْ تَغِبِ
كَأَنَّهَا الْبَحْرُ ذُو التِّيَّارِ وَالْعَبَبِ
أَغْنَى بَهَا فِي وَجُودِ عَابِسٍ شَحْبِ

ابراهيم السامرائي

عضو المجمع المراسل من العراق

أثر الشؤون الاجتماعية في خصائص اللغة وتطورها بوصفها أهم وسيلة للإعلام (*) للككتور على عبد الواحد وافي

تشأثر اللغة في خصائصها وتطورها بعوامل كثيرة ، يرجع أهمها إلى الشؤون الاجتماعية ، وهى التى تتمثل في حضارة الأمة ، ونظمها ، وعاداتها وتقاليدها ، وعقائدها ، ومظاهر نشاطها العملى والعقلى ، وثقافتها العامة ، واتجاهاتها الفكرية ، ومناحى وجدانها ونزوعها ... وهلم جرا - وسنقصر بحثنا على هذا النوع من العوامل .

١ - فكلمنا اتسعت حضارة الأمة ، وكثرت حاجاتها ومرافق حياتها ، ورقى تفكيرها ، وتهذبت اتجاهاتها النفسية ، نهضت لغتها ، وسميت أساليبها ، وتعددت فيها فنون القول ، ودقت معانى مفرداتها القديمة ، ودخلت فيها مفردات أخرى عن طريق الوضع والاشتقاق

٢ - وانتقال الأمة من البداوة إلى الحضارة يهذب لغتها ، ويسمو بأساليبها ويوسع نطاقها ، ويزيل ماعسى أن يكون بها من خشونة ، ويكسبها مرونة في

(*) ألقى هذا البحث على مجلس المجمع يوم الأربعاء ٢٧ / ٢ / ١٩٨٨ م .

التعبير والدلالة . وإن موازنة بين حالة اللغة العربية في عهد بدو العرب قبل الإسلام وحالتها في عهد حضارتهم الإسلامية أو بين ما كانت عليه عند أهل البادية في عصر ما وما كانت عليه في العصر نفسه في الحضر لأصدق دليل على ما نقول وإن البدوى الذى لم يلهمه شيطانه في مدحه للأمير أحسن من قوله :

أنت كالكلب فى حفاظك للعهـد

د وكالتيس فى قراع الخطوب

ثم أخذ يشبه مظاهر مجد الأمير بنظائرها عند الحيوان المستأنس وغيره هذا البدوى نفسه قد استطاعت قريحته ، بعد أن هذبتها حضارة بغداد ، أن نجود بمثل قولة :

عيون المهابين الرصافة والجسر

جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

٣- ومظاهر النشاط الاقتصادى تطبع اللغة كذلك بطابع خاص فى مفرداتها ومعانيها وأساليبها وتراكيبها . ومن ثم اختلفت مظاهر اللغة فى الأمم والمناطق تبعاً لاختلافها فى نوع الإنتاج ، ونظم الاقتصاد ، وشئون الحياة المادية ، والمهنة السائدة (الزراعة ، الصناعة ،

التجارة ، الصيد ، رعى الانعام . . . الخ) . وقد تؤثر هذه المظاهر فى أصوات اللغة نفسها . فقد يؤدى نوع العمل الذى يزاوله سكان منطقة ما إلى تشكيل أعضاء نطقهم فى صورة خاصة تتأثر بها مخارج الحروف ونبرات الألفاظ ومناهج التطور الصوتى .

٤- واللغة مرآة ينعكس فيها كذلك

ما يسير عليه الناطقون بها فى شئونهم الإجتماعية العامة . فعقائد الأمة وتقاليدها ، وما تخضع له من مبادئ فى نواحي السياسة والتشريع والقضاء والأخلاق والتربية وحياة الأسرة ، وميلها إلى الحرب أو جنوحها إلى السلم وما تعتنقه من نظم بصدد الموسيقى والنحت والرسم والتصوير والعمارة ، وسائر أنواع الفنون الجميلة . . . كل ذلك وما إلى يه يصبغ اللغة بصبغة خاصة فى جميع مظاهرها : فى الأصوات والمفردات والدلالة والقواعد والأساليب وهلم جرا . وإليك مثلاً درجة القرابة التى تربط الفرد بكل من أسرة أبيه وأسرة أمه ، فإن الأمم التى تسير نظمها

الاجتماعية على إنزال هاتين الأسرتين منزلة واحدة تقريبا في درجة قرابتهما للفرد تطلق لغتها كلمة واحدة على كل من العم أو الخال oncle, uncle والعمة والخالة tante, aunt وابن العم والعمة أو وابن الخال أو الخالة cousine وابنة العم أو العمة وأبنة الخال أو الخالة cousine .

على حين أن الأمم التي تفرق نظمها الاجتماعية بين هاتين الأسرتين تختلف في لغتها الكلمات الدالة على أفراد أسرة الأب عن الكلمات الدالة على أفراد أسرة الأم : العم ، الخال ، العمة ؛ الخالة ، ابن العم ، ابن العمة ، ابن الخال ، بنت العم ، بنت العمة ، بنت الخال ، بنت الخالة . . . وإليك مثلا آخر مبلغ اتجاه الأمة إلى مبادئ المساواة أو انحرافها نحو نظام الطبقات . فإن ما تسميه عليه نظمها الاجتماعية بهذا الصدد يؤثر في مختلف نواحي لغتها حتى في ناحية القواعد . فبمخاطبة الفرد بضمير الجميع تعظيما له : (أرجو إن تتفضلوا . . .) وإجراء الخطاب

في صيغة الإخبار عن الغائب : (يتفضل سيدي . . .) ، كل ذلك وما إليه من أساليب التبجيل لا يبدو في اللغة إلا حيث ينحرف الناس عن مبادئ المساواة وتكثر الفوارق بين الطبقات . ولذلك يعد تطور هذه الضمائر في لغة أصدق سجل لتطور اتجاهاتها في هذه الشؤون . فالصراع في اللغة الفرنسية بين " tu " (أنت) و " vous " (أنتم) ، في مخاطبة المفرد ، يمثل أصدق تمثيل مراحل الصراع بين روح المساواة ونظام الطبقات في الشعب الفرنسي . فقد كانت الغلبة للضمير الأول في العصور التي سادت فيها مبادئ المساواة ، والضمير الثاني في العصور التي وهنت فيها هذه المبادئ . ومثل هذا يقال في اللغة العربية . فقد كان العرب في جاهليتهم من أكثر الشعوب ميلا إلى المساواة بين الأفراد ، ولذلك ساد في خطابهم ضمير المفرد ، ولم تبد في لغتهم مظاهر المبالغة في التبجيل . وقد سار القرآن على هذه الطريقة حتى في توجيه الخطاب إلى الله

عز وجل . ولكنهم لم يلبثوا بعد اتساع ملكهم ، واحتكاكهم بالأمم الأخرى وانغماسهم في الترف ، ومحاسنهم لأبهة الفرس وأساليبهم في الحياة ، واتجاه خاصتهم وأغنيائهم إلى الترف - مع عن الهماء وطبقات المستضعفين ، لم يلبثوا بعد هذا أن انحرفوا عن مبادئهم الأولى ، فأنحرفت معهم أساليب لغتهم ، وساد فيها خطاب المفرد بضمير الجمع وإجراء الخطاب في صيغة الإخبار عن الغائب ، ونفذت إليها القاب « الحضرة » و « الجنب » وما إلى ذلك .

٥- وكثيرا ما ينجم عن اختلاف الناس في طبقاتهم وفئاتهم اختلاف مدلول الكلمات وخروجها من معانيها الأولى . ويؤدي إلى ذلك ما يوجد بين الجماعات الناطقة باللغة الواحدة من فروق في الخواص النفسية ، وفي شؤون الساسية ، والاجتماع ، والثقافة ، والتربية ، ومناحي التفكير والوجدان ومستوى المعيشة ، وحياة الأسرة ، والتقاليد والعادات . . . وما تزاوله كل طبقة من أعمال ، وتضطلع به

من وظائف ، والآثار العميقة التي تتركها كل وظيفة ومهنة في عقلية المشتغلين بها ، وحاجة أفراد كل طبقة إلى دقة التعبير وسرعته وإنشاء مصطلحات خاصة بصدد الأمور التي يكثُر ورودها في حياتهم وتستأثر بقسط كبير من انتباههم ، وما يلجئون إليه من استخدام مفردات في غير ما وضعت له أو قصرها على بعض مدلولاتها للتعبير عن أمور تتصل بصناعاتهم وأعمالهم

وهلم جرا . فمن الواضح أن هذه الأمور ، وما أليها من شأنها أن تخرج بالكلمات عن مدلولاتها الأولى ، وتوجه معانيها في كل طبقة وفي كل جماعة وجهة تختلف عن وجهتها عند غيرها .

٦- وتشكل اللغة كذلك بالشكل الذي يتفق مع اتجاهات الأمة العامة وتغلب الناحية المادية أو الأدبية على شؤون حياتها . فأتجاه الانجليز مثلا إلى الناحية العملية قد صبغ لغتهم بصبغة مادية في مفرداتها وتراكيبها حتى إنه يقال فيها : « دفع - زيارة أو تحية أو شكرا أو انتباهها ، .

وكيف أستطيع أن ادفع لك مقابل
أياديك على ، وانفق وقته في كيت
وكيت « و » تربح الساعة أو تخسر .

“ To pay visit, compliments, attention ”
How can I pay you for all your goods ”
He spent his time in. The watch gains
or loses.

بدلاً من « أدى زيارة » و « وقدم
تحية أو شكراً » و « أبدى انتباهها »
ولا أستطيع أن أرد لك مقابل أياديك
على ، و « قضى وقته في عمل ما »
و « الساعة تقدم أو تؤخر » .

٧- وما يكون عليه الأفراد من حشمة
وأدب في شئونهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم
بعضهم ببعض ينبعث كذلك صدهاء
في لغتهم ألفاظها وتراكيبها . فاللغة
اللاتينية لا تستحيى أن تعبر عن
العورات والأمـور المستهجنة والأعمال
الواجب سترها بعبارات مكشوفة ،
ولا أن تسميها بأسمائها الصريحة ،
على حين أن اللغة العربية بعد الإسلام
تتلمس أحسن الحيل وأدناها إلى الحشمة
والأدب في التعبير عن هذه الشؤون ،
فتلجأ إلى المجاز في اللفظ ، وتستبدل
الكنائية بصريح القول : القبل ،

الدبر : قارب النساء . لمس امرأته ،
قضى حاجته . . . الخ ولقد كان لها
بهذا الصدد في ألفاظ القرآن الكريم
وعباراته أسوة حسنة : « نساؤكم
حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم »
« وقد افضى بعضكم إلى بعض » .
« أحل لكم ليلة الصيام الرفث . إلى
نساءكم » ، - « فاعتزلوا النساء في
المحيض » و « والذين يظاهرون من
نساءهم ثم يعودون لـ ا قالوا فتحرير
رقبة من قبل أن يتماسا »

وما إلى ذلك من كريم العبارات ونبيل
الألفاظ . وما يبدو في اللغة العربية
بهذا الصدد يبدو مثله في اللغات الأوروبية
الحديثة وخاصة الشمالية منها . وأكثرها
تخرجاً في هذه الناحية اللغة الانجليزية .
فالْبطن مثلاً لا يعبر عنه في لغة التخاطب
الانجليزية باسمه الصريح بل يطلق
عليه في الغالب ؛ the Stomach

(أى المعدة) ، وسراويل الرجل تطلق
عليها أحياناً كلمة معناها الأصل «
Inexpressible : ما لا يمكن التعبير عنه :
وسراويل المرأة يطلق عليها كلمة معناها

الأصلي « الجمع أو التركيب combinaton وهلم جرا .

٨٠- ويتطور مدلول الكلمة في لغة ما تبعاً لتطور الشؤون الاجتماعية المحيطة بهذا المدلول . فكل تطور من هذا القبيل يتجه بمدلول الكلمة وجهة خاصة ، وينحرف به قليلاً أو كثيراً عن أوضاعه الأولى . والأمثلة على ذلك تجل عن الحصر في اللغة العربية وفي غيرها من اللغات . فكلمة « القطار مثلاً كانت تطلق في الأصل على عدد من الإبل على نسق واحد تستخدم في السفر وفي النقل ، ولكن تغير الآن مدلولها الأصلي تبعاً لتطور وسائل ، المواصلات ، فأصبحت تطلق على مجموعة عربات تقطرها قاطرة بخارية . وكلمة « البريد » كانت تطلق على الدابة التي تحمل عليها الرسائل ، ثم تغير الآن مدلولها تبعاً لتطور الطرق المستخدمة في إيصال الرسائل ، فأصبحت تطلق على النظم والوسائل المتخذة لهذه الغاية في العصر الحاضر ، وكلمة الريشة plume كانت

تطلق على آلة الكتابة أيام كانت تتخذ من ريش الطيور ، ولكن تغير الآن مدلولها الأصلي تبعاً لتغير المادة المتخذة منها آلة الكتابة ، فأصبحت تطلق على قطعة من الحديد مشكلة في صورة خاصة . وعبرة بنى الرجل على امرأته كانت تستخدم كناية عن دخوله بها ؛ لأن الشاب البدوي كان إذا تزوج يبني له ولأهله خباءً جديداً ولكنها فقدت الآن معناها الأصلي لانقراض هذا النظام ، وإن كانت لا تزال تستخدم كناية عن الزفاف . وقد جرت العادة في بعض العصور بفرنسا أن يقضى المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة مدة عقوبتهم في أعمال التجديف على ظهر السفن الملكية ، ومن ثم جاءت عبارة envoyer aux galères ولكن وجاء وصف galérien ولكن تغير الآن مدلولها تبعاً لتغير النظم المتصلة بهذه العقوبة ونوعها .

وكثرة استخدام الكلمة في مدلول ما ، لحدوث ما يدعو إلى ذلك في شؤون الحياة الاجتماعية وما يتصل بها ، يجردها - مع

تقديم العهد - من مدلولها الأصلي ويقصرها على الناحية التي كثر فيها استخدامها . فكثرة استخدام العام مثلاً في بعض ما يدل عليه ، لسبب اجتماعي ما ، يزيل مع تقديم العهد عموم معناه ، ويقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله . ولدينا في اللغة العربية وحدها آلاف من أمثلة هذا النوع . فمن ذلك جميع المفردات التي كانت عامة المدلول ثم شاع استعمالها في الإسلام في معان خاصة تتعلق بالعقائد أو الشعائر أو النظم الدينية : كالصلاة والحج والصوم والمؤمن والكافر والمنافق والركوع والسجود ... وهلم جرا . فالصلاة مثلاً معناها في الأصل الدعاء ثم شاع استعمالها في الإسلام في العبادة المعروفة لاشتمالها على مظهر من مظاهر الدعاء ، حتى أصبحت لا تنصرف عند إطلاقها إلى غير هذا المعنى ، والحج معناه في الأصل قصد الشيء والاتجاه إليه ، ثم شاع استعماله في قصد البيت الحرام ، حتى أصبح مدلوله الحقيقي مقصوراً على هذه الشعيرة ... وقس على ذلك جميع الأفراد هذه الصائفة . ومن ذلك أيضاً كلمة

« الرث » ، فقد كانت تطلق على الخسيس من كل شيء . ثم قصر مدلولها على الخسيس مما يفرش أو يلبس لكثرة استخدامها في هاتين الطائفتين ، وكلمة « المدام » فهي في الأصل كل ما سكن ودام ، ثم شاع استعمالها في الخمر لدوامها في الدن أو لأنه يغلى عليها حتى تسكن ، فأصبحت لا تنصرف إلى غير هذا المعنى . وكثرة استخدام الخاص في معان عامة عن طريق التوسع لسبب اجتماعي ما تزيل مع تقديم العهد خصوص معناه وتكسبه العموم . فمن ذلك مثلاً في اللغة العربية كلمات : البأس والورد والرائد والنجعة .. وهلم جرا . فالبأس في الأصل الحرب ، ثم كثر استعماله في كل شدة فاكتسب من هذا الاستخدام عموم معناه ؛ وأصل الورد إتيان الماء وحده ، ثم صار إتيان كل شيء ورداً لكثيرة استخدامه في هذا المعنى العام ؛ والرائد في الأصل طالب الكلاً ثم صار طالب كل حاجة رائداً ؛ والنجعة في الأصل طلب الغيث ، ثم عمت في الاستخدام فأصبح كل طلب انتجاعاً . ومن ذلك في اللغة الفرنسية كلمة *salaire* فقد كان معناها في الأصل - كما تدل على ذلك بنيتها

ما يصرف للمجندي من نقود في نظير ما يحتاج إليه من ملح الطعام ، ثم شاع استعمالها في كل أجرة حتى نسي معناها الأصلي ؛ وكلمة arriver : فقد كانت تدل في الأصل - كما تشير إلى ذلك بنيتها - على الوصول إلى الشاطئ ، ثم شاع استعمالها في كل وصول ، فاستقر معناها على هذا الوضع العام .

وكثرة استخدام الكلمة في معنى مجازي لسبب اجتماعي يؤدي غالباً إلى انقراض معناها الحقيقي وحلول هذا المعنى المجازي محله . فمن ذلك مثلاً في اللغة العربية كلمات المجد والأفن والوغى والغفران والعقيقة ... وهلم جرا . فالمجد معناه في الأصل امتلاء بطن الدابة من العلف ، ثم كثر استخدامه مجازاً في الامتلاء بالكرم حتى انقرض معناه الأصلي وأصبح حقيقة في هذا المعنى المجازي . ولهذا السبب نفسه انتقل معنى « الأفن » من قلة لبن الناقة إلى نقص العقل ؛ وانتقل معنى « الوغى » من اختلاط الأصوات في الحرب إلى الحرب نفسها ؛ ومعنى « الغفر » و « الغفران » من الستر إلى الصفح عن الذنوب ؛ ومعنى

العقيقة ، من الشعر الذي يخرج على الولد من بطن أمه إلى ما يذبح عنه حلق ذلك الشعر .

واستخدام الكلمة في فن ما بمعنى خاص يعجزها في هذا الفن من معناها اللغوي ويقصرها على مدلولها الإصطلاحي . ويدخل في هذا مصطلحات الآداب والفلسفة والقانون والاجتماع والعلوم والفنون وما إلى ذلك . ومن ثم نرى أن الكلمة الواحدة تستعمل في الشعر بمعنى ، وفي الرسائل بمعنى آخر ، وفي السياسة بمعنى ثالث ، وفي الفنون الحربية بمعنى رابع ، وفي القانون بمعنى خامس ، وفي الطبيعة بمعنى سادس ، وفي الطب بمعنى سابع وهلم جرا .

٩- وإلى مقتضيات الحياة الاجتماعية وشؤونها ترجع كذلك أهم الأسباب في نشأة كلمات لم تكن موجودة في اللغة من قبل وفي هجر كلمات كانت مستخدمة فيها أو انقراضها انقراضاً تاماً . فأهم العوامل التي تدعو إلى نشأة كلمات في اللغة ترجع إلى مقتضيات الحاجة إلى تسمية مستحدث اجتماعي جديد : نظام حديث

في الشؤون الاجتماعية أو الاقتصادية أو غيرها نظرية جديدة علمية أو فلسفية مخترع مادي جديد ... وهلم جرا . وأهم العوامل التي تؤدي إلى إنقراض كلمة من الاستعمال ترجع إلى انقراض مدلولها نفسه من نطاق الحياة الاجتماعية ، أو إلى عدم استخدامها . ويصدق هذا على الملابس والأثاث وعدد الحرب ووسائل النقل وآلات الصناعة والمقاييس والنقود ومظاهر النشاط والنظم الاجتماعية التي انقرضت أو بطل استعمالها فانقرضت معها المفردات الدالة عليها . فقد انقرض في العربية كثير من الكلمات الدالة على نظم جاهلية قضى عليها الإسلام ، كالمِرْبَاع والصَّرُورَة والنَوَافِج . وانقرض في الفرنسية لهذا العامل ومايتصل به كلمات كثيرة منها :

Veste, casaquin, cabat, carosse, oupentes, briquel, pacotille, corvette fégate, brulot, boulet, arpent, lealiard, toise...etc.

١٠ - وللشؤون الاجتماعية أثر كبير كذلك في صراع اللغات الناشئ عن نزوح عنصر أجنبي إلى البلد يتكلم بلغة غير أهله ، على أثر هجرة أو فتح أو استعمار . وفيما ينتهي إليه هذا الصراع من تغلب إحدى اللغتين المتصارعتين على الأخرى

أو بقائهما معاً جنباً إلى جنب مع تبادل التأثير والتأثير ..

فإذا لم يكن لكلاً الشعبين اللذين تتصارع لغتاهما حضارة يعتمد بها ، ويزيد عدد أفراد أحدهما عن عدد أفراد الآخر زيادة كبيرة ففي هذه الحالة تتغلب لغة أكثرهما عدداً . سواء كانت لغة الأصيل أو الدخيل ، لغة الغالب حربياً أم المغلوب . وذلك أنه عند انعدام النوع ، وهو ما تمثله الحضارة ، يتحكم الكم في مصير الأمور . والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ . فمن ذلك أن النورماندين حينما أغاروا على إنجلترا في منتصف القرن التاسع الميلادي ، واحتلوا معظم مناطقها ، لم تلبث لغة الشعب المقهور أن تغابت على لغتهم ، فأصبح جميع السكان . أصيلهم ودخيلهم إنجليزياً ونورمانديهم ، يتكلمون الإنجليزية السكسونية . وذلك لأن الإنجليز المغلوبين كانوا يزدون زيادة كبيرة في عددهم عن النورماندين الغالبين ، ولم يكن لأحدهما حضارة يعتمد بها ، فتحكم لكم فيما انتهى إليه الصراع .

وإذا كان الشعب الغالب أرقى من الشعب المغلوب في حضارته وثقافته ، وأشد منه بأساً وأوسع نفوذاً فإن النصر يكتب للغته وإن قل عدد أفراد الشعب المغلوب ؛ على شريطة أن تدوم غلبته وقوته مدة كافية ، وأن تقيم بصفة دائمة جالية يعتد بها من أفرادها في بلاد الشعب المغلوب ، وإن تمتزج هذه الجالية بأفراد هذا الشعب ، وأن تكون اللغتان من شعبه لغوية واحدة أو من شعبتين متقاربتين تجمعهما فصيلة واحدة .

والأمثلة عن ذلك كثيرة في التاريخ ، فقد نجم عن فتوح الرومان في وسط أوروبا وشرقها أن تغلبت لغتهم اللاتينية على اللغات الأصلية لإيطاليا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال ورومانيا ، مع أن الرومان المغيرين كانوا في هذه البلاد أقلية بالنسبة إلى سكانها الأصليين ، وقد توافرت الشروط التي ذكرناها في هذه الحالة . فقد دامت غلبة الرومان في هذه البلاد مدة كافية ، وأقامت بصفة دائمة جالية يعتد بها من الرومان في هذه البلاد وامتزجت بأفراد الشعوب المغلوبة ، وكانت اللغتان وهما اللاتينية للرومان

والكلتية للشعوب المغلوبة من فصيلة لغوية واحدة ، وهي الفصيلة الهندية - الأوربية ، وكان الشعب الغالب - وهم الرومان - أرقى من الشعوب المغلوبة في حضارته وثقافته وآداب لغته ، وأشد منه بأساً وأوسع نفوذاً . وقد نجم عن فتوح العرب المسلمين في آسيا وأفريقيا أن تغلبت لغتهم على كثير من اللغات السامية الأخرى وعلى اللغة القبطية في مصر والبربرية في شمال أفريقيا . فأصبحت اللغة العربية لغة الحديث والكتابة في معظم مناطق شبه الجزيرة العربية وفي مصر والسودان وشمال أفريقيا ، مع أن الجالية العربية في هذه البلاد كان عددها أقل كثيراً من عدد السكان الأصليين ، وقد توافرت الشروط التي ذكرناها في هذه الحالة . فاللغة العربية وهي لغة الشعب الغالب ، كانت أرقى كثيراً من لغات هذه الشعوب ، وقد دخلت هذه البلاد وبين يديها تراث لغوي مجيد على رأسه القرآن الكريم وأحاديث الرسول عليه السلام والآداب الجاهلي والإسلامي ، وكان الشعب العربي نفسه حينئذ أرقى كثيراً من هذه الشعوب في حضارته وتراثه وأشد منها بأساً وأوسع نفوذاً ، وقد

دامت غلبته وقوته مدة كافية ، وأقامت بصفه دائمة جالية يعتد بها من أفرادها في بلاد الشعوب المغلوبة وامتزجت بأفراد هذه الشعوب ، وزاد امتزاجها بهم بعد أن دخلوا الإسلام ، وكانت اللغة العربية ولغات هذه الشعوب من فصيلة لغوية واحدة وهي الفصيلة السامية - الحامية .

وإذا لم يتوافر شرط من الشروط السابق ذكرها والتي يتوقف عليها تغلب إحدى اللغتين على الأخرى فأنهما تعيشان معاً جنباً إلى جنب مع تبادل التأثير والتأثير .

والأمثلة على ذلك كثيرة في تاريخ الأمم الغابرة وفي العصر الحاضر . فاللغة اللاتينية لم تقو على التغلب على اللغة الإغريقية ، مع أن الأولى كانت لغة الشعب الغالب ، وكانت اللغتان من فصيلة واحدة ، وهي الفصيلة الهندية - الأوربية . وذلك لأن الإغريق مع خضوعهم حريياً وسياسياً للرومان ، كانوا أعرق منهم حضارة وأوسع ثقافة وأرقى لغة وقد سبق أن انهزام لغة الشعب المغلوب أمام لغة الشعب الغالب لا يحدث إلا إذا كان الشعب الثاني أرقى من الشعب الأول

في جميع هذه الأمور . واللغة العربية لم تقو على الانتصار على اللغة الفارسية على الرغم من فتح العرب لبلاد فارس وبقائها تحت سلاطنتهم أمداً طويلاً . وذلك لأن حضارة الشعب الفارسي لم تكن حينئذ أقل من حضارة العرب إن لم تكن أرقى منها هذا إلى أن كلتا اللغتين تنتمي إلى فصيلة لغوية غير الفصيلة التي تنتمي إليها اللغة الأخرى . فالعربية من الفصيلة السامية - الفارسية من الفصيلة الهندية - الأوربية . وإذا هاجر شعب من منطقتة إلى منطقة أخرى وأنبت عن إخوته ، وأحيط بشعوب تستخدم لغة أخرى غير لغته ، فإن لغة هذه الشعوب لا تلبث أن تتغلب على لغته ولو كانت من فصيلة أخرى غير فصيلته ومن أمثلة ذلك أهل بلغاريا ، فإنهم حينما نزحوا من شمال أوربا إلى البلقان بعدوا بعداً كبيراً عن اخوانهم الذين يتحدثون باللغات الفينية ، وأحيطوا من جميع جهاتهم بشعوب صقلبية ، وأتيح لهم الامتزاج بهذه الشعوب امتزاجاً كبيراً ، فأخذت لغتهم تنهزم شيئاً فشيئاً أمام لغات هذه الشعوب حتى انقرضت وحل

محلها لسان صقابي . وهكذا يكون الجزاء
للمنبت عن أخوته حضارياً .

وإذا تقوقع مجتمع مافى منطقته ،
وضعف اتصاله الحضارى ببقية سكان
البلد ، فإنه يظل محافظاً على لغته ولا يخضع
لقوانين الصراع اللغوى . والأمثلة على
ذلك كثيرة فى التاريخ :

فمن ذلك أنه يظهر أن بنى إسرائيل فى
مصر قد ظلوا محافظين على لسانهم العبرى
يتخاطبون به فيما بينهم فى أثناء مقامهم
الطويل فى مصر الذى امتد إلى أكثر من
أربعة قرون ، وأنه ظل لسانهم بعد أن
خرجوا من مصر مع موسى عليه السلام ،
وذلك مع المامهم باللغة المصرية وتفاهمهم بها
مع بقية السكان ، مع أن القانون كان
يقضى بتغلب اللسان المصرى على ألسنتهم .
ويظهر أن السبب فى ذلك يرجع إلى العادة
الإسرائيلية التى ظلت ملازمة لهم إلى الوقت
الحاضر ، والتى تتمثل فى قوقعتهم فى شوارع
وحارات فى المدن التى يسكنونها أو بها جرون
إليها ، وحفاظهم فى هذه الشوارع والحارات
على تقاليدهم ولغتهم .

ومن ذلك أيضاً أهل بلاد النوبة
فى مصر ، فإن تقوقعهم فى مناطقهم
كان له أثر كبير فى احتفاظهم بلغتهم
وعدم تأثرهم باللغة العربية . التى تغلبت
على السنة بقية سكان مصر ؛ هذا إلى اختلاف
فصيلة لغتهم عن فصيلة اللغة العربية .

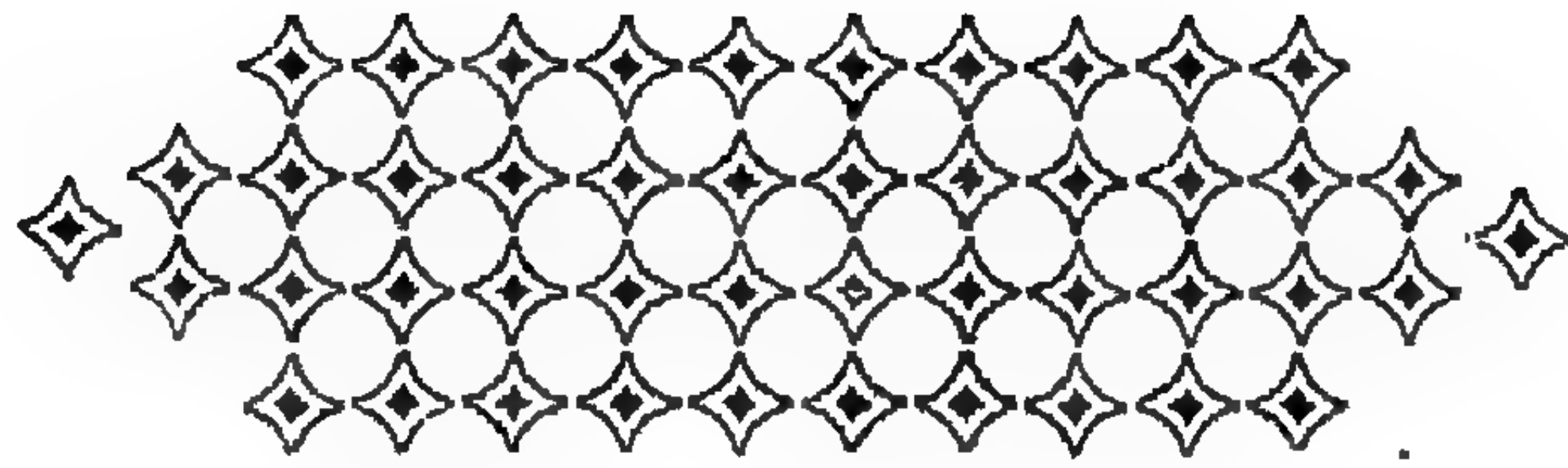
ومن ذلك أيضاً أن اللغة العربية لم تستطع
التغلب على اللغات البربرية فى بعض
المناطق فى شمال أفريقيا ، فلا يزال إلى الوقت
الحاضر عدد غير يسير من سكان المغرب
والجزائر وتونس يستخدمون فى تخاطبهم
بعضهم مع بعض لهجاتهم البربرية القديمة
وإن كانوا يستخدمون العامية العريقة
فى تخاطبهم مع أهل البلاد . مع أن
اللغة العربية قد تغلبت على معظم البلاد
البربرية . ومع إنتماء اللغتين إلى فصيلة
واحدة وهى الفصيلة السامية الحامية ،
ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى تقوقع السكان
فى هذه المناطق وعدم امتزاجهم كثيراً ببقية
السكان .

ومن ذلك أيضاً جماعة البزيتون فى
الجنوب الغربى لفرنسا فى محافظة اللوار

الأدنى على سواحل المحيط الأطلسي .
فإن تفوقهم في منطقتهم كان له أثر كبير
في احتفاظهم بلغتهم الكلتية ، وعدم
تأثرهم باللغة اللاتينية ولا باللغة الفرنسية
التي انشعبت عن اللاتينية ، وإن كانت
لغتهم هذه قد أخذت في الانقراض .
فقد زرت هذه المقاطعة وقضيت فيها
عدة أسابيع متنقلا في بلادها فلم أسمع
هذه اللهجة إلا عند طائفة من الشيوخ .
وحتى هؤلاء أنفسهم لا يتكلمون بلهجتهم

هذه إلا فيما بينهم ، وأما مع غيرهم
فيتكلمون الفرنسية ، ولكن ينال كلماتها
وتراكيبها في سنتهم كثير من التحريف ،
كما تحرف العربية في السنة النوبيين .
وقد انقرضت هذه اللهجة انقراضاً تاماً
من لغة الكتابة والأدب . وانقرضت كذلك
من لغة التخاطب بين أبناء الجيل
المعاصر .

على عبد الواحد وافي
عضو المجمع



من أهم مراجع البحث

(المؤلف)

(عنوان الكتاب)

- | | |
|-------------------------------|--------------------------------------|
| ا . د . علي عبد الواحد وافي . | اللغة والمجتمع |
| ا . د . علي عبد الواحد وافي . | علم اللغة . |
| ا . د . علي عبد الواحد وافي . | فقه اللغة . |
| | الصاحبي في فقه الله وسنن العرب . |
| ابن فارس . | في كلامها . |
| الشعالبي . | فقه اللغة . |
| شهاب الدين الخفاجي . | شفاء العليل فيما ورد في كلام العرب . |
| | من الدخيل . |
| السيوطي . | المزهر في علوم اللغة وأنواعها . |

De la croix Le Langage et la pensée

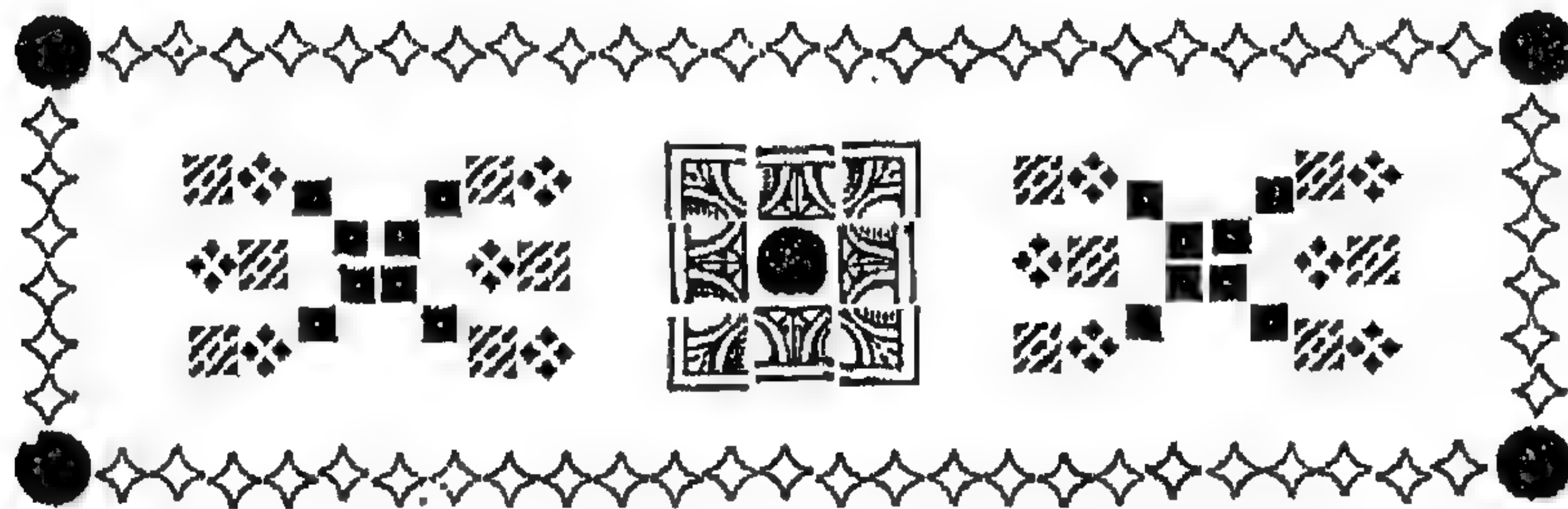
Dausat : philosophie du langage

Dausat : le vie du langage

Ribot : L'Evolution des idées Générales

Mai Ilet : Comment les mots changent de Sens (dans "L'année Sociologique" tome IX.

Vanniet L'Esprit et les Moeurs d'une nation d'après sa langue (Revue pedagogique 1907, T.2. p.p. 434-463).



”من كناية النوادر“ (٨)

للأستاذ عبد السلام هارون

أصل ما انقطع من القول بعد عام ووفاء لفضله على حضارتنا الراهنة القائمة
أكمل عشرت فيه على نوادر من النصوص على أساس من أركانه الوطيدة ودعائه
التي تضمننا إلى ركب التراث العربي الراسية .
بكنوزه الغالية ، تجديدا للشوق إليه

بغداد في التاريخ

جنة الأرض : أبو الفرج الببغا يقول : هي مدينة
قال الثعالبي في شأنها : السلام ، بل مدينة الإسلام ، فإن
يقال لبغداد : جنة الأرض ، ومجتمع الدولة النبوية والخلافة الإسلامية
الرافدين : دجلة والفرات ، وواسطة بها عششتا وفرختا ، وضربتا بعروقهما
الدنيا ومدينة السلام ، وقبة الإسلام ، وسمتا بفروعهما وإن هواءها أعدل من
لأنها غرة البلاد ، ودار الخلافة ، كل هواء ، وماءها أعذب من كل ماء ،
ومجمع المحاسن والطيبات ، ومعدن ونسيمها أرق من كل نسيم وهي من
الطرائف واللطائف . وبها أرباب النهايات الإقليم الاعتدالي بمنزلة المركز من الدائرة ،
في كل فن وآحاد الدهر في كل نوع . ولم تزل موطن الأكاسرة في سالف
وكان أبو إسحاق الزجاج يقول : الأزمان ومنزل الخلفاء في دولة الإسلام .
بغداد حاضرة الدنيا وماعداها بادية . وكان

وكان أبو الفضل بن العميد إذا طرأ عليه أحد من منتحلي العلم ، وأراد امتحان عقله سأل عن بغداد فإن فطن عن خواصها ونبّه على محاسنها وأثنى عليها خيراً جعل ذلك مقدمة فضله ، . وعنوان عقله . ثم سأل عن الجاحظ . فإن وجد عنده أثراً بمطالعة كتبه والاقتباس من ألفاظه وبعض القياس بمسائله ، قضى بأنّه غرة شاذخة في العلم وإن وجدته دائماً لبغداد ، غافلاً عما يجب أن يكون موسوماً به من الانتساب إلى المعارف التي يختص بها الجاحظ لم ينتفع بعد ذلك عنده بشيء من المحاسن ولما رجع الصاحب من بغداد ، وسأله ابن العميد عنها قال : بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد : فجعلها مثلاً في الغاية من الفضل والكمال .

لا يموت فيها خليفة :

قال : ومن عجيب شأنها : أنها على كونها الحضرة الكبرى لاستيطان الخلفاء إياها لا يموت بها خليفة ، كما قال عمارة بن عقيل بن جرير بن بلال :

أعاينت في طول من الأرض أو عرض
كبغداد داراً ، إنها جنة الأرض

قضى ربها ألا يموت خليفة
بها ، إنه ماشاء في خلقه يقضى

ولما فرغ المنصور من بنائها سنة ١٤٦هـ أمر نوبخت المنجم - وكان متقدماً في علم النجوم - بأن يأخذ المطالع ويتعرف أحوالها ، ففعل ووجد المشتري في القوس والقوس طالعها ، فأخبره بما تدل عليه النجوم من طول ثباتها ، وكثرة عمارتها وانصباب الدنيا عليها وفقر الملوك والسوقة إليها فسّر المنصور وقرأ :

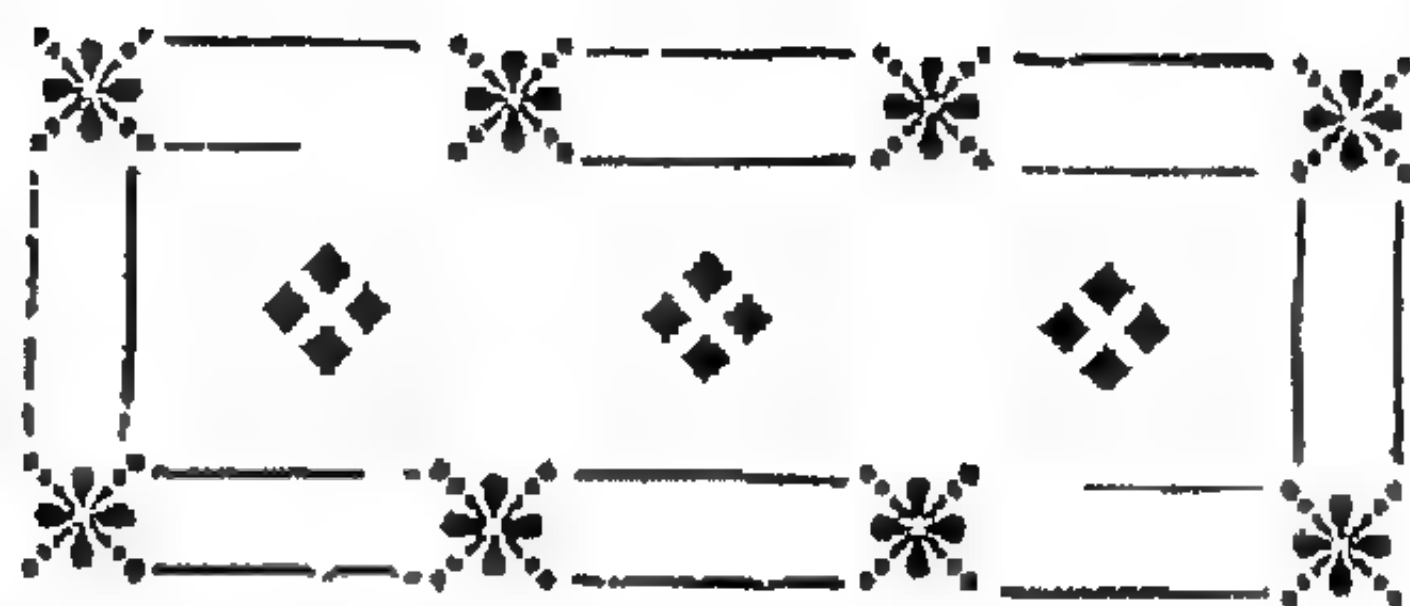
« ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

ثم قال له نوبخت : وخصلة أخرى يأمير المؤمنين هي من أعجب خصائصها ، قال :

وما هي ؟ . قال : لا يموت بها خليفة أبداً .

فجرى الأمر فيه على حكمه إلى زماننا هذا بإذن الله تعالى ، وذلك أن المنصور مات بمكة سنة ١٥٨هـ والمهدي بما سبذان ،

والهادى بعبا آباد ، والرشييد بطوس ،
 وقتل الأمين ، ومات المأمون بطرسوس ،
 والمعتصم بسر من رأى ، والواثق بها ،
 وقتل المتوكل ، ومات المنتصر بسر
 من رأى ، وخلع المستعين ، وكذلك
 المعتز ، وقتل المهتدى ، ومات المعتمد
 بالحسنية ، وكذلك المعتضد والمكشفي ،
 وقتل المقتدر وقتل القاهر ، ومات
 الراضى بالحسنية ، وقتل المتقى والمستكفى ،
 ومات المطيع بدير العاقول وخلع الطائع .



النصفية

الباحث في كتب التراث كثيرا ما يعثر على ألفاظ يمكن إطلاقها على مدلول الألفاظ الدخيلة أو المعربة بدلا منها ، وكم في العربية من كنوز يعوزها الباحث فمن ذلك ما عثرت عليه في كتاب نكت الهميان في نكت العميان للإمام الصفدي في ترجمة علي بن أحمد بن يوسف ابن الخضر^(١) ، أن بعض أصحابه أهدى إليه نصفية حسنة فسرت من بيته ، فرأى شيخه الإمام مجد الدين شيخ القراء ببغداد : في النوم وهو يقول له : النصفية أخذها فلان وأودعها عند فلان ،

أذهب وأخذها منه ، فلما استيقظ ذهب إلى هذا الرجل فدق عليه الباب فخرج إليه ، فقال : أعطني النصفية التي أودعها فلان عندك ، ودخل فأخرجها له فأخذها وذهب ولم يقل شيئا .

وواضح أن المراد بالنصفية الحسنة هنا ثوب يغطي نصف الجسد وهو ما يقال له في الألفاظ الدخيلة جاكنت أو جاكنته للرجال ، وبلوز أو بلوزة للسيدات .

فالأولى بالاربيب أن يستعمل فيها هذا اللفظ الصحيح الفصيح الذي سرعان ما يحتل مكانه الأمين في لغتنا العزيزة .



(١) نكت الهميان ٢٠٦ .

الافراط في التوكل

يروى السيوطي في بُغية الوعاة^(١)
أن ابن بابشاذ النحوي أحد أعلام العربية
كان من تجار اللؤلؤ في العراق ، وأخذ
عن علمائها ورجع إلى مصر واستخدم في
ديوان الرسائل يتأمل ما يخرج من
الديوان من الإنشاء في الرسائل ويصلح
ما يراه من الخطأ في الكتابة أو في النحو
أو في اللغة ، وكانت له حلقة اشتغال بجامع
مصر ، ثم تزهده وانقطع عن التدريس .
وسبب ذلك أنه كان جالسا يأكل
فجاءه سنور ، فكان إذا ألقى شيئاً
لا يأكله ، بل يحمله في فيه ويمضى ،

وكثر ذلك منه ، فتبعه يوماً لينظر
أين يذهب بما يحمل فإذا هو يحمله
إلى موضع مظلم فيه سنورة عمياء فيلقى
إليها بما يحمله فتأكله ، فعجب وقال :
إن الذي سخر هذا لهذه ليجيئها بقوتها
قادر على أن يغنيني عن هذا العالم !
فلزم منارة الجامع بمصر . وخرج منها
في بعض الليالي والليل مقمر : وفي عينه
بقيه من نوم ، فسقط من المنارة إلى
سطح الجامع فمات في الحال .
وكان هذا عاقبة إغراطه في التوكل .



(١) بُغية الوعاة ٢٧٢ .

اللبخة

هي اللعبة الشعبية التي يسميها عامة أهل مصر (التحطيب) ، وهي تسمية غير سليمة ، وإنما هي لعبة العصي . فلم يرد الفعل حطب في اللغة الفصيحة ، كما أن الحطب اسم لما أعد من الشجر شبوبا للنار من عيدان الشجر الدقيقة على حين تكون العيدان التي تتخذ لهذه اللعبة عيدانا غليظة صلبة تصمد للمضاربة .

وقد وصف اللبخة المثمرة هذا عبد اللطيف البغدادي في رحلة إلى مصر . ورآها ابن المكرم صاحب لسان العرب بعجيزة مصر الروضة ، كما في اللسان (لبخ) وجاء في حواشي النجوم الزاهرة^(١) : « وشهدا المقريزي مثمرة ، ولم نسمع عنها شيئا بعد ذلك . »

وفي الطبقات الكبرى للشعراني في ترجمة عثمان الخطاب المتوفى سنة نيف وثمانائة : « وكان شجاعا يلعب اللبخة فيخرج له عشرة من الشطار ويهجمون عليه بالضرب فيمسك عصاه من وسطها ويرد الجميع فلا تصيبه واحدة قال^(٢) الشعراني : « هكذا خبر عن نفسه في صباه » . »

وإذا أردنا أن نعرف أولية هذه اللعبة وجدنا جواب ذلك في النجوم الزاهرة في سنة ٧٤٦ إذ يقول ابن تغري

وقد تطورت هذه التسمية ، أي التحطيب من تسمية قديمة صحيحة ، هي « اللَّبْخَةُ » واللبخ : شجر عظام كانت تنشر ألواحها ويجعلها الملاحون في بناء السفن الضخمة فتلتحم بعد عام وتصير لوحا واحدا . وهو غير شجر اللبخ المعروف الآن ، فإن اللبخ الذي يذكر في هذا شجر ضخم أيضا له ثمر أخضر يشبه التمر حلو جدا إلا أنه كريبه .

(١) النجوم الزاهرة وحواشيها ١٠ - ١٢٨ .

(٢) لعب العرب لثيمور ٥٧ ورحلة عبد اللطيف البغدادي والخطط المقريزية .

بردى : « فى أول ربيع الأول توجه
السلطان (الملك الكامل) إلى سرياقوس
وأحضر الأوباش فلعبوا قدامه باللبخة ،
وهى عصى كبار حدث اللعب بها فى
هذه الأيام ، ولما لعبوا بها قتل رجل
رفيقه فخلع السلطان على بعضهم وأنعم

على كبيرهم بمخبز فى الحلقة « يراذ
أجرى له جراية خبز » .

فهذا ماكان من أولية هذه اللعبة
التي لاتزال معروفة يمارسها أهل الريف
فى أفراحهم وأعيادهم ، وأصبحت من
التراث الشعبى الذى يمارسه بعض الفرق
الفنية فى القاهرة والعواصم الكبرى .



المارماهى

وقد قيل^(١): « حدثنا عن البحر ولا يخرج
وقال داود الأنطاكى فى التذكرة^(٢):
« مارِماهى هو حيات الماء المعروف عندنا
بالأنكليس سمك شبيه بالحيات كله
دهن ». والأنكليس ذكره الجاحظ أيضا ،
ولفظه يونانى معرب كما فى معجم الحيوان
للمعلوف . وفسطه صاحب القاموس وكذا
الدميرى فى حياة الحيوان بفتح الهجزة
واللام وبكسرهما . وقال المعلوف :
« ويعرف فى الشام بالجنكليس وفى
مصر بشعبان الماء وفى بغداد بالمرمرىج .

أما المارِماهى فنارسي مركب من « مارِ »
بمعنى الحية ، « وماهى » بمعنى السمك
كما فى معجم استينجاس . ويقال له
أيضا بالفارسية : « ماهى مار » بالقلب
بنفس المعنى السابق .

ضرب من السمك الشبيه بالحيات ،
ذكره الجاحظ فى الحيوان^(١) من نحو
١٠٠٠ عام وزعم أنه إما أن يكون من
أولاد الحيات انقلبت وتحولت بما عرض
لها من طبيعة البيئة والماء ، وإما أن
يكون من نسل سمك وحيات تلاقحت
فأنتجت هذا الضرب وضبطها بالمر فى
معجمه بكسر الراء .

ويقول القزوينى فى عجائب المخلوقات^(٢)
عند الكلام على بحر الهند (المحيط
الهندي) : « ومنها سمكة نحضرها
رأسها كرأس الحية من أكل منها
اعتصم من الطعام أياما ، فهى سمكة
مدورة يقال لها مارِماهى على ظهرها
شبه عمود محدد الرأس لاتقوم لها
سمكة إلا تضربها بذلك العمود وتقتلها .



(١) الحيوان من ٤ - ١٢٩ .

(٢) عجائب المخلوقات ١١٠ .

المحمل والكسوة الشريفة

المحمل : تحفة مصرية قديمة من عهد شجرة الدر ، وهو إطار عظيم مكعب الشكل تعلوه قمة هرمية ،

وله ستور من الديباج الأحمر عليها رخارف وكتابة مطرزة تطريزا فاخرا بالذهب على أرضية من الحرير الأخضر و الأحمر وله قماقم أربعة من الفضة المطلية بالذهب ، وعلى أطراف هذا الكساء شراريب تعلوها كرات فضة يتفرع منها أسلاك دقيقة .

أما كسوة الكعبة فكانت أجزاء كثيرة من المُخَمَّل الأسود تعلوها كتابات ذهبية وزخارف توضع على صناديق خشبية مستطيلة وتحملها الجمال كما يحمل المحمل جمل ضخم يسمى جمل المحمل ، يتمتع بما يتمتع به المحمل من تبرك به . وهذا الجمل يعنى من العمل ببقية السنة ، ويعلف ويعتنى به عناية كاملة .

والمحمل لا يحوى إلا مصحفين صغيرين

داخل صندوقين من الفضة المذهبة معلقين بالقمة . ويحتفل بالمحمل في شوارع القاهرة مصحوبا بالموسيقىات والمزامير والطبول كما يخرج معه أصحاب الطرق الصوفية يتمارسون طقوس الذكر على صور شتى ، مع رفع الصوت بالتكبير والتهليل وأغاني الحج : ثم يحتفل به في ميدان القلعة . وكان يحضر هذا الاحتفال نائب عن الحكومة وأمير الحج وبعثة الحج وبعض العلماء والكبراء ، وقد جرت العادة أن ينحن أمير الحج إلى مقود الجمل ويقبله . وكان هذا الاحتفال يثنى مرتين . مرة عند خروج الحجاج في ذى القعدة ، ومرة عند عودتهم منه في المحرم ، وكان يثير في جماهير الناس عاطفة دينية شديدة في تلك الأثناء ، وتطلق المدافع من القلعة في هاتين المناسبتين . ويقضى المصريون هذين الوقتين في فرحة كبيرة وابتهاج بهاتين المناسبتين : سفر المحمل إلى الحجاز وعودته منه محملا بالكسوة القديمة التي وضعت

بدلها الكسوة الجديدة ، وتوزع ببعض
أجزائها على الأعيان والفضلاء .

هذا ما كان أمر المحمل في أيامنا إلى
ما كان من تدخل إخواننا الوهابيين
لمنعه شيئاً فشيئاً إلى أن ألغى تمام
الإلغاء .

وكان للمحمل مصلحة حكومية تعنى
بإعداده هو والكسوة . أما الكسوة الآن
فيعجرى عملها طوال العام في المملكة العربية
السعودية مع إثارة من بقية من تلاميذ
من كان يعملها من الصناع المصريين المهرة
طوال العام .

وترجع أولية الاحتفال بالمحمل إلى
عهد قديم ، إذ يذكر صاحب النجوم
الزاهرة في حوادث سنة ٦٧٨ أنه في
يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان
حدث الطواف بكسوة الكعبة عظمها
الله تعالى ، بمصر والقاهرة على العادة ،
ولعبت ممالك السلطان الملك المنصور
قلاوون أمام الكسوة بالرماح والسلاح .
قال : وأظن هذا أول ابتداء سوق
المحمل المعهود الآن ، أي سنة ٨٤٠ .



المنجنيق

آلة من آلات الحرب الضخمة المتطورة .
وهي كلمة معربة من الفارسية تختلف في

تأصيلها ، فصاحب القاموس يذكر أن أصلها : مَنْ جَهَ نَيْكَ أَى مَا أَجودنى : أما أدى شير في الألفاظ الفارسية المعربة فيذكر أن أصلها : مَنْجَكْ نَيْكَ ، وأن منجك معناه الارتفاع إلى فوق ولا ريب أن الكلمة مأخوذة من الفارسية وإن كان فرنكل واستينجاس ١٣٢٤ يذهب إلى أنها مأخوذة من اليونانية (ماجانون) . واختلف في ضبطها بعد التعريف بين منجنيق ومنجنوق ومنجليق ، بكل هؤلاء نطق العرب .

وقال العرب كذلك جَنَّقُونَا بالمجانيق تجنيقاً ، أَى رَمُونَا بِأَحْجَارِهَا . ومن ذلك أيضاً الجنق : أصحاب تدبير المنجنيق ، وقالوا أيضاً : مجنقوا المنجنيق وجنقود ، أَى استعملوه ومهما يكن من أمر تأصيلها وما يلدور حولها من مباحث لغوية فإن المراد بها أنها آلة حربية ضخمة لرمى الحجارة الضخمة كانت تستعمل في الحروب . مماثلة للمدافع الحربية التي تستعملها الجيوش في عصرنا هذا .

وأول الأخبار في استعمالها في الإسلام كان في سنة ٧٢ من الهجرة أيام حصار الحجاج لعبد الله بن الزبير بمكة .

وقد حجج بالناس في تلك السنة الحجاج ابن يوسف إلا أنه لم يتمكن من المطواف

ولعل أقدم نص وردت فيه الكلمة قول زفر بن الحارث لقد تركتني منجنيق ابن بحدل أحميد عن العصفور حين يطير وزفر هذا من التابعين كانت وفاته سنة ٧٥ هـ ومن أقدم هذه النصوص أيضاً قول جرير المتوفى سنة ١١٠ هـ :

يلقى الزلازل أقوام دلفت لهم

بالمنجنيق وصكا بالملاطيس

بالكعبة ولا يسعى بين الصفا والمروة ، منعه
ابن الزبير من ذلك وكذلك لم يتمكن ابن
الزبير ولا أصحابه من الوقوف بعرفة ولم
يرموا الجمار ، فبطل حج الفريقين جميعاً .

وحج ابن عمر تلك السنة ، وأرسل إلى
الحجاج ، أن اتق الله واكف هذه
الحجارة عن الناس فإنك في شهر حرام .
وقد قدمت وفود الله من أقطار الأرض
ليؤدوا فريضة الله ، وإن المنجنيق قد
منعهم من الطواف . فبطل الرمي حتى عاد
الناس من عرفات وطافوا وسعوا . ولم يمنع
ابن الزبير الحاج من الطواف والسعي .
فلما فرغوا من طواف الزيارة نادى منادى
الحجاج : انصرفوا إلى بلادكم فإننا نعود
بالحجارة على ابن الزبير الملاحد !

فأخذ الحجاج حجر المنجنيق بيده
فوضعه فيه ورمى به معهم ، ولم يزل القتال

دائراً حتى قتل ابن الزبير بعد حصار دام
ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة . وكان
مقتله سنة ٧٣ .

فهذا أول خبر في استعمال المنجنيق .

وقد استعمل المنجنيق بعد ذلك بعد
تطويره وتضخيمه في سنة ٧٤٤ يقول ابن
كثير في البداية والنهاية^(١) : « وفي شهر
رمضان نصب المنجنيق الكبير على باب
الميدان الأخضر وطوال أكتافه ثمانية عشر
ذراعاً ، وطول سهمه سبعة وعشرون ذراعاً ،
وخرج الناس للفرجة عليه ، ورمى به في
يوم السبت حجر زنته ستون رطلاً ، فبلغ
إلى مقابلة القصر من الميدان الكبير وذكر
معلم المجانيق أنه ليس في حصون الإسلام
مثله ، وأنه عمله الحاج محمد الصافي ليكون
بالكرك فقدّر الله أنه خرج ليحاصر الكرك^(٢)

(١) البداية والنهاية ١٤ : ٢٠٧

(٢) الكرك قلعة حصينة جدا في طرف الشام من نواحي البلقاء .

قميص يوسف

أَجْرَى اللهُ تَعَالَى أَمْرَ يَوْسُفَ مِنْ ابْتِدَائِهِ
إِلَى انْتِهَائِهِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْمِصَةٍ (١) :

أولها : قميصه المصرج بدم كذب ،
حين ذهب أخوة يوسف به ، وأخفوه
حسدًا منهم في الجب ثم رجعوا إلى أبيهم
وقد صرخوا قميصه بدم كذب وقالوا :
قد أكله الذئب : فلم يصدقهم يعقوب
وعلم أن ذلك خدعة منهم . وقال : تالله
ما رأيت ذئبًا أحلم من هذا وأرفق ! أكل
ابني ولم يمزق قميصه !

والثاني : قميصه الذي قُدَّ من دُبُر ،
حين فننت به امرأة العزيز وراودته عن
نفسه وشقت قميصه من طوقه الأعلى
فانخرق إلى أسفله من دُبُر . وشهد شاهد
من أهائها : إن كان قميصه قُدَّ من قبل
فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه
قُدَّ من دُبُر فكذبت وهو من الصادقين .
فلَمَّا رَأَى الْعَزِيزُ أَنَّ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ
قَالَ لِلنِّسْوَةِ : إِنَّهُ مِنْ كَيِّدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ
عَظِيمٌ !

والثالث : قميصه الذي شم ريحه أبو
يعقوب فارتد بصيرًا بعد أن أدركه العمى
حُزْنًا عَلَى فَقْدِهِ ، فَأَدْرَكَ مِنْ رَائِحَةِ الْقَمِيصِ
أَنَّهُ قَمِيصُ وَلَدِهِ الْغَائِبِ عَنْهُ يَوْسُفَ بَعْدَ
مَرُورِ نَحْوِ سَبْعِينَ عَامًا فَعَادَتْ إِلَيْهِ الْفَرَحَةُ
وَأَعَادَ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ .

وكان أخوهم يهوذا قال لإخوته : قد
ذهبت إلى أبي بقميص الترحة من قبل ،
أي الحزن فدعوني أذهب إليه بقميص
الفرحة .

ومن نوادر القمصان ما وقع لأبي الحارث
جُمَيْرٍ ، وهو أَنَّهُ رُئِيَ فِي ثِيَابِ رُثَّةٍ مَتَخَرِّقَةٍ
فَقِيلَ لَهُ : أَلَا يَكْسُوكَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ؟
فَقَالَ : لَوْ كَانَ فِي بَيْتِي مَمْلُوءٌ بِرَا وَجَاءَهُ
يَعْقُوبُ وَمَعَهُ الْأَنْبِيَاءُ شَفَعَاءُ ، وَالْمَلَائِكَةُ
ضَمَنَاءُ يَطْلُبُ مِنْهُ إِبْرَةَ لِيَخِيطَ بِهَا قَمِيصَ
يُوسُفَ الَّذِي قُدَّ مِنْ دُبُرٍ مَا أَعَارَهُ إِيَّاهَا ،
فَكَيْفَ يَكْسُونِي ؟ ! وَأَنْشَدَ :

لو أَنَّ دَارَكَ أَنْبَتَتْ لَكَ وَاحْتَشَتْ
إِبْرًا يَضِيقُ بِهَا فَنَاءُ الْمَنْزِلِ
وَأَتَاكَ يَوْسُفُ يَسْتَعِيرُكَ إِبْرَةَ
لِيَخِيطَ قَدِ قَمِيصِهِ لَمْ تَفْعَلْ

سنو يوسف

وهي التي أشار إليها الكتاب العزيز في قوله : « قَالَ : تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ » ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ » ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ » .

وجاء في الحديث الشريف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مِصْرَ وَابْعَثْ فِيهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ . وَأَنْ اللَّهُ اسْتَجَابَ دَعَاءَهُ حَتَّى شَبَّوْا الْجِلْدَ وَأَكَلُوا الْقَدَّ ^(١) » وَيَضْرِبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْقَحْطِ وَالشَّدَةِ .

يقول الثعالبي ^(٢) : ومن قصة سني يوسف أنه كان عليه السلام قد أعد في سني الخصب من الحنطة والشعير وسائر الحبوب في الأهراء والخزائن ما يكفي

أهل مصر وغيرهم . فلما انتهت سنو الخصب وجاءت السنون الشداد جعل يوسف يبيعهم في السنة الأولى بالدرهم والدنانير حتى استغرق دراهم مصر ودنانيرها ثم باعهم في السنة الثانية بالحنطة والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس شيء منها ، ثم باعهم في الثالثة بالمواشي والدواب حتى استولى عليها كلها . ثم باعهم في الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق لأحد منهم عبد ولا أمة ثم باعهم في الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى جمع بين ملك مصر وملكها . ثم باعهم في السادسة بأولادهم حتى استرققهم ، ثم باعهم في السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة إلا صار عبدا وصارت أمة له . ثم إنه عليه السلام قال : إني لم أملك مصر لأملك أهلها ، ولم أبرهم لأجفوهم ، فأعتقهم كلهم ورد عليهم أموالهم وأملأهم وأولادهم .

(١) القد ، بالفتح : الجلد وجلد السخلة .

(٢) ثمار لأقلوب ٤٩ .

عصا موسى

الدائف والسقيم المدنف والأقطع الرجل
والأعرج ، فإنها تقوم مقام رجلٍ أخرى .
وتنوب للأعمى عن قائده . وهى للمقصر
والفناشكار^(٢) والدِّبَاغ^(٣) . ومنها المفاد^(٤)
لليلة^(٥) ، والمحرك للتنور . وهى لدق
الجص والجبين^(٦) والسسم ، ولخبط
الشجر ، وللفيج^(٧) وللمكارى^(٨) . فإذا
طال الشوط وبعدت الغاية استعاننا فى
حضرهما وهرولتهما فى أضعاف ذلك
بالاعتماد على وجه الأرض .

وهى تعدل من ميل المفلوج وتقيم
من ارتعاش المبرسم ، ويتخذها الراعى
لغنمه وكل راكب لركبه ، ويدخل

فى الكتاب العزيز : « وَمَا تِلْكَ
بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى » قَالَ : هِيَ عَصَاى
أَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِى وَلِىَ
فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى »

سئل يونس^(٩) بن حبيب عن قوله :
« وَلِىَ فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى » فَقَالَ :
لست أحيط بجميع مآرب موسى ص
ولكنى سأنبئكم جملا تدخل فى باب
الحاجة إلى العصا : من ذلك أنها تحمل
للحية والعقرب ، وللذئب ، وللفحل
الهائج ولعير العامة فى زمن هيج الفحول
من الإبل وكذلك فحول الحجاج من
الخيول فى المروج . ويتوكأ عليها الكبير

(١) البيان ٣ - ٦٧ .

(٢) من بشارى ، الفلاحة بالفارسية .

(٣) المفاد : خشب يحرك بها التنور .

(٤) هو ما يعرف فى مصر بالمصيص .

(٥) الفيح : الذى يسمى على رجله يحمل الأخبار من بلاد إلى بلاد .

(٦) المكارى : الذى يكريك دابة بالأجرة .

عصاه في عروة المزور ويمسك بيده
الطرف الآخر . وتكون إن شئت وتبدأ
في حائط ، وإن شئت ركزتها في الفضاء
وجعلتها قبلة ، وإن شئت جعلتها مظلة
وإن جعلت فيها زُجًا كانت عَنَزَة وإن
زدت فيها شيئاً كانت عكازا ، وإن
زدت فيها شيئاً كانت مطرداً ، وإن
زدت فيها شيئاً كانت رمحا .
والعصا تكون سوطا وسلاحا ، وكان
رسول الله ﷺ يخطب بالقضيب ، وكفى
بذلك دليلا على عظم شأنها وشرف حالها
وعلى ذلك الخلفاء وكبراء العرب من
المخطباء .



القوافي الخمس

قال السيوطي : قلت ذيلت عليها

بـخامس :

أود أن لو أبيتُ جاركم

ولو بماوى الجمال في الشايـة

وأقول : «ومن روائع الشعر المتكلف

قول الإمام النحوى الدمامي ، بقوله

في امرأة جبانة ، أى صانعة للجبن :

مذ تعانت صناعة الجبن خود

قتلتنا عيونها الفتانة

لاثقل لى كم مات فيها قتيل

كم قتيل بهذه الجبانة^(٢)

ذكر السيوطي في بغية الوعاة^(١) أن

محمد بن الحمصيني بن عمير اليمنى

كان مقبياً بمصر ، وصنّف كتاب أخبار

النحويين . ، ومن شعره وزعم أن

ليس لقافيته خامس :

أسقمني حب من هويت فقد

صرت بحبه في الهوى آية

ياغاية في الجمال صوره الا

ه أما للصدود من غاية

تركنتي بالسقام مشتهرا

أشهر في العالم من راية

أحب جيرانكم من أجالكم

بحجة الطفل تشيع الداية



(١) بمثة الوعاة ٣٧

(٢) الجبانة هنا المقبرة .

أَثافي الشر

أَثافي : جمع أَثْفِيَّة ، والأَثْفِيَّة : حجر مثل رأس الإنسان .
بِالشَّرِّ كله . ومن ذلك قول خفاف بن ندبة :
نَدْبَةُ : .

وكثيرا ما توضع القمدر على أَثْفِيَّتَيْنِ اثْنَتَيْنِ إلى جوار قطعة من الجبل فتكون القطعة من الجبل ثلاثة الأَثافي .
وإن قصيدة شنعاء من :
إذا حضرت كشالمة الأَثافي
وقال الأصمعي : « كان جرير والفرزدق والأخطل يُسمّون : أَثافي الشر ، تهاجّوا أربعين سنة » .
ويقال في الأمثال للرجل يرمى صاحبه بالمعضلات : رماد بثالمة الأَثافي ، أي [



جمع الهوامع

فى شرح جمع الجوامع للسيوطى

فى العوامل ، و (الخامس) فى التوابع
وأعراض التركيب ، و (السادس) فى
الأبنية وهى علم الصرف المشتمل على
صيغ الأفعال والأسماء وما يعرض لها
من نحو الجمع والتصغير ، والنسب
وبناء المصادر والآلات والمبالغة والإمالة
والوقوف .

أما الكتاب (السابع) فهو ما سجد
السيوطى بالتصريف ، وهو القسم الذى
تتغير فيه الكلمة لا لاختلاف المعانى
كما يحدث من النقص والإدغام والإبدال
والقلب والنقل ونحو ذلك مما لا مدخل
له فى الحروف ولا فى الأسماء المبنية
ولا الأفعال الجامدة نحو ليس وعسى ،
وإنما مدخله الاسم المعرب والفعل المتصرف
فقط .

وأعقب هذا كله بخاتمة فى (الخط)
ويعنى به مانسميه علم الرسم أو علم
الإملاء ومنه فصل فى كتابة المصحف .

يعد هذا الكتاب أجمع كتاب لمسائل
العربية وفروعها الدقيقة وتعليقاتها المتشعبة .
أما المتن ، وهو جمع الجوامع فيقول
فيه السيوطى : « جمعته من نحو مائة
مصنف فلا غرو أن لقبته : جمع الجوامع .

(أما الجمع فهو فى جزأين نظام الأول
منهما يجرى على إيراد بعض نصوص
المتن يعقبها نصوص شرحها كل منهما
بمعزل عن الآخر ويعجرى النسق فيهما
هكذا إلى تمام قسم كبير من الكتاب
(الثانى) من جمع الجوامع وهو كتاب
الفضلات .

أما الجزء الثانى فيستمر النسق فى
أوله جريا على النسق نفسه إلى أن يختم
الكتاب الثانى فى صدره بمنصوبات
الأفعال . ثم يبدأ نسق آخر ، هو
نظام الشرح المتداخل فى المتن بكدها
من الكتاب (الثالث) من جمع الجوامع ،
وهو المجزورات وما حمل عليها من
المجزومات يتلوها الكتاب (الرابع)

وأريد أن أنبه هنا على أن الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، وهي طبعة مطبعة السعادة سنة ١٣٢٧ الهجرية بتصحيح السيد محمد بدر الدين النعساني قد اعتمدت على ثلاث مخطوطات كما ورد في حواشي ص ٨٠ من الجزء الأول «بياض بالأصل في النسخ الثلاث» . ومنها نسخة بخط السيوطي نفسه ويبدو أنه استعين بها أو ببعض قطعها أخيراً كما ورد في هوامش ص ١١٧ من الجزء الثاني : وهكذا وجد بياض في عدة نسخ منها نسخة بخط المؤلف بمكتبة المرحوم الشيخ إبراهيم السقا .

والشيخ إبراهيم السقا هذا هو إبراهيم بن علي حسن بن حسن السقا . مولده ووفاته بالقاهرذ ١٢١٢ - ١٢٩٨ . وكان من الفقهاء الخطباء ، تولى الخطابة في الأزهر نيفاً وعشرين عاماً . وهو صاحب كتاب : «غاية الأمنية» ، في الخطب المنبرية « مطبوع .



لفظان غريبان

وأما الثانية فكلمة «المِداس» قد
تظن كذلك مع أنها عربية فصيحة .
ففي المصباح (دوس) : «وأما المِداس
الذى ينتعله الإنسان فإن صح سماعه
فقياسه كسر الميم لأنه آلة» وإلا في
الكسر أيضا حملا على النظائر الغالبة
من العربية .

وانظر الخزانة ٣ : ٤٤ - ٤٥ حيث
تجد خبرا مسهبا ورد فيه ذكر «المِداس»
تعليقا على قول أبي نواس :

وإذا المطى بنا بلغن محمدا

فظهورهن على الرجال حرام

وقد ضمن المِداس معنى المطية ، وهو

خبر طريف .

عيد السلام هارون

الأمين العام للمجمع

أما الأول فكلمة «الحُمْلان» التي
يبدو أنها عامية مبتذلة مع أنها عربية
فصيحة ، وهي بضم الحاء كما في
اللسان . حمل الشيء حملاً وحُمْلاناً
ومثله في القاموس .

وأنشد السيوطي في البغية ٢٨٠ لعبد الله
المالقي :

سهرت أعين ونامت عيون

لأُمور تكون أو لا تكون

فاطرد لهم ما استطعت عن النّف

س فحُمْلانك الهموم جنون

إن ربا كفاك بالأمس ما كا

ن سيكفياك في غد ما يكون



مع الرازي

للدكتور حسن علي إبراهيم

سبق أن تكلمت في مؤتمر للمجمع عن طريقة تفكير أبي بكر الرازي وذلك من خلال حوار تخيلت أنه دار بينه وبين ابن سينا وأبو القاسم الزهراوي وبينت أنه كان عملياً في تفكيره وقلماً كان يلجأ إلى الفلسفة كما تكلمت عن التجارب التي أجراها وطريقة تدريبه وما أجراه من أبحاث في العلاج المقارن واليوم أعود إليه لأتكلّم عن نواحٍ أخرى وقد اخترت أمراض المسالك البولية لأنها خير ما كتبه الرازي وكما يقول الدكتور محمد كامل حسين في كتابه العظيم ومجمله أن مقاله الرازي في هذا الباب ما زال ينفج معظمه لتدريس طلبة الطب في وقتنا الحاضر كما يفيد الممارس العام ولكن كما يقولون لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة ولعلّي أكون ظالماً إذا جريت وراء الكبوات فقط .

يتمتاز الرازي بدقّة الملاحظة والدكاء الخارق والعلم الغزير فقد كان الرجل أديباً فيلسوفاً موسيقياً فلكياً ولكن أهم ما يميز به هو الطب ولو أنه مارسه عندما قارب الأربعين من عمره بينما بدأ ابن سينا يمارس الطب وهو في السادسة عشرة وكل من يقرأ كتاب الحاوي يتمنّ يستطيع أن يرى مقدار علم الرازي بوضوح ولكن أهم ما يميز الرازي هو أنه استطاع التخلص من رفقة جالينوس وفلسفته وغيره من فلاسفة الإغريق الذين فلسفوا الطب فقد عارض جالينوس في كثير من المواضع وخطأه وكان يقول رأيه بعد كلمة وليّ أو أقول وهو ما لم يستطعه ابن سينا مع أنه أتى بعد الرازي بما يقرب من قرن من الزمان وبالرغم من معارضة الرازي لجالينوس فإنه كان يكتنّ له كثيراً من الإحترام وفي مواضع

كثيرة من كتابه ذكره باسم الفاضل
باجالينوس ولكن من المؤسف أن رأيته الذي
عارض به جالينوس كان خاطئا بمقاييسنا
الحالية وكان هذا الخطأ يأتي غالبا في
تفسير الظاهرة المرضية وسببها وهو
عيب الأطباء القدامى جميعا فإنهم كانوا
يلجأون إلى ما يسميه الإنجليز Arm Chair
Thoughts أى أنا والكرسى الوثير
وذلك بأن تجلس وتفكر عن منشأ
وأسباب المرض وذلك لايتأتى أبدا
بالتفكير المجرد بل يحتاج إلى المعامل
والمجهر والتجارب والأشعة والتشريح
وغير ذلك وذلك لم يكن في حوزتهم ،
والآن سوف أسرد بعض أمثلة مما قاله
الرازي في أمراض المسالك البولية «بول
الدم خالصا غزيرا بلا سبب ظاهر يكون
من انصداع عرق في الكلى لامتلأته من
الدم وقد يكون ذلك من وثبة أو سقطة
(لى) رأيت خلقا بالودما كثيرا نقيا
فنقلتهم فكان ذلك عن الكلى ولايكاد
يكون عن المثانة ويقول «من بال دما
بغثة فإن عرقا في كلاله انصدع وليس
يمكن أن يكون ذلك من أجل المثانة وذلك

أنه ليس يمكن في عروق المثانة أن تتصدع
من أجل دم ينصب إليها كما يعرض
ذلك في الكلى وذلك أنه ليس يتصنف
الدم في العروق التي في المثانة كما يتصنف
في العروق التي في الكلى وإنما يجرى من
الدم إلى المثانة ما يكفيهما فقط وتتغذى
به فأما الكلى فلأن الدم يتصنف فيهما
وقد يجرى إليها عروق كبار ودم كثير
فأفضلا عن غذائها - كثيرا جدا .

ويقول «وذلك أن العروق التي في
المثانة ليست مكشوفة ولا غير معتمدة
مثل العروق التي تدخل إلى باطن الكليتين
التي قد يحدث فيها التقيح والتصدع
من أجل كثرة الأخلط والعروق إذا
تصدعت تفرغ منها دم كثير صحيح
لأنما إذا انفتح دفعة وخاصة إذا كان
انفتاح العروق التي يتصنف فيها الدم
يسيرا لكنه يرشح منه أرقه قليلا قليلا
فيجرى البول قدخالطه شيء من الدم .

ويقول إذا خرج الدم من الكلى بلاقيح
ولم يكن معه وجع ولاحرارة شديدة
ولاحسى فإن من انفتاح العروق وانشقاقها
وماكان من خراج فإن الدم يخرج مع

المدة ثم يصف الدم الآتى من الكلى فيقول
يكون الدم رقيقا لا غلظ له ولا لزوجة
وهذا صحيح تماما . ويلفت نظرنا في
هذا الوصف الرائع أنه لم يتكلم عن
الألم إلا في حالة الخراج أى أن الدم
يكون كثيرا دون ألم وهذا ينطبق تماما
على البول الدموى عندما يكون الدم
صادرا عن الكلية وهو يحدث غالبا في
حالات أورام الكلية السرطانية وعندما
كنا طلبة في كلية الطب كنا نقول احفظ
في حالات سرطان الكلية وهى profuse
Peridic. painless, parpoless أى غزير
ومتقطع وغير مصحوب بالألم وبلا سبب ظاهر.

وما يلفت النظر أيضا أنه يفرق بين
الدم الآتى إلى الكلى وبين الدم الذى يغذى
المثانة فقد فطن إلى أن الكلى هى مصفاة
الدم ولذلك تصلها عروق كبيرة وقد
قرر أن من ثلث إلى ربع الدورة الدموية
يمر في الكلى مع كل نبضة قلب وهذا
يفوق حاجتها الغذائية بكثير فالكلى
ترشح هذا الدم وتستخرج منه السموم
الناتجة عن الأيض مثل حمض البوليك
والبولينا والأملاح المختلفة بينما لاتأخذ

المثانة من الدم إلا مايكفيها لغذائها فقط.
فالمثانة خزان للبول تمتلئ فتتقلص وتدفع
مائها إلى الخارج وليست مصفاة للدم
كما أنه حيز بين طبقة العروق في
الكلى والمثانة فى الأولى نجد عروقا
كبيرة تتفرع في جسم هش نسجيا بينما
عروق المثانة مدفونة بين عضلها السميك
وكلنا نعلم أن الدم الآتى من المثانة
يكون في آخر التبول ولا يكون كثيرا
كما يحدث في حالات البلهارسيا والثآليل
أو السرطان أو الإلتهاب ولست أفهم بالضبط
الفرق بين التصدع أو الإنشقاق ولكن
الدكتور كامل حسين يقول إنه ربما
كان يعنى بالإنشقاق إنه إتساع غير
عادى بالعروق فيرشح الدم من جدرانها
كما يحدث في حالات الإلتهاب مثلا .

ويقول الرازى كلما ضعف الجانب
المقعر من الكبد كان إختلاف شبيهه بماء
اللحم وكذلك من اعتل الجانب المحذب
بال مثل ماء اللحم ، وفي الواقع كان
الرازى يعتقد أن الفص الأيمن من الكبد
متصل تشريحيًا بالكلى وهذا خطأ ولكنه
ملاص للكلى فقط وقد يمتد الصديد

حول الكلى حتى يصل إلى الحجاب الحاجز
ويكون حول الكبد .

كذلك خراج الكبد قد يصل إلى
ماحول الكلية وفي كلتا الحالتين قد
يخرج مع البول صديد (لى) سيدل
على هذا النوع من بول الدم بسوء السمنة
واللون وإيّاك في هذه الفصم لأن هذا
الضعف دال على برد الكبد لكن يستدل
عليه ثم أقبل عليه بما يقوى الكبد
كالرواند . . . الخ ، وهنا وقع الرازى
في نفس الخطأ الذى وقع فيه من قبله
ومن بعده إذ أن جميع أعضاء الجسم
الداخلية في درجة حرارة واحدة فلا يوجد
عضو ساخن ولا عضو بارد .

ويقول الرازى «قد يخرج من الكلى
ماء رقيق كغسالة اللحم الطرى . وذلك
يكون لضعف الكلى وهذا إذا لم تميز
الكلى من مائية الدم البولى التى فيه
لكن أدته إلى المثانة كما هو وذلك يضعف
قوتها الطابخة والهاضمة » وفي الواقع
إن الجزء الأول من الكلام يكاد يكون
صحيحا . أما الجزء الثانى يكون صحيحا
أو يستبدل الرازى كلمتي الطابخة والهاضمة

بكلمة التركيز فإن الكلى الضعيفة لاتركز
البول أما الطبخ والهضم فله أماكن كثيرة
أخرى كالكبد والمعدة والقناة الهضمية
والبنكرياس وغيرها حتى أن المخ نفسه
بشارك في هذه العملية فهو يأخذ الجلوكوز
من الدم وينحوله إلى ثانى أكسيد الكربون
والماء ، أما الكلى بجانب إفرازها للبول
فإنها تدخل في عمليات الأيض ، فهى
تفرز الماء وثانى أكسيد الكربون كما
تفعل سائر الأعضاء وتنتج النشادر وتتخلص
من بعض الهرمونات في خلاياها كالجاسترين
مثلا وتتخلص من كثير من العقاقير
والأدوية كالبارتبيوريت وغيرها .

ويقول الرازى «إن جمعت في الكلى
مِدَّة فإنه يعرض وجع» في القطن ونتو^ه
فيه دون الشراسيف وإذا نام على جنب
أحس بثقل معلق ويتبع ذلك حمى مختلطة
ونافض ويكون بوله ناريا فإذا انفجرت
المِدَّة سكنت الحمى والنافضة البتة
ثم نعلم حال القرحة من جودة المِدَّة
وبياضها وتوسطها في الغلظة والرقّة ولا تكون
منتنة وإن مال إلى المثانة فذلك أصابع
موضع يميل إليه . وإن مال إلى الأمعاء كان

شرا من الأولى إلا أنه أصلح من أن ينصب
إلى المواضع الخالية يعنى حول الأحشاء .

والكلام فى جملته جيد وواضح أنه
يصف حالة تقيح فى الكلى أو فى كلية
كانت أصلا متمددة وقد تعلمنا ونحن
طلبة أن المرارة والكلى هما العضوان
الوحيدان داخل البطن . الذين إذا
أصابهما إلتهاب حاد أحدث حرارة عالية
ورعشة أما أن المدة حسنة فذلك خطأ
فما دام هناك صديد فى البول فهو يعنى

إستمرار الإلتهاب وإن كان قد تفتح
أما النتن فإنه ينتج من بعض الميكروبات
مثل بكتيريا القولون B. Cdi والميكروبات
الأخرى لاتسبب نتنا فى البول كما أننا
نعرف الآن إنتماء الإلتهاب بالفحص

المجهري للبول كذلك بتوزيع البول -
أما إنفتاح تقيح الكلى إلى الأمعاء فذلك
أمر نادر أما إذا انفجر القيق إلى ماحول
الأحشاء فذلك قاتل لأنه ينتج عنه
إلتهاب بريتنوى حاد وذلك لايحدث
إلا نادراً أيضا فى حالات الكلية المتمددة
المنتفخة .

ولعل أبعد ماكتبه الرازى هو مقاله

فى أعراض حصاة الكلية قال «أصحاب
الحجارة فى الكلى يصيبهم أشد ما يكون
من الوجع فى تولدها وفى وقت مرورها
ونزولها إلى المثانة خاصة وأما فى سائر
الأوقات. فإنما يجدون شيئا ثقيلا موضوعا
فى موضع الكلى (ومن الأطباء) من
ظن أن الحصى يتولد فى بطون الكلى
فإن الوجع لا يكون عند التوليد وإنما
يكون فى وقت المرور (ومنهم) من
ظن أنه يتولد فى لحم الكلى بمنزلة
ما يتولد فى المفاصل .

أما أن الوجع يكون عند تولد الحصاة .
فذلك أمر مشكوك فيه فهناك مرضى
تجوى كليتهم بحصاة كبيرة أو ربما
تفرعت هذه الحصاة على هيئة قرون
الوعلى . لتفرع داخل الكلى وأنابيبها
وكؤوسها ومع ذلك فلم يشعروا بألم
قط والذى يعجبنى أنه تنبه إلى أن مرور
الحصاة إلى المثانة يكون مصحوبا بألم
شديد وهو مانسميه المغص الكلوى وفى
الواقع فإن الحصاة لاتسبب ألما إلا
إذا إعترضت طريق البول سواء فى
مرورها من كؤوس الكلية إلى حوضها

أو إذا سدت مابين حوض الكلية وأول الحالب أو نزلت في الحالب وسببه الألم أن السدة تسبب إرتفاع ضغط البول فوقها هذا مع تقلص عضلات الحالب تقلصا شديدا ليدفع بها إلى المثانة ويمكن إثبات ذلك الآن بتجربتين بسيطتين .

الأولى أن يدخل منظار في المثانة وتعين فتحة الحالب ثم من خلال المنظار تمر قسطرة رفيعة في الحالب ويدفع بها إلى مافوق مكان الحصة فيندفع من القسطرة ويزول الألم في الحال .

والثانية هو مايسمونه تقرير حجم حوض الكلية pelvic estimation فخلال نفس القسطرة الحالبية يحقن سائل محلول الملح الفسيولوجي ببطء حتى يملأ حوض الكلية فيزيد الضغط بداخله ويشعر المريض بالألم في الحال .

وبعد أيها السادة أود أن أقول أنني سقت بعض الأمثلة فقط وعلقت عليها أما إذا أردت أن أكتب وأعلق على كل

مقالة الرازي في المسالك البولية فإن ذلك يحتاج إلى أكثر من عشرين جلسة في مجتمعكم هذا .

ومـ الاشك فيه أن الرازي عاش طويلا وقد كتبت تاريخ ميلاده ووفاته بالتقويم الميلادي كما جاء في عنوان البحث ويبدو أن هذا هو مااتفق عليه الباحثون الأجانب أما عن تاريخ وفاته فلم أر اختلافاً بين الناس بقدر ما وجدت في الرازي فالتقديرات تختلف ما بين ٦١١ إلى ٦٥٢ هجرية وقد فقد الرازي بصره في أواخر أيامه ربما من الماء الأبيض أو الأزرق (الجلوكوما) وقالوا .

ماذا لو قدحت فقال مامعناه أنه عاش طويلا جدا ورأى من الدنيا مايكفيه ولا يريد أن يرى أكثر وقد سافر إلى الري وهي مسقط رأسه حيث توفي .

أيها السادة شكرا لكم لحسن إستماعكم لهذا الموضوع العلمي الجامد والسلام عليكم ورحمة الله .

الدكتور حسن علي ابراهيم

اللغة بين التطور وفكرة الصواب والخطأ

للكيـتور كمال محمد بشر

من المقرر في عرف الدارسين أن اللغة ظاهرة اجتماعية تتفاعل مع المجتمع تؤثر فيه ويؤثر فيها . ولا يمكن أن نتصور لغة بدون مجتمع ، كما لا يمكن أن نتصور مجتمعا بدون لغة ، فبينهما تبادل تام . واللغة في ذلك شأنها شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى ، من تقاليد وأنماط السلوك والعادات والأعراف . ومعنى ذلك أن التطور أو التغير سمة لازمة للغة ، فكما تتغير أنماط السلوك بتقدم الزمن وانتقاله من فترة إلى أخرى ، كذلك تتغير اللغة أو يصيبها ما يسمى بالتطور .

الاجتماعية ، عندما ينهض القوم ويأخذون بأسباب التقدم وعوامل النمو في حياتهم الاجتماعية . وهنا قد تحدث فجوة أو صراع بين القديم والجديد . يحدث هذا في كل أنماط السلوك ويحدث في اللغة أيضاً . ومن ثم نجد أنفسنا أحيانا في حاجة إلى أن نقف وقفات قصيرة أو طويلة أمام بعض القضايا التي تحتاج إلى نظر كما قد يختلف الناس أيضاً حول بعض الأنماط الاجتماعية ، وتنصارع الفكر ويتباحث المفكرون ويختلفون فيما بينهم : أهذا النمط من السلوك صحيح أم خطأ ؟ أهذا الأسلوب في اللغة صواب أم غير صواب ؟ ... الخ .

والتطور أو التغير في الأنماط الاجتماعية أو السلوكية قد يكون أحيانا مفاجئا أو سريعا ، وبخاصة في أوقات الصحو

والتطور في اللغة - كما قلنا - سمة لازمة ، وينشأ على مرحلتين اثنتين متصلتين غير منفصلتين .

المرحلة الأولى فردية يقوم بها إنسان ما
أو مجموعة من الناس غير متفقين ،
كأن يتبكر أو يولد فرد كلمة أو عبارة
أو يعتمد إلى تغيير معنى كلمة من
الكلمات بطريق التوسع أو المجاز الخ .
هذا التغيير قد يفشل وقد ينجح .
فإذا فشل انتهى وقضى الأمر ، وإذا
نجح ذاع وشاع وتلقته الجماعة
بالقبول . وبمرور الزمن يصبح تقليداً
أو عادة ويصير جزءاً لا يتجزأ من
نظام اللغة المعنية . هذا القبول الجماعي
الذي يمثل المرحلة الثانية ربما تنشأ
عنه بعض المواقف التي تحتاج إلى
نظر وتدبر من ذوي الشأن المعنيين
بسلامة اللغة والمحافظة عليها . فهناك
جديد انضم إلى القديم : أهذا الجديد
صواب أم خطأ ؟ وما وجه الخطأ
والصواب ؟ ومعيار الحكم ؟ المفروض -
في رأينا - أن يفسر الجديد في ضوء
مفهوم التطور . ولكن ما معنى التطور
في اللغة ؟

اختلف الدارسون فيما بينهم وقدموا
لنا أربعة آراء ، نوجز مضمونها فيما
يلي :

الرأى الأول :

ويرى أصحابه أن التطور اللغوى يعنى
الانتقال باللغة من حالة إلى حالة أحسن
وأفضل إذ إن ذلك يعنى أن اللغة
قد جدت فيها ظواهر من شأنها أن تفى
بحاجة المجتمع وتؤدي أغراض التعبير
وتقدم وسائله لمقابلة التجديد أو النمو
في الحياة الفكرية والحضارية والعلمية
الخ

الرأى الثانى :

يتجه اتجاهها آخر ويقرر أن التغيير
يستلزم في أغلب الحالات أو بعضها
الخروج عن القواعد الثابتة المقررة ،
فهذا التغيير إذن ضرب من الخطأ
الصرف ، وينبغي أن ينظر إليه على
هذا الأساس .

الرأى الثالث :

يتوسط في الأمر وينظر إلى التطور على
أنه نوع من الميل أو الانحراف عن
القاعدة الأصلية ولكنه لم يصل بعد

إلى درجة الخطأ المحض^{١٢}، إذ من الممكن تفسيره أو تسويغه ورده إلى أصل^{١٣} من أصول اللغة أو بعض قواعدها . وأنماط استخدامها .

أما الرأي الرابع :

فيفسر التطور في اللغة بمعنى مجرد التغير : تغير في الأصوات أو بنية الكلمات أو في قواعد النحو وأساليب التراكيب ودلالاتها . وواضح أن أصحاب هذا الرأي لا يشغلون أنفسهم بقضية الصواب والخطأ بقدر انشغالهم بملاحظة ما جد في اللغة وتسجيل هذا الجديد . إنهم معنيون في المقام الأول برصد الظواهر الجديدة وتحليلها . وتصنيفها . وهؤلاء هم أصحاب البحث العلمي الذين يجهدون أنفسهم في سبيل الوصول إلى الحقائق وتركها تتحدث عن نفسها ، ولمن شاء - بعد - أن يتلقى هذه الحقائق وينظر فيها من زاوية أخرى ، وهي زاوية إعادة النظر في هذه الأداة لبيان موقعها والحكم عليها في إطار فكرة الصواب والخطأ بمعايير تختلف باختلاف وجهات نظر الدارسين^{١٤} وأهدافهم .

ونحن من جانبنا سوف نأخذ بهذا الرأي الأخير بوصفه منطوقا لمعالجة الموضوع وع معالجة علمية مع تضمينها نجاحنا الخاص في تفسيره وكيفية الإفادة منه ومن مبادئه في الوصول إلى رأي محدد في هذه القضية : قضية التطور وفكرة الصواب والخطأ في اللغة . ولا علينا في هذا المقام أن نشير في البدء إلى شيء من أسباب التطور اللغوي . ومعلوم أن هذه الأسباب كثيرة متداخلة متشابكة ، ولا يمكن حصرها حصراً كافياً في هذا المقام ، ومن ثم سوف نقنع بإيراد أمثلة منها بقصد التوضيح . من هذه الأسباب :

١- التطور نفسه ، وهذا أمر طبيعي مقرر معروف .

٢- الحاجة إلى الابتكار أو التوليد أو التجديد في بعض الظواهر اللغوية^{١٥} لمقابلة أغراض الدارسين والباحثين وللوفاء بأساليب الحياة وأنماط المساكن^{١٦} فيها المتجددة دائماً وأبداً .

٣- التأثير باللغات الأجنبية بطريق الترجمة أو بغيرها . وقد يظهر تأثير

اللغات الأجنبية في الأصوات أو قواعد
الصرف والنحو والأساليب والتراكيب .
وتختلف حالات التأثير والتأثير بدرجات
متفاوتة من مستوى لغوى إلى آخر ،
ومن بيئة إلى بيئة أخرى .

٤- ويلحق بهذا سبب آخر واضح ،
وهو اختلاط الجنسيات بعضها ببعض
في الوطن الواحد : قوم عرب وقوم
غير عرب ، وغير العرب أحيانا
ينتمون إلى أكثر من أمة أو دولة ،
ويختلط هؤلاء بأولئك قليلا أو كثيرا
ومن ثم يحدث التأثير والتأثير بين
لغة أهل البلد الأصليين واللغة أو اللغات
القومية للوافدين . وأظن أن هذا الوضع
واضح تماما في بعض البلاد العربية
التي تكثر فيها الجاليات الأجنبية .

٥- ومن أسباب التغير في اللغة أيضاً ،
ما يتعلق بالنطق وميكانيكيته ، كما
يحدث أحيانا في الانحراف عن النطق
السائد المقرر ، إما لعيوب خلقية ،
كما في الفأفة والثأفة واللغة الخ . . وإما
لجهل بقواعد النطق وإما لفقدان التربية
النطقية .

تلك إشـارات خفيفة إلى شيء
من أسباب التطور اللغوى أو التغير
في اللغة . وعلينا الآن أن ننظر
في معايير الحكم ، متى سلمنا بأن
اللغة يصيبها التغير أو التطور . من المقرر
أن أمثلة هذا التطور وقعت في اللغة العربية
على كل المستويات ، وفي كل الفترات .
ما حكمنا على هذه الأمثلة الجديدة ؟
أهي صواب أم خطأ ؟ من المعروف أن
قضية الصواب والخطأ قضية قديمة
شغل بها العرب أنفسهم منذ بدء التدوين .
اللغوى ، وعرفت أيضاً بحركة التنقية
أو التصويب اللغوى . تصدوا لهذا
العمل عندما أحسوا بانتشار اللحن
والتحريف في كلامهم لأسباب كثيرة
أهمها اختلاط العرب بالأعاجم أو
الأجانب بوجه عام .

يظن بعض الدارسين أن اللحن ظهر
أول ما ظهر في النحو . وهذا رأى
غير دقيق من الناحية العلمية ، إذ اللحن
ظهر . - ويظهر دائماً وأبداً - على كل
المستويات أصواتاً وصرفاً ونحواً .
ويمكن تفسير مقولتهم هذه على أية
حال - بأنهم لاحظوا اللحن في النحو

قبل ملاحظتهم له في بقية المستويات الأخرى ، أو لاحظوه في هذه المستويات ولكنهم لم يهتموا به اهتمامهم بما أشاب النحو من تحريف أو خطأ .

ولكن تظل الحقيقة باقية ، وهي احتمال وقوع اللحن في كل الظواهر اللغوية بلا استثناء . وربما ساغ لنا القول بأن الخطأ في الأصوات أو النطق هو المستوى الأول المرشح لوقوع التجاوز

والتحريف فيه ، فانتقال النطق من السالف إلى الخالف معرض دون شك لشيء من التغير أو عدم التقليد الدقيق للمنطوق بكل خواصه ودقائقه . وهذا الأمر واضح كل الوضوح عندما يمارس الصغير أو الأجنبي عملية النطق ، فإنه ولا شك معرض للتجاوز أو اللحن أو الخلط في نطق بعض الأصوات . وقد يمتد هذا أيضاً إلى الخطأ في الصيغ الصرفية وبعض السمات النحوية كذلك .

وانشغال العرب باللحن في القديم (وأحسبه في الحديث كذلك) يرجع إلى عدة من العوامل . أهمها عاملان أو سببان ، أحدهما ديني والآخر أدبي

اجتماعي . فمن الناحية الأولى كان اهتمام العرب موجهاً إلى فصاحتهم ومحافظة عليها وعلى كتاب الله ، فهي أدواته وهي لسانه المبين . وفي الجانب الآخر ، كان اللحن في نظرهم هجنة ومذمة ومنقصة . والقصاص المروية عن هذا الجانب الأدبي الاجتماعي كثيرة معروفة ومتناثرة هنا وهناك في المصنفات اللغوية والأدبية جميعاً .

أما المقصود بالمصطلح الشائع « اللحن » ففي تفسيراته عدة توجيهات : قيل معناه الخطأ أو هو من التلحين والغناء والتطريب ، أو اللحن الإرماز أو التكنية أو الفطنة . أما قول قائلهم :

منطق صائب وتلحن أحياناً

نا ونخير الكلام ما كان لحناً فقد روى في تفسير « اللحن » « فيه عدة وجوه . قيل إنه من الغناء والتلحين وقيل معناه « الخطأ » ، وهذا الخطأ محبب من هذه الحسناء ، وفسره آخرون « بالفطنة » فهي امرأة فطنة ذكية .

ولنعد الآن إلى قضيتنا الأصلية ،
وهى البحث فى معايير الصواب والخطأ
ونقرر منذ البداية أن « اللحن » فى
عرف قدامى اللغويين المحترفين هو
الخطأ ، أو بعبارة علمية هو الخروج
عن القواعد والضوابط الرسمية المتعارف
عليها لدى أصحاب الاختصاص ومن
على شكاكتهم من المعنيين باللغة وشئونها .
فما خرج عن هذه القواعد أو ما
انحرف عنها بوجه من الوجوه يعد لحناً
أو خطأً ، وما سار على هديها وجاء مطابقاً
لمبادئها فهو صواب . ولم يشذ أحد عن هذا
المعيار والاحتكام إليه فى هذه القضية طوال
تاريخ العربية إلا نفر قليل منهم -
وبخاصة فى أيامنا هذه - ينظرون
إلى بعض الأمثلة بشيء من التسمح
ويحاولون تصحيحها أو تفصيلها بطريق
التأويل أو تربطها بلهجة قديمة أو بصور
نادرة فى الاستعمال أو جائزة على
رأى أو توجيه من التوجيهات التى تقبلها
بعض نصوص العربية ، لرونة قواعدها
وضوابطها العامة .

أما فى النظر الحديث فقد اختلف
الدارسون فى الوصول إلى معايير محددة
وذلك لسببين ، أولهما اختلافهم فى
تحديد مفهوم « اللغة » وثانيهما
اختلاف وجهات نظرهم حول نوعية
المعايير وعددها . فبالنسبة لمفهوم
اللغة برز اتجاهان متقابلان : اتجاه
يرى أن اللغة « هى ما يجب أن
يتكلمه الناس ، ومعناه أن هناك نموذجاً
لغويًا اتفق عليه ، ويجب الأخذ به فى
كل حين وآن ، فمن حاد عن هذا
النموذج أو انحرف عنه قليلاً أو
كثيراً عد مخطئاً ، ومن التزم به
وسار على دربه فهو مصيب . وقد عرفت
هذه النظرة « بالنظرة المعيارية » ، كما
عرف أتباعها « بالمعيارين » . وهم
قوم من اللغويين يسعون إلى محاولة
استخلاص مجموعة من القوانين اللغوية
للغة ما ، ويرون فرضها على أصحاب
تلك اللغة ووجوب التزامهم بها .

أما الاتجاه الثانى نحو مفهوم اللغة
فيرى أصحابه أن اللغة « هى ما يتكلمه
الناس بالفعل » ، فهم ينظرون إلى
الواقع والحاصل بالفعل ، ويكتفون

المعيار الأول :

هذا المعيار - في جملته - يتبل وجوه
نظر العنيتين بشئون اللغة من الرسميين ،
رأصحاب النظرة « المحافظة » التقليدية .
إن هؤلاء يرون أن أساس الحكم والصواب
يتمثل في القواعد والضوابط اللغوية
المسجلة في كتب اللغة المتعارف عليها
والموثوق بها والتي يجرى التعامل على
هدها ووفقاً لما قرر بها . وهذه النظرة -
وإن كانت ذات أهمية بالغة في تعليم اللغة -
يؤخذ عليها أنها تنكر حقيقة التطور
الذي يصيب اللغة من آن لآخر ، إذ
اللغة قابلة للحركة : شئ يجد وشئ
يختفى الخ . .

المعيار الثاني :

هو ما يشار إليه « بالمعيار الجغرافي » .
وخلاصته أن قوماً من الدارسين يرون أنه
في الإمكان اتخاذ لغة بيئة معينة معياراً
للحكم ، لأسباب تؤهلها لذلك ، من ذلك
مثلاً لغة العواصم ، حيث يوجد المجتمع
المثقف عادة ، فهناك الجامعات ،
والمؤسسات العلمية والصحافة والإذاعة
وهناك أيضاً جو اجتماعي عام يساعد على
الاختلاط الذي من شأنه أن يعمل على

بوصف هذا الواقع وتحليله ، ولا
عليهم بعد ذلك أن ينظروا في خطئه
أو صوابه . فهل معنى هذا أن « الرصفيين
فوضويون ؟ » الجواب بالنفي ، إنهم
يلتزمون بمنهج علمي معترف به يقفون
عنده ولا يجاوزونه . إنهم يقومون
بدراسة اللغة دراسة مبنية على الملاحظة
والتسجيل والتحليل الوصفي ، ويخرجون
من كل ذلك بمجموعة من القواعد
والضوابط ولكن دون فرض لها . وهنا
تنتهي مهمتهم ، ويأتى بعدهم من
يشاء ويتلقى نتائجهم ، وله أن يأخذ
بها كما هي أو يختار منها ، ويفرض
ما يختار وفقاً لأغراضه وأهدافه ووفقاً
لموقعه ومسئوليته . إذن إننا نقرر أن
الوصفيين مشغولون أيضاً بالقواعد ،
ولكنهم لا يحاولون - وليس من شأنهم -
فرضها على المتكلمين ...

أما فيما يتعلق بالسبب الثاني ،
للإختلاف في تحديد معايير معينة فقد
ظهر أثره في تقديم مجموعة متباينة من
المعايير ، كل معيار منها صالح للأخذ به في
نظر أصحابه وقد وردت إلينا في هذا
الشأن سبعة معايير^(١) .

(١) قد أفدنا في الحديث عن المعايير السبعة التالية بما قرره « يسبرسن » في كتابه :

ظهور مستوى لغوى صحيح مقبول ،
يمكن الاعتماد عليه والأخذ به مقياسا
للحكم فى هذه القضية .

وقد يعترض على هذا المعيار بأنه
ليس من الضرورى أن تكون لغة
العواصم أصح أو أفضل من غيرها من
لغة بيئات أخرى أو لهجاتها . أضف إلى
هذا أن العواصم تتسم بسمات تبعدها
فى نظر بعضهم عن هذا الموقع ، إذ
هى ساحات معهودة لتجمعات من
البشر غير متجانسة فى الثقافة وأنماط
السلوك ، وغير متجانسة أيضاً فى
مستويات الكلام وفى عبارة موجزة :
فإنها أخلط من البشر وأخلط من
اللهجات والطرانجات ، وهذا بدوره
يؤدى إلى الخلط فى الاستعمال اللغوى
الأمر الذى يفقد هذا المعيار صلاحيته
المطلقة للحكم .

وفى وطنه العربى بالذات يصعب
الأخذ بهذا المعيار ، إذ العواصم العربية
كثيرة ولا يمكن الأخذ بلغة واحدة
منها دون الأخريات ، حيث لا مجال
للمفاضلة بينها لغوياً واجتماعياً وثقافياً .

فكلها متشابهة من حيث الخلط اللغوى
وتعدد الطبقات الاجتماعية والثقافية .
والأخذ بلغة هذه العواصم جميعاً يغوت
على أصحاب هذا المعيار هدفهم وهو
الوصول إلى مستوى لغوى ذى ضوابط
وسمات محددة يمكن العود إليها عند
الحاجة ، فما أبعد الوصول إلى هذه
السمات والضوابط وسط هذا الحشد
الهائل من اللهجات والطرانجات المتنافرة
المختلفة اختلافاً واسعاً فى شكلها
ومضمونها . هذا بالإضافة إلى أن
المستوى اللغوى بهذه العواصم - مجتمعة
ومنفردة - مستوى يبعد أن يكون
أهلاً للقياس عليه أو للسير على هديه ،
لما فيه من ضعف ظاهر وخروج كبير
عن قواعد العربية التى ينبغى الحفاظ
عليها وتنميتها ، دون أن ننسى
بخواصها الأساسية المميزة لها .

نعم قد يعتمد أقوام من الناس إلى
اختيار نمط من الكلام تؤهله ظروفه
الثقافية والاجتماعية واللغوية ، لأن يكون
نواة أو أساساً للغة مشتركة صالحة
للاخذ بها وحسبها منطلقاً لتنمية

لغة صحيحة يرتضونها معياراً ومثالاً يحتذى ويمكن العود إليه في قضية الصواب والخطأ هذه .

المعيار الثالث :

وقد عرف في الأوساط اللغوية بالمعيار الأدبي . ومجمل الرأي فيه أنه في الإمكان الاعتماد في هذا الشأن على لغة كبار الأدباء والشعراء والمفكرين وبخاصة المثقفين ، إذ المفروض أن تكون لغة هؤلاء القوم على درجة من الفصاحة والصحة ترشحها لأن تكون مثلاً صالحاً وأساساً مناسباً للحكم في قضية الصواب والخطأ . ولكن هذا المعيار - كسابقه - وجهت إليه بعض التساؤلات . من هم كبار المفكرين والأدباء ؟ ومن هم خاصة المثقفين ؟ وما أساس الحكم هنا أو هناك : أنبنيه على الشهرة أم على كثرة الإنتاج ؟

أما بالنسبة للشهرة فإنها لاتعنى بالضرورة جودة اللغة أو صحتها المطلقة ، فقد يكون المرء غزير الإنتاج واسعه ، ومع ذلك لا ترقى لغته - في مجملها - إلى درجة « المعيارية » في كل الحالات وربما يكون للشهرة أسباب أخرى غير لغوية .

حدث هذا في إنجلترا ، حيث توصلوا هناك إلى تحديد ضوابط وسمات معينة للغة سموها Standard English أو ما يطلقون عليها أحياناً Received English وبنوها في الأساس على لهجة عرفت بالنقاء النسبي المقبول من العامة والخاصة على سواء . هذه اللهجة - على ما نعرف - هي لهجة أهل الجنوب ومن ثم نراهم يستخدمون أيضاً المصطلح ، Southern English للإشارة إلى هذا الأصل الذي أصبح الآن يمثل المستوى اللغوي الذي يجرى به التعامل في الدوائر الرسمية والعلمية والثقافية ، والذي أصبح النموذج الإنجليزى العام المتبع في حقول التعليم .

وفي ظننا أن شيئاً من هذا القبيل حدث للغة العربية في عصورها الأولى إذ المروى أن فصحاءنا ترجع في أصولها الأساسية إلى لهجة قريش ، وهي لهجة عرفت بسمة الانتشار لما كان لأهلها

وليس من النادر على كل حال أن نلاحظ شيئاً من التحريف والعيوب اللغوية فيما يصدر عن هؤلاء وأولئك بلا استثناء. يفتي أعمالهم المكتوبة . واختيار أديب أو كاتب أو مفكر معين للاهتمام بلغته أو طرائقه في الاستعمال اللغوي لا يخرجنا من هذا المأزق . سوف تصطرع الآراء وتختلف وجهات النظر حول هذا المختار وأسباب اختياره . وبالجملة نستطيع أن نقرر أن هذا المعيار وحده لا يكفي في تقصيصنا هذه . وإن كنا لا ننكر إمكانية الانتفاع به .

المعيار الرابع :

يميل بعض الدارسين إلى الأخذ بمقولة قديمة ، خلاصتها أن ما جاء من التوظيف اللغوي مطابقاً لقواعد « المنطق العام » مقبول وصحيح ، وأن ما جاوز هذه القواعد خطأ لا يؤخذ به . وفي رأينا أن هذا « المعيار المنطقي » غير دقيق ، ولا ينبغي اتباعه دائماً في كل اللغات ، إذ ليس من المنطق ربط اللغة ربطاً وثيقاً أو دائماً « بالمنطق العام » لأن لكل لغة منطقها وخواصها المعينة .

فهناك في اللغة العربية مثلاً نقابل بأمثلة من القواعد النحوية منوعة لا تسيرو وفقاً لما تقتضيه قواعد « المنطق » في عرف الناس ، ولكنها في الوقت ذاته وقعت في العربية بصفاتها خاصة من خواصها المميزة لها .

من ذلك مثلاً أحكام المطابقة في التذكير والتأنيث في أحوال العدد من ثلاثة إلى عشرة ، إذ تقتضي قواعد العربية وجوب المخالفة في هذه الحالة . كما هو معروف ، على عكس ما هو متوقع من وجهة النظر المنطقية المخالفة . وهناك أيضاً في باب العدد يأتي التمييز (وجوبا) بصيغة المفرد في حين أن العدد ينتظم فكرة « الجمعية » . وذلك واضح في تمييز الأعداد المركبة والعقود والمائة والألف الخ . . نقول : خمسة عشر رجلاً وعشرون امرأة ومائة جندي . ثم ما المنطق في وجوب إعراب كلمات ووجوب بناء كلمات أخرى ؟ إنه منطق العربية ، وهذه خواصها .

وليس معنى هذا على أية حال أن اللغات تناقض المنطق أو لا تتماشى مع أحكامه دائماً وأبداً . ما نرياه أن نقررره هو أنه ليس هنا توافق مطرد بين قواعد اللغات وقواعد المنطق العام . نعم ، هناك صلات مسلم بها بين اللغة والمنطق في بعض القضايا الجوهرية ولكن على الرغم من ذلك ، المنطق اتجاهاته ولغة هي الأخرى طرائقها وقد يتفقان وكثيراً ما يختلفان . ودليل ذلك اختلاف اللغات فيما بينها في جملة من مظاهرها وسماتها ،

ولو كانت اللغات متمشية في كل حال مع المنطق العام ما اختلفت اللغات واللغات - كما نعلم - تختلف فيما نابينها اختلافاً واضحاً في جملة قواعدها .

المعيار الخامس :

أطلقوا على هذا المعيار « المعيار الذوقى » . اتجه بعض الدارسين إلى ربط الحكم بالصواب والخطأ على الظواهر اللغوية بعامل « الذوق » . فما جاء منها مقبولا من الذوق العام عد صحيحاً ، والعكس بالعكس .

وهذا المعيار - فى رأينا - لا يمكن الاعتماد عليه فى هذه القضية ، لأن « الذوقية » أمر « نسبى » ، يعتمد على الاتجاه الفردى أو الشخصى ، وكثيراً ما تختلف الأذواق فى الحكم على الأشياء ، لأسباب كثيرة ، نفسية واجتماعية وثقافية الخ . وليس هناك مانع بالطبع من أن نلجأ إلى عامل الذوق وقت الحاجة للاستعانة به أو الاسترشاد به ، شريطة ألا يناقض الأخذ به ما بنى أو أسس على أحكام موضوعية .

المعيار السادس :

ويسميه بعضهم « المعيار الأرسطى » ويعنون بذلك أنه يمكن الأخذ فى هذا الشأن بلغة « الأرسطى » أو الخاصة من القوم ، على أساس أن هؤلاء لديهم فرص طيبة للتفوق الثقافى والاجتماعى ، بالإضافة إلى ما عرفوا به من اتخاذ أسلوب لغوى متميز يتسق مع منزلتهم ذات الوضع الاجتماعى الرفيع .

وهذا المعيار بدوره ليس صالحاً للأخذ به وحده فى كل زمان ومكان . ربما

يصدق هذا القول على بعض البيئات في بعض الفترات ، كما هو الحال في الماضي - والحاضر أيضاً - في الوسط الأرسقراطى الإنجليزى ، وأوساط أخرى ثقافية تحاول الاحتفاظ بلغة أو لهجة منتظمة لخواص وسمات جيدة حرمت منها اللهجات الأخرى في البيئة الإنجليزية في عمومها .

غير أن هذا المعيار إن صح هناك لا يصح في بلادنا العربية . فخاصتنا الأرسقراطية في الماضي القريب لم تكن لديها معرفة كافية باللغة العربية ، بحيث يمكن الاقتداء بها أو الاعتماد عليها في التوظيف اللغوى الفصيح الصحيح . والمشهور أن كثيراً من الأرسقراط في مصر قبل ثورة ٥٢ كانوا يتعاملون فيما بينهم بلغات أجنبية إنجليزية أو فرنسية . أما الآن فليس بالبلاد العربية ما يمكن أن نطلق عليهم مصطلح « الأرسقراط » بالمعنى الدقيق ، وإن كانت هناك فئات تحظى بقدر كبير من الثروة ، ولكنهم - في الوقت نفسه - على درجة متواضعة من الثقافة

والمعرفة باللغة التى يمكن أن تتخذ نموذجاً للاقتداء بها أو السير على هديها .

المعيار السابع :

ويدعى « المعيار الديمقراطى » « أو » العام « أو » الجماهيرى » . ومعناه إمكانية العود إلى لغة الجماهير أو الشعب في عمومهم بقطع النظر عن فئاته أو طبقاته . إذ إن هذه اللغة تنظم مجموعة من السمات والخواص التى يشترك في توظيفها أفراد المجتمع المعين .

وقد اعترض على الأخذ بهذا المعيار في قضية الصواب والخطأ ، حيث إن « عمومية » الكلام مصطلح ذو مفهوم غامض ، ربما يعجرنا إلى الاضطراب أو الدخول في متاهات الاختلاف بين المستويات اللغوية الناشئة عن الفروق الفردية الثقافية والاجتماعية ، بالإضافة إلى الفروق في التوظيف اللغوى . وهذا كله يعنى فقدان الحدود الواضحة التى يمكن الاعتماد عليها في هذا الشأن . والقيام بحصر الظواهر اللغوية الشائعة بطريق العمليات الإحصائية

سبيل غير عملي ، لاحتياجه إلى جهود جبارة وتمويل ثرى غنى .

تلك جملة من المعايير التي قدمت للفصل في قضية الصواب والخطأ في اللغة ، وكلها إما - أوجلها - واجهتها بعض الاعتراضات ، كما رأينا . وهى اعتراضات تجعل الأخذ بهذه المعايير جملة وتفصيلاً أمراً غير مرغوب فيه ، لقصور في بعضها وعدم الدقة في المبادئ التي بنى عليها بعضها الآخر . وهنا نتساءل : أ معنى هذا أننا وصلنا إلى طريق مسدود في هــذا الشأن ؟ الجواب بالنفي طبعاً .

لنا في هذه القضية رأى معين بنيناها على أساس نظرتنا إلى واقع اللغة وما يجد فيها من ظواهر من جهة وإلى ما ينبغي علينا القيام به نحو هذا الجديد بوصفنا مسئولين عن لغتنا من جهة أخرى . أما من الناحية الأولى فلا مفر من الاعتراف بأن اللغات جميعها يصيبها شيء من التغير من فترة زمنية إلى أخرى ، ومن بيئة إلى أخرى ، بحسب الظروف والأحوال . هذا واقع لا سبيل إلى إنكاره أو رفضه أو قبوله دون نظر وتدبر . ومن الناحية

الثانية ، هذا الجديد الذي اعترفنا بوقوعه ينبغي النظر في حدوده واتجاهاته ، كي نضع له ضوابط ومعايير ، على أساس منها يكون الحكم عليه بالصواب أو الخطأ ، إذ ليس من النظر العلمى في شيء أن يقبل الجديد كله أو أن يرفض كله . إذن هناك أولاً دراسة ونظر ، ثم يعقب ذلك خروج بنتائج معينة توزن بمعايير يرتضيها منطق اللغة المعينة مع التسليم بمبدأ التجديد في حدود هذه المعايير أو المقاييس .

لهذا كان منهجنا ذا جناحين أو خطوتين اثنتين متصلتين غير منفصلتين . ١

الخطوة الأولى وصف الظواهر الجديدة وتحليلها ، وهذا عمل البحث العلمى الموضوعى . والثانية رسم حدود أو خطوط عريضه نسترشد بها في الحكم على هذه الظواهر . والخطوة الأولى تتمشى مع ما يسمى المنهج الوصفى والأخرى تطبيق للمنهج المعيارى . الأول وظيفة الباحثين والثانى مسئولية المعلمين ، ونحن بحمد الله نجمع بين الموقعين . ومن ثم لا يعترض علينا بالخلط بين المناهج ، إذ إن لكل منهج فى عملنا هذا

دوره المخصص له . وهما في حالتنا هذه يكمل أحدهما الآخر .

ويتأخص رأينا في قضية الحكم بالصواب والخصاً على الظواهر اللغوية الجديدة في الأخذ بثلاثة مبادئ متكاملة . يقوم أحدها إلى الآخر . هذه المبادئ هي :

أولاً : استشارة المراجع اللغوية المعتمدة والمعمول بها في معاهد العلم : والجاري اتباعها والأخذ بما جاء فيها من قواعد .

ثانياً : إن وجدنا ضالتنا في هذه المراجع فيها ونعمت ، وإلا رجعنا إلى الثقات من العلماء والدارسين المتخصصين . علنا نجد عندهم التفسير أو التوضيح أو إبداء الرأي فيما نستفتيهم فيه . إذ لديهم من المعرفة والخبرة ما من شأنه أن يضع الأمور في نصابها ، بحكم تعمقهم وإطلاعهم على ما قد يعجز الدارس العادي عن الوصول إليه أو العثور عليه من مراجع أو آثار علمية أو أفكار متناثرة هنا وهناك في كتب اللغة .

ثالثاً : الشيوخ أو اطراد الاستعمال للظواهر الجديدة مبدأ يمكن الأخذ به

والاعتماد عليه في الحكم في قضية الصواب والخطأ لما استجد واستحدث من عناصر لغوية مخالفة في ظاهرها أو تبدو كذلك بالنسبة للموروث المتعارف عليه من ضوابط . هذه المبادئ الثلاثة تكون إطاراً متكافئاً وخطة للنظر منهجية تأخذ بيد الدارس في سهولة ويسر وبطريق علمي نحو إبداء للرأي فيما يواجهه من جديد أو تطور في اللغة على كل مستوياتها .

وتفسير المبادئ المذكورة هو أنه ينبغي النظر في الجديد في ضوء التقديم ، أي في ضوء القواعد المسجلة أولاً . فإذا وفقنا إلى حاجتنا وقفنا عند هذا الحد . ولكن الاعتماد على القواعد المسجلة وحدها تكتنفه بعض الصعوبات أحياناً ، ولذلك أسباب عدة . منها :

١ - ربما يكون للظاهرة اللغوية الواحدة أكثر من وجه من حيث الجواز وعدمه أو من حيث درجة هذا الجواز من وجهة نظر اللغويين . ومن ثم يحار المرء عند اختيار وجه دون وجه ، أيأخذ بهذا أم بذلك ، كما يحار في تحديد المعيار الذي ينبغي عليه هذا الاختيار .

٢ - التقعيد اللغوي العربي مادة بالتأويل والافتراض والتفسير المغرق في الجدل والفلسفة ، كما هو معروف . والأخذ بهذا النهج يفتح الباب على مصراعيه لكل « جديد » ، إذ سوف نجد له مندوحة في إطار هذا المسلك غير العلمي ، أو نعثر له على تفسير مفترض أو متخيل ، يسمح له بالانضمام إلى دائرة الصحة دون وجه حق . ومن ثم يصدق علينا حينئذ ما قالوه قديما : « لا يخطئ نحوي قط » . وهي - في رأينا - مقولة صادقة غير صادقة في الوقت نفسه .

٣ - الاعتماد على القواعد المسجلة وحدها في كتب القواعد المعروفة لنا قد يفوت علينا الغرض ، أحيانا . من الجائز ألا نجد نماذج أو أمثلة يمكن التماس عليها أو الاسترشاد بها في الحكم على الظواهر « الجديدة » ، إذ ليس من المفروض أن تكون تلك القواعد

القديمية قد وضعت بحيث تغطي كل أمثلة اللغة قديمها وجديدتها على مر الزمن الطويل الخاضعة ظروفه للتغير والتطور . والمعروف أن قواعد العربية (وغيرها) تنصف بالعموم لا بالشمول ، وهذه قضية مهمة لم يلتفت إليها بعض الدارسين : فرق بين العموم والشمول : العموم معناه استخلاص الحكم العام من الأمثلة المتاحة للدارس قدر الطاقة في الظرف المعين . وهذا يعني إمكانية وجود أمثلة أخرى لا ينطبق عليها الحكم ، إما لقصور في جمع المادة ، وإما لعدم الوقوف على أمثلة نافرة ، لهجية أو شير لهجية (وربما تكون صحيحة بالنسبة لبيئتها) ، ومن ثم لم تؤخذ في الحسبان عند التقعيد . ودليلنا على ذلك ما يقابلنا من وقت إلى آخر في بعض المراجع القديمة القليلة التداول بين عامة الناس من إشارات خفيفة إلى مثل هذه اللهجات أو الأمثلة^(١) .

(١) من ذلك مثلا : كلمة « البعض » بالألف واللام تعد خطأ في نظر بعض الدارسين ، في حين أن ابن جني استعملها بهذه الصورة (محلاة بال) في خصائصه ، وأجازها مجمع اللغة العربية بالقاهرة مؤخرا . التركيب « قد لا » أي دخول « لا » على « قد » يظنه بعضهم من باب الخطأ ، في حين أن ابن جني (في الخصائص أيضا) استعمله أكثر من مرة وجاء في ألفية ابن مالك :

والمصروف قد لا ينصرف

درج أغلب اللغويين على القول بأن « كافة » لا تأتي إلا حالا مجردة من ال وللماقل دون غيره ، اعتمادا على أنها لم يستعملت إلا كذلك في القرآن الكريم ، في حين أننا نجد « كافة » مستعملة في غير الحال ومعرفة بالإضافة ومجرورة بالحرف =

ومعنى هذا أن معيار العبودية أو الرجوع إلى الكتب أو إلى القواعد الرسمية الموروثة وحده لا يكفي في كل الحالات . وهذا يقتضى التماس النصيح من الثقات والمهتمين بشئون اللغة ، كرجال المجامع اللغوية . فهؤلاء الثقات أكثر معرفة وأوثق صلة باللغة وقواعدها من جماعة المتخصصين والمثقفين عموماً . ولكننا هنا في هذه الحالة أيضاً قد نعجز عن الوصول إلى فتوى واضحة حاسمة تقطع الشك باليقين . ذلك أن هؤلاء القوم - لسبب حرصهم على سلامة اللغة - يختلفون فيما بينهم اختلافاً كبيراً في طرائق النظر في الظواهر الجديدة وفي معايير الحكم عليها . هذا بالإضافة إلى أن الأمر قد يمتد بهم أياماً بل شهوراً لإبداء الرأي في المسألة الواحدة .

نعم . إنهم مشكورون على جهودهم وتفانيهم في خدمة اللغة ، ولكن هذا النهج ربما يقف بهم حيث هم . في حين أن اللغة تسير في طريقها آخذة في التجديد والتطوير . وربما لا نستطيع المحقق بها شئنا أم لم نشأ .

وهنا يسوغ لنا أن نشير إلى المبدأ الثالث وهو معروف ومأخوذ به في الدرس اللغوي الحديث . ذلك هو ما نسميه « اطراد الاستعمال وشيوعه » . فإذا شاعت الظاهرة اللغوية الجديدة - وصار استعمالها في البيئة المعينة يمثل اتجاهًا عامًا ، ولم تخالف نصاً صريحاً في قواعد اللغة أو لم تعارض قاعدة أصالية أو سمة أساسية في اللغة العربية - إذا كان هذا حالها جاز الأخذ بها والسماح لها بالانضمام إلى صحيح الكلام . مع وضع ضوابط لأمثاتها تنضم

= لغير العاقل في مقدمة الزمخشري لكتابه « المفصل » يقول : « ولقد ندبني ما بالمسلمين من الأدب إلى معرفة كلام العرب ، إلى إنشاء كتاب في الإعراب محيط بكافة الأبواب » وورد شيء نحو هذا في كلام عربين الخطاب في كتابه لآل بني كاكلة ، فقيه يقول « قد جعلت لآل بني كاكلة على كفة بيت مال المسلمين ، لكل عام مائتي مثقال عينا ذهباً ابريزاً . . . » قيل وعرض هذا الكتاب على « علي بن أبي طالب » لما آلت الخلافة إليه ، فنقد ما فيه ، ولم ينكره ، « وعلى » هو « علي » في الفصاحة والبيان (راجع مذكرة الأستاذ عبد السلام هارون في مسألة « كافة » المقدمة إلى مؤتمر الجمع الدورة الثالثة والخمسين) .

نص ابن هشام (في المغنى) على أن التعبير هو « قبضت عشرة ليس غير » : ولا يجوز « لا غير » في حين جاء في تاج العروس (في مادة ح د ث) « . . . ولا يقال للسن حدث ولا للضرس حدث ، وإنما يقال للغلام نفسه هو حدث لا غير » إلخ . . .

إلى قواعد اللغة ، أو تلحق بقاعدة أصلية على وجه من التوسع أو التجوز أو ما إلى ذلك من وسائل التيسير .

ولا نغنى بهذا المبدأ الثالث فتح الباب على مصراعيه لكل جديد ، دون قيد أو مسوغ لغوى اجتماعى ثقافى . فاطراد الاستعمال وشيوعه ينبغى أن ينظر إليه فى إطار عام ذى جوانب محددة . ينبغى أن يؤخذ فى الحسبان عند تطبيق هذا المبدأ (مبدأ الاطراد والشيوع) هذه الجوانب هى :

١ - المستوى اللغوى المعين ، أهو فصيح أم عامى أم لهجة خاصة .

٢ - الحاجة والضرورة العلمية أو الثقافية التى تزكى إجازة هذه الظاهرة الجديدة أو تلك .

٣ - خلل اللغة (المستوى المعين) مما يسبب النقص أو ينفى بالغرض المطلوب .

إذا استرشدنا بهذه المبادئ مجتمعة ونظرنا فيما يجرى فى العربية الفصحى من استعمالات جديدة فى المنطوق والمكتوب على سواء ، استطعنا أن نقدم مجموعات

من الأمثلة المذوعة التى - وإن كثر استخدامها من بعض المثقفين - مازالت فى دائرة الخطأ الصرف من وجهة نظرنا . وقد يكون الخطأ فى القواعد الصوتية أو الصرفية أو النحوية ، كما يتضح من النماذج الآتية التى ما أردنا بها إلا مجرد التنبيه إلى كثرة التجاوز فى قواعد اللغة والخروج بها عن ضوابطها الأصلية .

فى الأصوات :

من الطبيعى أن يكون التمثيل فى ميدان الأصوات (وفى غيره) من اللغة المنطوقة ، إذ اللغة المكتوبة لاتخضع للحكم الصحيح فى هذا الباب (والأبواب الأخرى للغة) ، لأنها ساكنة خامدة ، ولأنها - فى العادة - تتسم بسمة التكلف والاصطناع والمراجعة ، بالإضافة إلى خلوها عادة من الضبط بالشكل الذى يفصح عن حقيقة الأمر فيها .

ولنكتف الآن بذكر أمثلة محدودة معدودة من الأخطاء البارزة فى النطق العربى عند محاولة التحدث باللغة الفصحى .

١ - همزة الوصل :

وأول ذلك ما نلاحظه من خطأ واضح يتمثل فى نطق هذه الهمزة ، إذ درج المثقفون

على تحقيقها ونطقها همزة كاملة الصفات
والسمات في أى موقع تقع فيه ، في حين
أنها تنطق همزة فقط في بدء الكلام ،
وتسقط في درجه (أى وصله) . وتفسير
هذا النطق الخاطئ يتمثل في أمرين

أولهما عدم معرفة حقيقة هذه الهمزة
وسماتها ومواقعها في الكلم العربى .

وثانيهما الخوف من الوقوع فى خطأ
الإعراب للكلمة السابقة عليها . ومن ثم
بدلاً المتحدث أحياناً إلى الوقوف بالسكون
على الكلمة السابقة ، ثم يأخذ فى نطق
الكلام التالى المبدوء بـهمزة الوصل فيحققها
خطأً ، لأن الكلام فى جملة ما زال متصلاً
بعضه ببعض ، وهذا الاتصال يوجب
سقوط همزة الوصل فى النطق .

وقد امتد هذا الخطأ إلى اللغة المكتوبة ،
إذ نلاحظ كتابة علامة همزة القطع (ء)
فوق ألف الوصل أو تحتها ، الأمر الذى
يدل على عدم معرفة حقيقة همزة الوصل ،
والجهل بمواقعها فى العربية .

والمعروف أن همزة الوصل لا تقع إلا فى
أول الكلمة ، ويحدث هذا فى أصناف

من الكلم معدودة . فى الأسماء تقع فى
أول عشرة أسماء فقط : ابن - ابنة -
مفردين ومثنيين) - ابنم - اثنان - اثنان
وامرؤ - امرأة - اسم (مفردة ومثناة) -
أيمن (فى اليمين ، كما فى قولك مثلاً
أيمن لأفعلن كذا ، أما أيمن جمع يمين
فهمزتها للقطع اتفاقاً) - است .

أمّا فى الأفعال فهمة الوصل تقع فى
أول الأمر من الفعل الثلاثى (نحو اضرب)
وفى ماضى الخماسى وأمره ومصدره (اتحد ،
اتحد - اتحداً) وفى ماضى السداسى
وأمره ومصدره (استفهم - استفهم -
استفهما) .

ولا تقع همزة الوصل فى الحروف إلا فى
أداة التعريف (ال) ، بخلاف الهمزة فى
« أم » و « أو » إلخ مثلاً ، فهى للقطع
قولاً واحداً .

وتكتب همزة الوصل فى كل الحالات
بالألف (ا) دون وضع علامة الهمزة (ء)
تحتها أو فوقها . وأجازوا وضع رأس صاد
صغيرة (ص) فوقها للدلالة على خاصيتها
الأساسية ، وهى إسقاطها فى النطق ووصل

الكلام السابق واللاحق ببعضه ببعض .
فهذه الصداد المصغرة هي اختصار للفعل
« صل » ، أى صل الكلام ولا تحقق
الهمزة (همزة الوصل) في درج الكلام .

٢ - الشاء والذال والطاء :

هذه الأصوات الثلاثة قد ضاع نطقها
الصحيح وضاعت سماتها الحقيقية في النطق
وسط زحام الرطانات اللهجية . وأصبحت
تنطق سيناوزا ياوزا يامفخمة (بهذا الترتيب)

على ألسنة المتعاملين باللغة الفصحى
وقد يمتد هذا النطق الخاطئ - للأسف -
إلى القرآن الكريم نفسه . والملاحظ
على كل حال أن هذه الظاهرة لاتشيع بين
المتعاملين بالفصحى من أبناء الخليج العربي ،
أو - قل - بين أولئك الذين اعتادوا نطق
« الضاد » (الأثنية - اللثوية الانفجارية)
كما لو كانت « طاء » (أى احتكاكية
مما بين الأسنان) .

٣ - أصوات التفضيم الكلى (الاطباق) :

وهي الصداد والضاد والطاء والظاء .
أصبح من الشائع نطق هذه الأصوات
الأربعة مرققة في كثير من السياقات ،
في حين أن نطقها الصحيح هو تفضيمها

تفضيماً كلياً في أى موقع تقع فيه . وهذه
الظاهرة أكثر وروداً على ألسنة النساء ،
بحيث أصبح هذا النطق عندهن أشبه
بالتاعدة العامة . والمعروف أن ترقيق هذه
الأصوات الأربعة سلوك صوتي معيب
بالإضافة إلى أنه يؤدي إلى اللبس والخطأ
في المعاني ، بسبب اختلاطها (عند الترقيق)
بنظائرها المرققة وهي السين والذال
والطاء والذال .

٤ - صوت الراء :

للراء - كما هو معروف - في اللغة
العربية حالات من التفضيم والترقيق ،
وكان له مشروطة بشروطها المتمثلة
في مواقعها السياقية في الكلام . على
أنا نلاحظ اليوم الميل إلى ترقيقها في كل
مواقعها تقريباً ، وخاصة بين أهل الخليج
العربي والنساء عامة . ولا يعترض باختلاف
القراءات القرآنية في هذا الموضوع ،
عاصرات صي الأخرى لها ضوابطها
المعروفة عند أهل الصنعة (أى القراء)
ومن ثم لا يجوز تقليدهم بغير علم ودراية .
المعروض أن المتحدث العادي عليه أن
أن يسلك المسلك العام في النطق . ونعني

به « النموذج » المتفق عليه بالنسبة للغة
« المشتركة » التي تتعامل بها جماهير
المثقفين والمرضى عنها من الثقات العارفين.
في الصيغ الصرفية :

يقع الخطأ كثيراً على ألسنة المثقفين
والخاصة في الصيغ الصرفية من حيث أوزانها
وأبنيتها وتصرفاتها ، بحيث أصبح أمراً
شائعاً يحتاج إلى وقفة ونظر . وفيما يلي
نماذج قليلة من هذه التجاوزات :

١ - وزن الفعل الثلاثي :

حدد الصرفيون للفعل الثلاثي مع مضارعه
ستة أوزان معروفة ، بحسب ما يعرض
لعين الفعل من حركات . وحاولوا أن
يضعوا لها ضوابط عامة بحيث تؤخذ
معياراً أو مقياساً عند الصوغ من جديد ،
أو عند استخدام الثابت المقرر المروي
عنهم . ولكن حال دون ذلك أمور كثيرة ،
منها الجهل بدقائق هذه الضوابط وكثرة
الأفعال وتنوع أصولها واختلاف مدلولاتها
بالإضافة إلى اختلاف اللهجات . ذلك
الاختلاف الذي أفسد على الصرفيين
ضوابطهم العامة . وكانت النتيجة رواية
الفعل الواحد بوزنين مختلفين أو بصورتين
تنتميان إلى لهجتين مختلفتين .

وهذا الاضطراب في أوزان الفعل قديم ،
أحس به بعضهم من أمثال أبي زيد
الذي روى عنه أنه قال : « إذا جاوزت
المشاهير من الأفعال فأنت بالخيار بين
الكسر والضم » أي إذا انتقلت من
الأفعال المشهورة ذات الصيغ الثابتة
المقررة على الألسنة والتي يعرفها الجميع -
إذا انتقلت من هذا النوع إلى أفعال أخرى
غير مشهورة فلك أن تأتى بالمضارع بكسر
العين أو ضمها . كما في « يهدف »
و « يعتب » ونحوهما . وهذا الاضطراب
(بأسبابه المتنوعة) جعل بعض الدارسين
يقررون أن هذه الأوزان سماعية لاقياسية .
أي تحتاج إلى الأخذ عن الثقات أو العودة
إلى مصادر اللغة .

ومن الطبيعي أن يشتد هذا الاضطراب
وتتعمق أصوله وتتفرع جوانبه وتنتشر
آثاره اليوم (وقبل اليوم) في استخدام
الفعل الثلاثي وأوزانه ، بسبب الضعف
العام الذي يسود التوظيف اللغوي في عمومهم ،
وبسبب عدم العود إلى مصادر الفتيا الممثلة
في ذوى الخبرة والدراية وفي الآثار اللغوية
المسجلة .

٣ - أخطاء بالتوهم :

يقولون « مشين » بضم الميم متوهمين
أنّه من « أشان » وهو فعل رباعي لا وجود
له في اللغة ، والموجود هو « شان »
الثلاثي ، والوصف منه حينئذ « شائن »
بصيغة اسم الفاعل ، ولك أن تقول في
المعنى نفسه « مشين » (بفتح الميم -
اسم مفعول من « شان » الثلاثي) ومثله
قولهم هذا الشيء « مباع » ، فكأنه من
« أباع » الذي لا تعرفه العربية ، والصحيح
« مبيع » اسم مفعول من « باع » .

٤ - الخلط بين الصيغ ذات المعاني المختلفة :

يقولون « خطاة » بكسر الخاء ويعنون
« المنهج أو الأمر أو المشروع » ، والصحيح
خطاة « بضم الخاء ، إذ تنص قواعد
اللغة على أن الصيغة بكسر الخاء إنما هي
للدلالة المادية ، ومعناها ما يخطه الرجل
لنفسه من أرض أو عقار . على حين أنها
بالضم للدلالة المجردة ، على ما ذكرنا .

وأما هذا الاضطراب الذي أدى إلى
الوقوع في أخطاء صريحة كثيرة تفوق
الحصر والعد ، وقد يقع ذلك في الماضي
أو المضارع أو كليهما ، كما في قولهم
مثلاً : حرص (بكسر الراء والصحيح
فتحها) ولقى (بفتح القاف مع المد)
(والصحيح كسر القاف وفتح الياء)
وينقل (بكسر القاف والصحيح ضمها)
ويكد (بكسر الكاف والصحيح ضمها) .

٢ - إسناد الفعل إلى الضمير :

كثيراً ما يقع الخطأ في صيغة الفعل
عند إسناده إلى الضمير ، وبخاصة إذا
كان معتل الآخر مسنداً إلى واو الجماعة ،
كما في قولهم : لقوا (بفتح القاف
وتسكين الواو والصحيح ضم القاف مع
المد)^(١) ، وقد يأتي العكس فيقولون :
سعدوا (بضم العين مع المد والصحيح فتحها
مع تسكين الواو) .

(١) ومع ذلك روى عن أبي طي وقولهم لقي بفتح القاف مع المد ، ومثله في رضى انظر « بقايا اللهجات العربية
في الأدب العربي » (أنولينان) (مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول القاهرة) - المجلد العاشر - الجزء الأول
مايو سنة ١٩٤٨ م .

ومشاه قولهم « قيد أنملة » بفتح القاف
وتسكين الياء والصحيح « قيد » بكسر
القاف مع المد ، ذلك أن الأولى تعني
« القيد » بالمعنى المعروف والثانية معناها
« القدر » . ونماذج هذا الخلط كثيرة
مشهورة ، منها الخلط بين « طوال »
بكسر الطاء وهى جمع طويل . وطوال .
بفتح الطاء ظرفاً ، و « عنان » بكسر
العين وهى كاللجام وزنا ومعنى ، و « عنان »
بفتح العين ، كسحاب وزنا ومعنى كذلك .
ونرى ظناً أن هذا الضرب من الخطأ
يرجع معظمه إلى اللغة المكتوبة . إذ هى
غالباً ما تخلو من علامات الضبط فلا
يدرى فى كلمة مثل « خطبة » إن كانت
بكسر الخاء أو بضمها ، وهذا مزلق يقع
فيه غير العارفين من القراء .

فى قواعد التركيب :

يكثر الخطأ فى نظام التراكيب والجمل
والإعراب ، أى فى النحو وقواعده . ومعلوم
أن النحو ليس الإعراب وليس الإعراب
النحو ، على العكس مما يفهم من أقوال
بعض المتأخرين من النحاة ، ومما يستشف
من سلوك بعض المعلمين فى تدريس قواعد

اللغة إذ قد قصروا - ما يبدو - وظيفة
النحو على النظر فى أواخر الكلمة . حتى
لتسميعهم يقولون بل ويسجلون فى
أعمالهم « أن النحو هو علم الإعراب »

وحقيقة الأمر أن النحو هو علم التراكيب
فينظر فى اختيار الصيغ وفى مواقعها
وفى علاقتها بعضها ببعض وفى إعرابها
فى إطار الجملة أو التركيب ، دون اهتمام
بجانب دون آخر . إذا أخذنا هذا الاتجاه
فى تحديد وظائف النحو فى الحسابان ،
أمكننا فى الحال أن نقرر أن هناك أخطاء
واضحة فى الوفاء بقواعد هذه الوظائف
الأربع ، دون استثناء ، وإن كان أوضحها
وأكثرها شيوعاً الانحراف بالكلم عن
قواعده الإعرابية المقررة . وهذه أمثلة
محدودة لأنماط التجاوز فى هذه الجهات
النحوية .

١ - الاختيار :

ليس من النادر أن يفشل المتحدث
أو الكاتب فى اختيار الكلمة أو الصيغة
المناسبة لبناء التركيب الصحيح .
يقولون : الرؤيا غير واضحة « فى حين
أن المناسب للمقصود من التركيب كله

هو « الرؤية .. » بالتاء المربوطة ، إذ
 « الرؤيا » (بالقصر) لا تكون إلا في
 النوم ، ومعناها « الحلم » . وفي القرآن
 الكريم « يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم
 للرؤيا تعبرون » . أما « الرؤية » (بالتاء)
 فهي بصرية . ويقولون أيضاً « خرجوا
 سوياً » ويعنون « معاً » . فتوظيف
 « سوياً » هنا خطأ في الاختيار ، لأن
 « السوى » هو الكامل في الخلقة ، يقال
 « رجل سوي » ، وفي القرآن الكريم [1]
 « فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا » .

٢ - الوقعية :

ومن هذا القبيل أيضاً اختيار صيغ
 لاتصاحب مدخولها إلا بشروط أو في
 حدود معينة ، كما في قولهم « لا زال الأمر
 غامضاً » ، بدخول حرف النفي « لا »
 على الماضي في غير الأساليب التي تجوز
 فيها هذه المصاحبة . ومعلوم أن الماضي
 لا ينفي « بلا » إلا في الدعاء وفي حالة
 تكرار الفعل ، كما في نحو « لا فـض فوك »
 و « فلا صدق ولا صلي » ، وفي غير هاتين
 الحالتين يكون نفي الماضي بالأداة « ما » .

ومنه كذلك اختيار صيغ لا يصاحب بعضها
 بعضاً ، لعدم ورود هذه المصاحبة في الكلام

العربي الفصيح ، استناداً إلى ذوق اللغة التي
 تعد هذا النموذج ضرباً من العبث أو التزويد
 غير المقبول لوجود صيغة واحدة تقوم
 مقام عنصري المصاحبة وتؤدي وظيفتهما .
 من ذلك قولهم ، سوف لا أفعل كذا » ،
 حيث صاحبت الصيغة « سوف » حرف
 النفي « لا » في حين أن لدينا أداة واحدة
 تؤدي هذه الوظيفة وتفي بالغرض المطلوب
 هذه الأداة هي « ان » ، وفيها فكرة النفي
 والاستقبال المراد التعبير عنهما « يسوف لا »

للجملة العربية مجموعة من الضوابط
 التي تتعلق بهندستها وترتيب وفرداتها
 ومواقع الكلم فيها . فليس لهذه المفردات
 - بعد اختيارها - أن ترص رصاً بدون
 حدود أو قيود من حيث نظمها وتتابعها
 المناسب في سلك الجملة ، وإنما على
 المنشئ - نطقاً أو كتباً - أن يصنع
 منها « عقداً » متآلفة حباته ، ومتسقاً
 بعضها مع بعض في مدارج « الضم »
 وفقاً لأداة العقد وأغراضه ومقاصده .

وللعربية في هذا الشأن قواعد معلومة
 وقوانين مرسومة ، وإن جاءت في

كتب اللغة متناثرة وموزعة هنا وهناك على أبواب النحو المختلفة ، تلك الأبواب التي حشنت في معظم الأعمال النحوية على أساس الإعراب ، لا على أساس أنماط الجمل ونوعية مكوناتها وخواص هذه المكونات من موقعية وغيرها . ومن ثم كان على الباحث في « الموقعية » أن يعد نفسه لمراجعة كل أو جل أبواب النحو ، محاولاً أن يجمع شتات الموضوع وأن يلم أطرافه وجوانبه وتنوعات مسأله المختلفة ، أملاً في الوصول إلى ضالته بالتعرف على ضوابط نظم الكلام ، وقواعد ترتيبه بصورة تسمح له بالتعامل بها ومعها نظراً وتطبيقاً .

وغنى عن البيان أن هذا الجهد - مهما اكتملت العدة والأدوات عند القائمين به - لا بد أن تقف دونه بعض الصعوبات وتعتوره بعض وجوه القصور والنقص ، وذلك لسبب بسيط هو اتساع دائرة البحث وتفرد مسأله وتباعد أطرافه واختلاف جزئياته ، بل وتضاربها أو تباينها أحياناً .

فإذا أضفنا إلى ذلك ما نعرفه من اختلاف اللهجات في أمثلة غير قليلة من قواعد « الموقعية » واختلاف النحاة فيها وفي غيرها من ضوابط النظم اللغة العربية بعام ، استطعنا أن نصل إلى نتيجة شبه مؤكدة ، هي أن الحكم بصحة الموقعية لهذه الصيغة أو تلك أو عدم صحتها أمر يدق أحياناً على الدارسين ، وتختلف وجهات النظر فيه . وينضم إلى هذا كله ما يعرف عن العربية بأنها « تتصف بالمرونة النسبية في قواعد نظم الكلام وترتيب مفرداته » ، كما يتضح ذلك جلياً في أحوال المفعول به والمبتدأ والخبر مثلاً .

ولكن هذا لا يناقض - بحال - ما أسلفنا تسجيله من وجود مجموعة من ضوابط الموقعية للكلم العربي ، وهي ضوابط مطردة في عمومها ومتفق عليها ، ويعد تجاوزها من باب الخطأ الصريح . ومن الجدير بالذكر أن جل الأمثلة التي تجسدت لدينا من هذا الباب ترجع في حقيقتها إلى

التأثر باللغات الأجنبية ، بالتقليد المباشر أحيانا وبطريق الترجمة غير الدقيقة أحيانا أخرى . من ذلك مثلا : قولهم : كلما قرأت كلما أفدت ، بتكرار الرابطة « كلما » . وهذا التكرار لا سند له من الصحة في العربية ، ولكنه جاء على منوال التعبير الإنجليزى The more The more : ومن التجاوز في الموقعية كذلك وقوع الرابطة « بينا » أو « بينما » في وسط الكلام ، في حين أن لها الصدارة في أمثلتها الواردة في الاستعمال الفصيح ، حيث يقولون : بينما نحن جلوس إذ دخل علينا صديق كريم .

وفي الأساليب الحديثة تقابلنا تجاوزات في الموقعية غير معهودة في العربية ، كما في قولهم :

كان شاعرا ربما غير مجيد
ومدير عام الإدارة

إذ نلاحظ الفصل بين الموصوف وصفته بأجنبي في المثال الأول (وهو ربما) . وبين المضاف إليه بأجنبي كذلك (وهو عام) في المثال الثاني .

وربما فسر المثال الأول تفسيراً آخر بغية تفصيح التركيب ، فيقال إن هذا التركيب مكون من جملتين أو ما أشبه : تنتهى الجملة الأولى بقولهم : كان شاعرا ، ثم استأنفوا كلاما آخر موضعا بادئا بالأداة « ربما » . وهذا الاستئناف أشبه بإجابة عن تساؤل مفترض (أو صريح) يوحى بالشك في شاعرية المتحدث عنه ، ومن ثم لا فصل على هذا التأويل . وهو - كما ترى - تأويل فيه تكلف ظاهر .

أما المثال الثانى فلا يحتمل التفسير أو التأويل ، إذ هو ظاهر البطلان ، وليس هناك مسوغ صحيح لوقوع الصيغة « عام » هذا الموقع . وصحة الكلام إما : المدير العام الإدارة وإما مدير الإدارة العام . ولا يحتاج بأن الخيار الثانى فيه فصل بين الموصوف وصفته ، لأن الفصل هنا كلاً فصل لأن المضاف والمضاف إليه وحدة نحوية متكاملة فهما كالشيء الواحد كما يقولون .

ومن قبيل الفصل غير المتبول قولهم
مثلا : : سبق وأن أشرنا إلى كذا .
بزيادة « الواو بين الفعل وفاعله
المؤول « بأن » والفعل بعدها . وأمثلة
هذا النوع كثيرة نلاحظها في الكتابات
الحديثة وفي جملة وسائل الإعلام
المكتوبة والمنطوقة على سواء .

٢ - المطابقة أو العلاقات الداخلية بين الكلم :

ليس يكفي في بناء الجملة بناء
سليما أن تقع مفرداتها في مواقعها
المناسبة لها ، إذ لابد من تعليقها بعضها
ببعض وربطها برابط معين يؤكد صحة
الترقية ويحيل الجملة كلها إلى وحدة متكاملة
متناسقة الأجزاء والأطراف . وشأن الجملة
في ذلك شأن « البناء » الذي لا يستقيم
أمره بمجرد وضع الأحجار المناسبة في
سلسلة متتابعة ، بل لابد لهذه الأحجار
من « مادة » قوية تربط حجرا بآخر
ربطاً يحميها من التفكك والانهدام .

والعلاقات أو الروابط بين أجزاء
الجملة ذاتها أنواع شتى ، فقد تكون
« بالضم » اللازم كما في الصفة والموصوف

وقد تكون به ، بالإضافة إلى عامل صوتي
معين ، كما في المضاف والمضاف إليه ،
فيستحيل الفصل بينهما « بسكتة
» pause « والإعراب نفسه رابط
مهم ، إذ به تتبين أحوال الكلم ،
وتتضح العلاقة بين صيغة وأخرى :
أهذه فاعل لتلك أم مفعول به الخ . .
ومعروف أن ضمائر الغيبة ذات شأن
كبير في هذا الأمر ، إذ يستحيل في
لعربية أن تقول مثلا « جاء الذي
أبو قائم » بدون الضمير العائد على
الموصول والواجب ذكره ، فنقول :
« جاء الذي أبوه قائم » .

والمطابقة هي الأخرى وسيلة من أهم
وسائل التعليق والربط وهي التي تعيننا في
هذا المقام ، لوضح مسائلها وكثرة
الأخطاء الشائعة في أحوالها (للإعراب
رقفة خاصة) . والبحث في المطابقة
يتركز عادة على المطابقة في الشخص
(التكلم - المخاطبة - الغيبة) وفي العدد ،

(الأفراد والتثنية والجمع) وفي
النوع (التذكير والتأنيث) . وفي
التعريف والتنكير .

والمطابقة هنا لا تعنى دائما « المماثلة
أو المطابقة المنطقية » بين أجناس
الكلم . فقد تتحقق « بالمخالفة » أحيانا ،
وتفسر حينئذ بأنها جاءت على وفق
منطق اللغة المتمثل في ضوابطها الخاصة
في هذه الحالة (وغيرها) ، تلك
الضوابط التي استحصلت من واقع
العربية الصحيحة ، وأقرها الدارسون .
فمن صحيح ما ورد في العربية قولنا
مثلا : « رجال عدل ونساء عدل » .
بمعنى الصفة بصيغة المفرد المذكور ،
في حين أن « المنطق » يقتضى جمعها
في الحالتين ، وجمعها مع التأنيث
في الحالة الثانية . ولكن هذا هو
منطق العربية وهو ما سار عليه أهلها ،
وإلى ذلك يشير ابن مالك بقوله :
ونعتوا بمصدر كثيرا

فالتزموا الأفراد والتذكير

وليس من النادر أن نسمع في الكلام
لصحيح الفصيح نحو قولهم : « الحياة
عذاب ، الأب مظلة » يستظل بها الأولاد
إلى غير ذلك من هذا النمط من التراكيب
التي تأتي مخالفة لطلاق القول بوجوب

المطابقة (بمعنى المماثلة الكامة)
بين المبتدأ والخبر في التذكير
والتأنيث . والرأى عندنا أن هذا
القول الشائع والمسجل في أذاب كتب
النحو التعليمية وغيرها يحتاج إلى
مراجعة ونظر . ويبدو لنا أن هذه
المطابقة الكامة في النوع بين المبتدأ
والخبر إنما تكون في حالة الخبر المشتق
أو أنحوه .

ومهما يكن من أمر ، فأخطاء المطابقة
في النوع كثيرة ، وأشهرها ما يقع
في باب العدد من ٣ - ١٠ ، حيث
يخالف الناس منطق العربية ، ويصدرون
كلامهم على خلاف ضوابطها ، فيقولون
مثلا : ثلاثة مسائل وثلاث كتب ،
بالمطابقة المنطقية بين العدد والمعدود
غير عارفين أو متجاهلين خاصة العربية
في ذلك وهي المطابقة بالمخالفة .

ويمكن أن يدخل في هذا الباب نحو
قولهم : إحدى المعاهد ، متوهمين
التأنيث في « إحدى » لارتباطها
« بالمعاهد » وفيها معنى الجمعية ،
ومن ثم تعامل عندهم معاملة المؤنث في نحو

« معاهد كثيرة . » . والمصواب إنما هو « أحد المعاهد » لأن المفرد « معهد » وهو مذكر .

ومن مشهور الأخطاء في هذا الجانب أيضاً ما نسمعه منطوقاً ونراه مكتوباً من مثل قولهم :

الحلقة الرابعة عشر

بتأنيث الجزء الأول دون الثاني (وهو عشر) ، في حين أن الواجب هنا تأنيث الجزءين ، إذ المطابقة بالمماثلة هي القاعدة المقررة والتي لا شذوذ فيها في هذا التركيب الواقع صفة لما قبله ، ومن الغريب أن هذا الخطأ بعينه نلاحظه في أعمال بعض الأدباء والعلماء المشهود لهم بالجودة اللغوية في أساليبهم ، كما نسمعه ونلاحظه بكثرة في الوسائل الإعلام مكتوبة ومنطوقة ، حتى ليظن غير العارف أن هذا التوظيف الخاطئ هو القاعدة .

أما أخطاء المطابقة في التعريف والتذكير فهي قليلة ، وأشهرها المثالان التاليان . وقد نحصيهما بالذكر لكثرة شيوعهما

في الاستخدام بين المشتغلين وبعض المتخصصين أحياناً .

الأول قولهم « الغير مفهوم » بإدخال أداة التعريف على « غير » الواقعة مضافاً . والمخالفة هنا من جهتين ، أولاً أن الرأي المعتد به لا يجيز إدخال أداة التعريف على « غير » مطلقاً ، قالوا لتوغلها في الإبهام وثانيهما أن « غير » هنا جاءت مضافاً . ومعلوم أن المضاف في العربية لا يجوز تعريفه « بال » ، إلا إذا كانت صفة فيه « ال » ومضافاً إلى ما فيه « ال » من نحو قوله « الطويل القامة » وهو عندهم من باب إضافة الصفة إلى الموصوف ، فكأن هذا الحكم فيه تسويغ لهذا التوظيف الخارج على قواعد التركيب الإضافي في عمومه .

ومما يذكر أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة أجاز دخول « ال » على « غير » في نحو قولهم « ومن رأى الغير . . . » أي إذا استعملت غير في التركيب الإضافي ، وكانت بمعنى « الآخرين »

ونحن لا نميل إلى الأخذ بهذا الرأي لعدم الحاجة إليه .

ومن هذا القبيل المثال الثانى المشهور وهو قولهم مثلاً :

الخمس كـ تـ ب

بتعريف الجزء الأول من التركيب الإضافى ، وهو على خلاف القاعدة المستقرة لديهم ، كما أشرنا إلى ذلك فى المثال السابق . وصحة الكلام هى « خمس كـ تـ ب » بتجريد المضاف وتعريف المضاف إليه « بال » .

وأجاز الكوفيون تعريف الجزئين معاً

أى « الخمسة كـ تـ ب » وهو وجه له مسوغ^(١) ، ويعجز الأخذ به . أما مجمع اللغة العربية بالقاهرة فقد أجاز الخطأ المشهور وعده صحيحاً لكثرة استعماله ، وهو رأى لا نأخذ به ، إذ ليس له مسوغ ظاهر يدخله فى دائرة الكلام الصحيح .

٤ - الإعراب :

لا ينكر أحد أن الإعراب من أهم

خواص الكلام العربى ، بل هو الخاصة الأساسية التى تميز لغتنا من غيرها من اللغات المعروفة لنا الآن . والإعراب كذلك يمثل جانباً من أهم جوانب النحو بل ربما يغفل بعضهم أنه النحو « فى جملته » ، حتى لتراهم فى آثارهم العلمية يوجهون إليه جل اهتمامهم بالدرس والتحليل . ويظهر ذلك بوجه خاص فى تصنيف المتأخرين لأبواب النحو ومسائله وفقاً للحالات الإعرابية ووجوهها .

والرأى عندنا - كما أشرنا إلى ذلك قبلاً - أن الإعراب يمثل جانباً من جوانب النحو بالمعنى العلمى^(٢) الدقيق . ولكنه جانب ذو أهمية بالغة إذ هو - بالإضافة إلى وظيفته الأساسية المتمثلة فى الإفصاح عن المعانى النحوية - دليل صحة الكلام فى جملته ، وأمانة

(١) والمسوغ عندنا هو إمكانية هذا المثال من باب جواز دخول « ال » على المضاف إذا كان صفة فيه ال مضافاً إلى ما فيه « ال » ، على أساس أن « الخمسة » هنا من باب الصفات ، بدليل الوصف بها فى قولنا « الكتب الخمسة » .

صحة جوانب النحو الأخرى من موقعية وربط وعلاقات داخلية بين مكونات التركيب ، فلسنا إذن في جانب الادعاء بأن الإعراب ليست له دلالة نحوية ، وأن وظيفته - في رأى بعضهم - وظيفة صوتية ، تظهر قيمتها في التناسق أو التلاؤم الصوتى بين وحدات الجملة . وخلاصة القول عندنا أن الإعراب جزء لا يتجزأ من بناء الجملة وأن مجيئه على وجوهه الصحيحة دليل صحة الكلام مبنى ومعنى ، والخلط أو الخطأ فيه يجر الكلام إلى حظيرة الخطأ تركيباً ودلالة .

والملاحظ الآن أن الخطأ في الإعراب وفي وجوهه المختلفة أصبح ظاهرة عامة بين المتعاملين بالكلمة الفصيحة نطقاً وكتبا ، حتى ليخيل إليك أن أحدا لا يعنى أو لا يريد أن يعنى خطورة هذا السلوك على وجود الفصحى وكيانها وهذه الأخطاء ملحوظة بصورة أوضح وأكثر شيوعاً في الكلام المنطوق . وذلك بسبب بسيط بسيط ، وهو أن الخطأ في

الكلام المكتوب لا تدرك حقيقته إلا في حالات الإعراب بالحركات ، الطوال (الألف والواو والياء) وفي جزم الأفعال المعتلة ، وفي نصب الأفعال الخمسة وجزمها ، أو - قل - يدرك الخطأ في المكتوب في كل ما ليس إعراباً بالحركات القصيرة . أما الإعراب بهذه الحركات الأخيرة فمجهول أمره تماماً لخلو الكلام عادة من علامات الضبط المميزة . وفي ظننا - على الرغم من ذلك - أنك لو طلبت إلى كاتب منهم أن يترجم نطقاً جملة أو جملتين مما سطر ، فإنه سوف يقع في مأزق وقل أن يأتى بهذه الترجمة سليمة من الوجهة الإعرابية .

ونماذج الأخطاء الإعرابية كثيرة متنوعة . ولا نستطيع في هذا المقام أن نأتى بأمثلة تفصيلية لكل هذه النماذج ، وثم سنكتفى بإيراد أمثلة لحالات من الخطأ مشهورة أصبحت تمثل اتجاهها عاماً أو شبه قاعدة عند بعض المثقفين . ونخص بالذكر هنا أربع حالات معينة .

الحالة الأولى :

إذا جاء اسم « إن » (أو إحدى أخواتها) مؤخراً مسبوقاً بخبره شبه الجملة ،
درج كثير منهم على الإتيان بهذا الاسم
مرفوعاً فيقولون مثلاً :

إن هناك (أو إن ثمة) رأى آخر

وقد يأتى الأمر بالعكس مع اسم كان
(أو إحدى أخواتها) فى مثل هذا
التركيب ، حيث يوظفون الاسم
منصوباً ، فيقولون :

كان ثمة رأياً آخر

وهذا بالطبع دليل عدم المعرفة بمواقع
الكلم وقيمها فى هذه المواقع ، أو - فى
أحسن تقدير - عدم المعرفة بالقيمة
النحوية للصيغتين « هناك وثمة »
(أو ثم ، بفتح الشاء) .

الحالة الثانية :

تظهر هذه الحالة فى منع الصرف
لما حقه الصرف ، من نحو قولهم :
أصداء - أبناء - أضواء - أتباء . إلخ
بمنع الصرف ، متوهمين - على ضرب

من القياس الخطأ - أن هذه الصيغ
وأمثالها تعامل معاملة نحو : شعراء
وكبراء ، وعمداء فى منع الصرف .

وقد يأتى العكس وهو كثير جداً ،
فيصرفون « شعراء » وأختيها (وما شابهه
ذلك) ، غير عارفين ضوابط باب
المنوع من الصرف .

الحالة الثالثة :

ودائرتها الخطأ فى نصب الفعل
المضارع المعتل بالواو والياء ، حيث
يأتون به غالباً فى كل المواقع نحالياً
من علامته الإعرابية وهى الفتحة
الظاهرة .

الحالة الرابعة :

ويمثلها الخطأ فى نصب جمع المؤنث
السالم ، فيأتون به أحياناً منصوباً
بالفتحة . ويلحق بهذا الباب ما يقع
فيه بعضهم من خطأ فى الإعراب على
طريق « التوهم » . من ذلك إعرابهم
نحو « أوقات » ، « أموات »
، « أصوات » إعراب المؤنث السالم
فى حالة النصب ، فيأتون بهذه الأمثلة
ونحوها منصوباً بالكسرة ، ظناً منهم

أنها من هذا الباب ، في حين أنها
جميعاً من جموع التكسير على وزن
« أفعال » ، والتاء فيها ليست زائدة
ومعلوم أن جمع المؤنث السالم يكون
بزيادة الألف والتاء معا .

وربما يشتمبه على بعضهم نحو « دعاة -
القضاة - حماة » مما جاء على « فُعالة »
جمعاً للاسم المنقوص ، حين تضاف إلى
الضمير ، كما في « دعاة - قضائهم -
حماة » ، حيث تكتب بالتاء المفتوحة
فيتوهم قوم منهم أنها من جمع المؤنث
السالم فيعربونها بالكسرة في حالة
النصب ، وتحقيقاً الأمر أنها في حالة
الإضافة وعدم الإضافة جموع تكسير .
أما كتابتها بالتاء المربوطة في حالة
الإفراد وبالتاء المفتوحة عند الإضافة
إلى الضمير فهي مسألة إملائية بحثة .
تلك - في الحق - مجرد نماذج لما
يقع من أخطاء نحوية وغير نحوية -
في المنطوق والمكتوب على سواء . ونستطيع

أن نقرر أن بعض هذه النماذج يمثل
اتجاهات تشيع في استخدام اللغة
الفصحى ، الأمر الذي ينذر بالخطر ،
ويهدد اللسان العربي في حاله ومستقبله ،
إذ إن أمثلة غير قليلة من هذه النماذج
تصدر عن جهات أو هيئات أو أفراد
لها أو لهم - في هذا الشأن وغيره -
موقع القدوة . والقدوة - كما نعلم -
من أخطر عوامل التأثير في السلوك
الاجتماعي بعامة والسلوك اللغوي بخاصة .

أما علاج هذا الوضع اللغوي غير
المقبول فيحتاج منا إلى وقفة خاصة
تمشاة في بحث مستقل يناسب أهمية
القضية وأبعادها المختلفة ، على أن قد
ألمحنا في حديثنا هذا - بصورة أو
بأخرى - إلى شيء من الخطوط ،
العريضة التي تعين في تصور هذا العلاج
والتعرف على وسائله .

دكتور كمال بشر
عضو المجمع



قول في قضية جمع الجمع

للأستاذ محمد شوقي أمين

عضو المجمع

جمع تأنيث أو جمع تكسير . وعلى هذا لا يبقى من الاحتمالات إلا أن جمع التكسير يجمع جمع تكسير أيضاً ، وأن جمع التكسير يجمع ، بعد ذلك جمع إناث

٢ - في ضوء هذا التحديد يستبين أن المجمع كان يعنى بقراره أحد هذين الوجهين ، وظاهر أن هذا الوجه المعنى هو أن جمع التكسير يجمع لفظه جمع تكسير أيضاً وذلك لكثرة ما ورد من أمثله في القديم وأثبتته المعجمات . ومن الأمثلة في المأثور : الأعراب جمع أعراب والمفرد عرب ، والأقاول جمع أقوال والمفرد قول ، والأزاهير جمع أزهار والمفرد زهر ،

وقد انقضت عشرات السنين على هذا القرار وهو في جملة مقصور على

١ - كان فيما أسلف المجمع من قضايا لغوية طرحها على بساط البحث وأصدر فيها قراره ، قضية جمع الجمع ، ولقد كان قراره فيها موجزاً غاية الإيجاز . مقتصرأ على جملة واحدة قصيرة ، نصها « جمع الجمع مقيس عند الحاجة » وللناظر أن يترجح نظره في هذه الجملة إذ تتخيل له أوجه احتمالات عدة في مدلول كلمة الجمع المكررة فيها ، وذلك لأن الجموع كما هو معروف ثلاثة ، جمع تكسير ، وجمع تأنيث ، وجمع تذكير ، فأى هذه الجموع مراد بكل من الكلمتين (على أن إنعام النظر في أوجه الاحتمالات يتيح للتذوق اللغوي أن ينفي من تلك الاحتمالات أن

جمع التكسير يجمع جمع تذكير ، وكذلك ينفي أن جمع التذكير يجمع

جانب واحد في شأن جمع الجمع ذلك الجانب هو أن جمع التكسير ينقاس جمعه جمع تكسير أيضاً . وظل الجانب الآخر وهو أن جمع التكسير يجمع جمع إناث واقفاً بباب المجمع ينتظر الإذن له في أن يعرض على البحث وأن يصدر فيه قرار .

٣- شغلني هذا الجانب حقبة من الدهر ، فترصدت له في مسموع اللغة ، وفيما يجري به الاستعمال العصري ، فاستبان لي أنه خليق بالنظر ، للحاجة إليه في ذاته ، ولأنه استكمال للجانب الآخر في قضية جمع الجمع وليس من الإنصاف إغفاله .

وعلى الرغم من أن القصور في صحتي يحول بيني وبين الرجوع إلى أوراق أو تصفح المراجع المطلوبة ، فإنني أستعين الذاكرة فيما إحتزنه من أمثلة ذلك الجانب ، فإن لم يكن فيها كفاية وغنية ، فهي فتح لباب النظر في الموضوع واستيفاء الرأي فيه ، وما بعثني على ذلك إلا اطمئنائي بأن تتبعني للموضوع في المعجمات وفي كتب فقه اللغة يدعوني

إلى تصويب القول بقياسية هذا الجانب تنظيراً بينه وبين الجانب الآخر الذي أصدر المجمع فيه قراره .

٤- من المأثور في أن جمع التكسير يجمع جمع تأنيث ما يأتي :

- جمالات ، جمع جمال والمفرد جمل .

- أعطيات ، جمع أعطية ، المفرد عطاء .

- البيوتات ، جمع بيوت والمفرد بيت .

- الديارات ، جمع ديار والمفرد دار أو دير .

- الرجالات ، جمع رجال والمفرد رجل .

- السادات ، جمع سادة والمفرد سيد .

- الطرقات ، جمع طرق والمفرد طريق .

ولابد من وقفة عند كلمة جوزات ، فقد نص الفيروزابادي على أن الجوز جمعه جوزات ، والجوز جمع جوزة -

ولكن صاحب تاج العروس تدخل في النص القاموسى بحيث يجعل الجوزات جمع جوزة ولم يكن ذلك مراداً لصاحب القاموس ولا يمكن أن يكون مراده لأن جمع جوزة على جوزات لاتحتاج إلى نص معجمى .

كذلك لابد من وقفة عند قول النحاة إن جمع فُعلة بضم الفاء يجمع على فُعلات بضم العين وسكونها وفتحها ، ولكن ابن جنى فقيه اللغة ونحيرها لم يرتض فتح العين فلا يقال غرفات إلا على اعتبار أن غرفات بفتح الراء جمع بعد جمع فالمفرد غرفة والجمع غرف وجمع الجمع غرفات وبناء على ذلك تصبح كلمة الغرفات بفتح الراء من أمثلة أن يجمع جمع : التكسير جمع إناث .

هـ - فإذا انتقلنا من المأثور إلى المولد أو ماهو فى حكمه وماهو دائر فى الاستعمالات العصرية صادفنا مايتأتى :

يرد فى تعبيرات الصوفية كلمة الفيوضات وهى جمع فيوض التى مفردا فيض - كذلك تجذ تعبير رد الغصوبات

فى مهمة رجال الشرطة إذ أن عليهم رد الغصوبات وقد ورد هذا التعبير فى نهاية الأرب للنويرى وواضح أن الغصوبات جمع غصوب ومفردا غصب .

كذلك ترد كلمة الفتوحات وهى جمع فتوح والظاهر أن الفتوح هنا جمع فتح وبهذا الجمع عنوان كتاب فتوح البلدان للبلاذرى

كذلك ترد كلمة الجراحات وهى جمع جراح ومفردا جرح كما لا يخفى وأما فى وادى الاستعمالات العصرية فمن الأمثلة مايتأتى :

الخصومات (فى المحاسبة) جمع خصوم والمفرد خصم

القيودات ، جمع قيود والمفرد قيد

الوفورات (فى الموازنة) ، جمع وفور والمفرد وفر

الحجوزات (فى التقاضى) ، جمع حجوز والمفرد حجز .

الأذونات ، جمع أذن والمفرد إذن

الرسومات ، جمع رسوم والمفرد رسم .
 الأهرامات ، جمع أهرام والمفرد هرم .
 الشحومات ، جمع شحوم والمفرد شحم .
 الفحومات ، جمع فحوم والمفرد فحم .

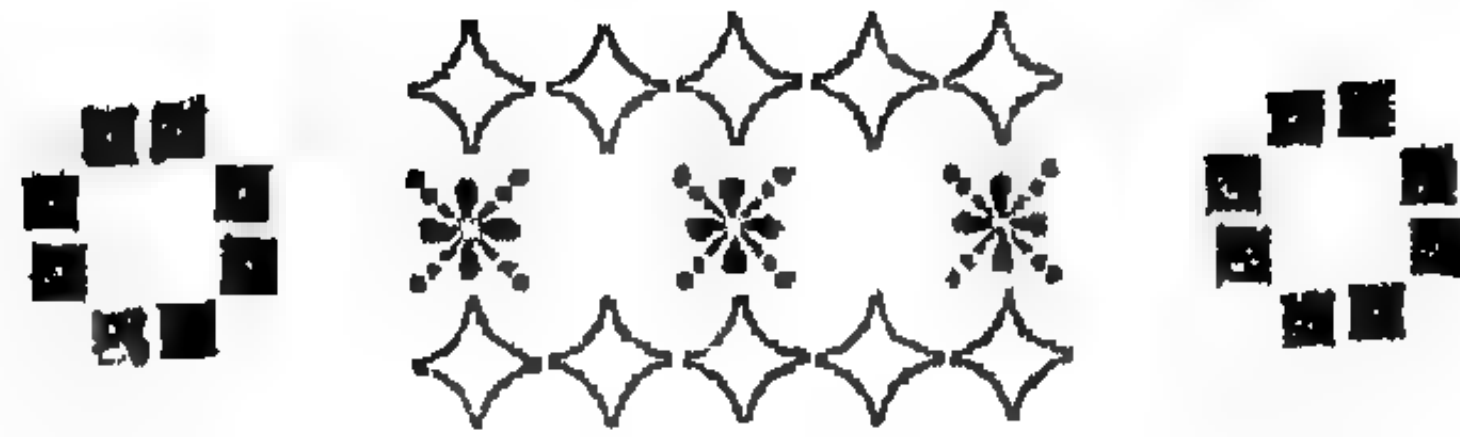
٧- قصارى ذلك أنه لا إفتئات على

اللغة إذا سوند قرار المجمع السابق في قضية الجمع بقرار مكمل له « وهو أن جمع التكسير ينقاس جمعه جمع تأنيث بحسب الحاجة » .

محمد شوقي امين
 عضو المجمع

الرهونات ، جمع رهون والمفرد رهن .

٦- تلك عجالة القول في قضية جمع الجمع تتناول أحد الجناحين في هذه القضية وهو جناح جمع التكسير جمع تأنيث تنظيراً بينه وبين جناح جمع التكسير وقياساً بجمعه جمع تكسير



حول حذف كلمة "ابن" بين الأعلام

للدكتور أمين على السيد

في العدد وهما : مريم بنت عمران ،
وعيسى بن مريم ، وغير هذين من
الأعلام الواردة في القرآن جاءت مجردة
عن النسب ، فقد ذكر رسولنا -
صلى الله عليه وسلم - في أربعة مواضع
باسم محمد ، وذكر في موضع واحد
باسم أحمد ، وذكر غيره من الأنبياء
بأسمائهم وحدهم مجردة عن النسب
كذلك

وقد نخطب محمد بن عبد الله صلى
الله عليه وسلم ببعض الصفات في نحو :
«يأيها الرسول» «يأيها النبي» «يأيها
المدثر» «يأيها المزمّل» استغناء بذكر
الصفة عن ذكر الموصوف .

ومن ذلك أيضا ما جاء في قوله تعالى :
«سبحان الذي أسرى بعبده ليلا . . .»
وقوله سبحانه : «فوجدنا عبدا من
عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه

المثل الأعلى في اللسان العربي هو
القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه ، والذي نزل
بلسان عربي مبين ؛ أعجز أهل الدنيا عن
أن يحاكوه أو ينسجوا على منواله .

وقد جاء في القرآن الكريم ذكر كثير
من الأعلام ، كما جاء فيه الاستغناء عن
ذكر الأعلام بذكر صفة من الصفات
تعين المقصود .

وغنى عن البيان أن آدم عليه السلام
لم يولد كما ولد أبناءه من أبوين
ذكر وأنثى ، باستثناء عيسى عليه
السلام . فلذا لا يحتاج إلى أن يقال
عنه : لم تحدث القرآن الكريم عنه
دون نسبه إلى أم أو أب .

على أن الذين ورد ذكرهم في القرآن
منسوبيين إلى أم أو أب لم يتجاوزوا اثنين

من لدنا علما» واستغنى عن ذكر العلم
بذكر اللقب في القرآن الكريم في
نحو قوله تعالى : « وذا النون إذ ذهب
مغاضبا » وقوله سبحانه : « ويسألونك
عن ذى القرنين » وجاء ذكر كل من .
لقمان وقارون وهارون وفرعون وهامان
وزيد في القرآن الكريم أعلاما غير
منسوبين إلى آبائهم أو أمهاتهم .

وقد جاء القرآن الكريم دستورا
لل بشرية كلها وكتابا قال عنه منزله
« مافرطنا في الكتاب من شيء » فإذا
جعلناه إماما لنا في هذه الظاهرة تبين
أن نسبة العلم إلى أبيه أو إلى أمه إنما
تلازم حين يحتمل الاختلاط أو يتوقع
اللبس أو تدفع بهذه النسبة ريبة أو
تهمة . أما حين يكون ذكر العلم مجردا
قطعى الدلالة فلا حاجة إلى ذكر هذه
النسبة .

ولا أستطيع الجزم بصحة ما أقول
ولكنى أحسب ذلك صحيحا ، إذ إنى
لم أعثر فيما قرأت على أن أحدا من
أهل العلم قال : إن وضع كلمة « ابن »
بين العلم وأبيه واجب من الواجبات

الدينية أو اللغوية . أو سنة من السنن
المتبعة ، فقد وردت أعلام الأنبياء
والرسل وغيرهم في القرآن الكريم غير
موصوفة بكلمة « ابن » وغير منسوبة
إلى الآباء أو الأمهات . باستثناء مريم
وعيسى عليهما السلام كما تقدم .

وأما قوله تعالى في سورة الأحزاب :
« ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله »
فإن هذا قد نزل في تحريم التبني
بدليل ما قبله من قوله تعالى :
وما جعل أدياءكم أبناءكم ذلكم قولكم
بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهتدى
السبيل » فلا تدل هذه الآية الكريمة
على وجوب ذكر كلمة « ابن » بين
الأعلام . وإنما تدل على وجوب ذكر
أسماء الآباء مع الأبناء ، إذا قلنا : إن
العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

فإذا قيل على سبيل المثال : زارنى
حامد خالد ، وسافر محمد محمود :
ونجح بكر سعيد ، وكان هذا معروفا
عند المخاطب لم تكن هناك ضرورة تدعو
إلى أن يقال : زارنى حامد بن خالد ،
وسافر محمد بن محمود ، ونجح بكر

ابن سعيد . أضيف إلى ذلك أن اللغة العربية مبناها على الإيجاز ، وأن حذف المعلوم جائز كما سيأتي بيانه وتوضيحه .

كذلك جاءت الأحاديث النبوية الشريفة تؤكد ما سبق بيانه من أن الذي يجب الاعتداد به هو الدلالة القطعية التي لا يتسرب إليها شك أو ارتياب - ففي قوله صلى الله عليه وسلم : « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » وفي قوله : « يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا . . . يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا . . . »

وفي قوله للغلام الذي جاءه بشيء من العنب في الطائف حين أخبره - بأنه من نينوى : بلد أخي الصالح يونس ابن متى .

في هذه الأحاديث إشارة إلى أن توسط كلمة « ابن » بين اسم الشخص واسم أبيه قد جاء على لسانه صلى الله عليه وسلم ، وإن كان قد نسب نفسه إلى جده لا إلى أبيه في قوله : « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » ومع

ذلك نرى كثيرا من الأحاديث لا يلتزم فيها ذلك .

ومن الأعلام الأسماء التي كثر ذكرها في كتب الحديث مجردة عن نسبتها إلى الأب : عائشة ، وأنس رضي الله تعالى عنهما ، ومن الأعلام الكنى التي امتلأت بها كتب السنة : أبو هريرة ، وأبو ذر ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو أيوب الأنصاري ، وأبو موسى الأشعري ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ومن الأحاديث المشهورة قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كنت لك كأبي زرع لأم زرع » فهاتان الكنيتان دللتا على المراد منهما فاكتفى بهما . ومن يتصفح كتب السنة يجد كثيرا مثل ذلك ، إذ إن الأمر مبني على الدلالة القطعية وتنحية اللبس والاختلاط .

ولنا في القرآن الكريم وفي السنة النبوية القدوة الصالحة وهذا يمكن القول بأن ظاهرة حذف كلمة « ابن » بين الأعلام لا تشكل خطرا ، لاعلى اللغة العربية الفصحى ولا على الحقوق النظامية والفوارق وبيان ذلك فيما يأتي :

هذه الظاهرة بالنسبة لمن تتصدى
لذكرهم وسائل الإعلام المختلفة من
صحافة وإذاعة ووكالات أنباء وغيرها ،
وهي تتحدث عنهم لاتصالهم بأحداث
سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية على
مستوى دولهم ، أو على المستوى العالمى
وقد تُشيدُ ببعض مآثرهم مما يقدمون
أبلادهم أو للعالم من أمور نافعة ، وقد
تقصده إلى وضعهم موضع القدوة الصالحة
أو إلى وضعهم موضع التنفير من سوء
ما اقترفوا من الأعمال . . . هذه الظاهرة
بالنسبة لهؤلاء لاختطورة فيها على الإطلاق
لأنهم أشخاص شهروا بأسماء يتحرى
ذكرها القائمون على وسيلة من وسائل
الإعلام ، ولم يحدث في تاريخ البشرية
وقوعُ شبهة أو لبس بين ملك وملك ،
أو بين رئيس دولة ورئيس دولة أخرى ،
أو بين وزير ووزير فى بلد واحد ،
أو بين وزير ونظير ، فى بلد آخر

فإذا قرأنا أو سمعنا أن الملك فلانا
صنع كذا ، أو قدم كذا ، أو سيقوم
بزيارة لبلد من البلاد ، فإن الأمر لا يحتاج
إلى ذكر اسم أبيه^٣ ، بله استخدام كلمة
«ابن» بين اسمه واسم أبيه .

فالشخصيات التى يرد ذكرها فى
وسائل الإعلام شخصيات بارزة لها
أهميتها ويعرف الناس معالم تُعين كلاً
منهم ، وقد جاء مثل ذلك فى كتب
التاريخ وسير الأعلام من أمثال : الصدي
أبى بكر ، والفاروق عمر ، وسيف الله
المسلول خالد ، والحسن البصرى ،
والفارابى ، وأبى العباس المبرد ، وأبى
العباس ثعلب . وغير هؤلاء كثير ،
كعنترة ، وحاتم ، وسحبان ، وبقاقل ،
فإذا جاء ذكر واحد من هؤلاء وأمثالهم
لم ينصرف الذهن إلى غيره ، ولم يكن
فى ساحة إلى قرينة أخرى تعينه .

أما بالنسبة للتخاطب فى الدواوين
الرسمية فإن الأمور فى هذه الدواوين
تؤخذ مأخذ الحد والصرامة ، من أجل
إعطاء كل ذى حق حقه ، فالقائمون
على خزائن الصرف مثلاً لا يعطون شيئاً
لأحد إلا بعد التأكد من أنه هو صاحبه ،
ولهم فى سبيل هذا التأكد وسائل
مختلفة ، والقائمون على شئون الهيئات
والمؤسسات والمصالح المختلفة لا يتعاملون
مع شخص إلا بعد الاستيثاق من أنه

هو صاحب التوقيع أو صاحب الخاتم
الذى مهر به طلبه ، حتى القائمون على
رسائل البرق والبريد المسجلة يتأكدون
من شخص المرسل قبل أن يلبوا طلبه .

وقد سألت بعض القومة على شؤون
الحقوق المدنية فى شعبتها المجاورة لمسجد
العبد بمدينة الرياض عما يترتب على
حذف كلمة « ابن » بين الأعلام ، وعما
يكون قد حدث من اشتباه أو اختلاط
بين بعض الأسماء وبعضها الآخر
بسبب ذلك . وكانت إجابته بالنفى ،
ثم أردف ذلك بإطلاعى على عدد من
الطلبات التى كانت أمامه ، وجمعانى أقر أسماء
أصحابها ، وقد وجدتها جميعا خلوا من
ذكر كلمة « ابن » وهذا دليل من
الواقع على أنه ليس فى الأمر خطورة .

أما فيما يتصل بالمكاتبات الشخصية
فإن الأمر فيها أهون مما تقدم ، إذ إن
كلامنا يعرف أهله ، أقاربه وأصدقاءه
ومعارفه ، وربما عرف تلاميذه وأساتذته ،
وكثيرا ما يعرف الواحد منا صاحب
الرسالة قبل أن يفض غلافها من خط
صاحبها ، أو من طابع البريد ، أو من
نوعه وانتظاره .

ومهما كثر المذكورون فإن احتمال
الخلط بينهم ، أو احتمال الالتباس
غير ممكن ، لأن لكل منهم سمة خاصة
تميز رسالته عن رسائل الآخرين ، وعلاقة
المرسل بالمرسل إليه تحدد هذه السمة
المميزة .

وقد وضعت الأعلام لتمييز بين
الأشخاص من الإنسان وغيره ، فكما
يسمى الآدميون أبناءهم وبناتهم ، كذلك
يسمون بعض ما يألفون من الحيوان
كالخيل والجمال والكلاب وغيرها .
وكذلك يسمون الأقاليم والأماكن والمدن
والأقضية والقرى والجبال وكل ما يحتاجون
إلى تسميته ليمتاز عن غيره مما قد
يشبهه .

فإذا تشابه زيد وزيد أضافوا إلى
كل منهما من الخصائص والصفات
ما يفرق بينه وبين الثانى ، ومن هذه
الخصائص ذكر الأب تابعا لكل منهما
مضافاً إلى كلمة « ابن » أو مجرداً منها
فيقال للأول : زيد بن عامر ،
ويقال للثانى : زيد بن عمر ، أو يقال :
زيد عامر ، وزيد عمر . []

ومن الصفات التى أوجب النحويون
إتباعها للموصوف ما لا يعرف الموصوف

إلا بمجموعها كلها لتنزيلها منه منزلة
الشيء الواحد وذلك نحو : حضر زيد
التاجر الفقيه الكاتب ، إذا كان هذا
الموصوف يشاركه في اسمه ثلاثة :
أحدهم تاجر فقيه ، والثاني تاجر كاتب ،
والثالث فقيه كاتب .

والنحاة في مثل هذه الحالة لم يتحدثوا
عن وصف العلم بلفظ « ابن » متبوعاً
باسم والده ، فضلاً عن أن يوجبوه
أو يستحسنوه .

والمعتمد في وضع الأعلام واستعمالها
عدم اختلاط الأعلام ببعضها ببعض
وإلا يلتبس علم بعلم آخر ، ومنع
الاختلاط والالتباس يتأتى بالقرائن التي
توضع قرين كل علم من الأعلام .

وهذه القرائن منها ما هو واقع يؤدي
مهمته كذكر الآباء والأمهات والقبائل
فإذا عرف العلم بذلك لم يكن بحاجة
إلى قرينة أخرى .

ومما ابتكره التسجيل الحديث من
القرائن في دفاتر قيد المواليد ذكر
تاريخ الميلاد وساعته وذكر محل الميلاد ،

مع اسم كل وليد جديد ، واعطاءً ولى
أمره وثيقة دُون بها الاسم المختار لهذا
الوليد ، واسم الوالد ، واسم القبيلة أو
الأسرة التي ينتمى إليها ، ثم تاريخ
الميلاد وساعته ومحل الميلاد . وتوضع
تلك البيانات في البطاقة الشخصية أو
جواز السفر أو ترخيص العمل ، أو
الشهادة الدراسية التي يحصل عليها ،
تميزاً للأشخاص بعضهم عن بعض .

ومن هذه القرائن الشهرة التي قد
يجيء عن طريق العلم مثلاً ، كشهرة
الخليل بعلم العروض ، وشهرة سيبويه
بعلم النحو ، وشهرة البخاري بعلم
الحديث ، وشهرة أبي الفرج الأصفهاني
بعلم الأدب .

فإذا ذكر واحد من هؤلاء أو من
أمثالهم لم ينصرف الذهن إلى غيره ولم
يحتاج إلى قرينة من القرائن التي تعين
على تحديد المراد .

وقد درج أولو الأمر في كثير من
البلاد على اشتراط أن يكون الاسم الذي
يوضع للوليد ثلاثياً أي مكوناً من ثلاثة

أعلام هي اسم الوليد ، واسم أبيه
واسم جده ، ويرون هذا كافيا في التمييز
بين الأشخاص ، ثم يضيفون إليه في
سجلاتهم القرائن التي تؤكد الفصل
بين الأشخاص فما سبقت الإشارة
إليه كتاريخ الميلاد وساعته ومحل الميلاد ،
ورقم حفيظة النفوس ورقم جواز السفر ،
ومحل السكن والإقامة لأنه كثيرا ما يختلف
عن محل الميلاد

وفي بلاد أخرى يشترطون الاسم الرباعي
وإذا حصل الاختلاط وجب أن يضاف
إلى الاسم الرباعي ما يعين الشخص ، وقد
التحق بإحدى الكليات طالبان اتحدا في
الاسم الرباعي فكان لابد من إضافة
صفة تميز أحدهما عن الآخر ، وقد
الحذفت هذه الصفة في وثيقة التخرج
لوجود قرائن تميز كلا منهما عن الآخر
هي تاريخ الميلاد ومحله ومجموع الدرجات
وتقدير الطالب وترتيبه

وهذه القرائن تصعب إضافتها في
قوائم الأسماء التي تعد عادة لإحصاء

نسبة حضور الطلاب ، أو لرصد الدرجات
التي يحصلون عليها في الاختبارات ،
أو لتسليم الكتب والمذكرات أو المكافآت ،
وغير ذلك مما يحتاج إليه .

ومن كلام ابن مالك في الألفية تحت
عنوان « العلم »^(١)

اسم يعين المسمى مطلقا
علمه كجعفر وخرنقا

وَقَرْنِ وَعَلَيْنِ وَلَا حِقْ
وَشَذَقْمِ وَهَيْلَةٍ وَوَاشِقْ

واسما أتى وكنية ولقبها
وأخرن ذان إن سواه صحبا

وإن يكونا مفردين فأضف
حما ولا أتبع الذي ردف

وبيان ماحوته هذه الأبيات لا يخفى ،
ولكن الذي نجر الإشارة إليه أن
التعيين المطلق أبس العلمية ، وأن هذا
التعيين ليس مقصورا على الأديمين ،
وأن الاسم والكنية واللقب قد تأتي
تباعا كما يحدثنا التاريخ أن رسولنا

(١) ألفية ابن مالك ص ١٤ ط صبيح بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) .

عليه الصلاة والسلام سمي عند ولادته
أرحمدا ، ولقب بعد ما عرفت صفاته
بالأمين ، ثم كنى بأبي القاسم ، فهذه
الأعلام الثلاثة لم توضع مرة واحدة ،
وقد كان كل منها كافيا في التعيين .

والذي أراه أنها قد تجتمع في لفظ
واحد كمن يسمى وليده أبا المجد أو
أم الخير فهذا مركب إضافي مصدر
بأب أو أم ، فانطبق عليه تعريف
لكنية ثم هو مشعر برفعة المسمى ،
فانطبق عليه تعريف اللقب ، وقد قصد
من وضعه الدلالة على الذات المعينة ،
وهذا هو تعريف الاسم ؛ إذ إنه « ما وضعه
الأبوان ونحوهما ابتداءً كائنا ما كان ^(١) »

وهذا رأى لبعض النحاة وإن كان منهم
من يقول : « وأما الاسم فبينه وبين
كل منهما تباين » ويرد عليه غيره
بقوله : « لقائل أن يمنعه فإن نحو « محمد »
فإنما يصدق عليه حدّ اللقب فإنه أشعر
بالملاح لأنّه في الأصل وصف بمعنى مزينا

كثير حدّ الخلق له لتثرة خصائه الحميدة
وث شرح المفصل لابن يعيش :

اعلم أن العلم هو الاسم الخاص الذي
لا أخس منه . ويركب على المسمى
لتخليصه من الجنس بالاسمية ، فيفرق
بينه وبين مسميات كثيرة بذلك الاسم ،
ولا يتناول مماثله في الحقيقة والصورة
لأنه تسمية شيء باسم ليس له في الأصل
أن يسمى به على وجه التشبيه ؛
وذلك أنه لم يوضع بإزاء حقيقة شاملة
ولا معنى في الاسم .

ولذلك قال أصحابنا : إن الأعلام
لا تنفيذ معنى . ألا ترى أنها تقع
على الشيء ومخالفه وقوعا واحدا ، نحو
زيد ، فإنه يقع على الأسود . كما
يقع على الأبيض ، وعلى القصير .
كما يقع على الطويل . . .

قال النحويون : العلم ما يجوز تبديله
وتغييره ، ولا يلزم من ذلك تغييرا

(١) حاشية يس على التصريح ١ / ١٢٠ ، حاشية الحضري على شرح ابن عقيل ١ / ٦٣ ، وحاشية الصبان

على شرح الأشموني ١ / ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٢) المراجع نفسها .

(٣) ج ١ : ص ٢٧ .

اللغة فإنه يجوز أن تنتقل اسم ولدك
أو عبدك من خالد إلى جعفر . أو من
بكر إلى محمد . ولا يلزم من ذلك
تغيير اللغة .

وإنما أتى بالأعلام للاختصار وترك
التطويل بتعداد الصفات ، ألا ترى
أنه لو لا العلم لاحتجت إذا أردت
الأخبار عن واحد من الرجال بعينه
أن تعدد صفاته حتى يعرفه المخاطب .
فأغنى العلم عن ذلك أجمع .

هذا كلام ابن يعيش ، وقد عرف
السيوطي العلم بقوله : « العلم ما وضع
لمعين لا يتناول غيره » وإيجاز السيوطي
كبسط ابن يعيش وتفصيله : فالعلم
عند النحويين هو الاسم الخاص الذي
لا أخص منه ، وهو ما وضع لمعين
لا يتناول غيره ، فإذا تحقق ذلك
لشخص من الأشخاص بكلمة واحدة
كانت كافية . وإذا لم يتحقق إلا
بصفات كان ذكر هذه الصفات واجباً
من أجل التعيين .

وقد درج بعض الناس على وضع
علمين للابن الواحد فيسمونه : محمد
عبد المجيد ، أو محمد نور الدين ،
أو محمد الأمين ، وهذه الأعلام ينبغي
أن تتبع بكلمة « ابن » للتمييز بين
الولد والوالد ، فإن المتبادر إلى الذهن
على ما جرى به العرف عندما يذكر :
محمد عبد المجيد أن اسم الوالد عبد
المجيد ، وأن اسم الولد هو محمد ،
وليس الأمر كذلك .

فإذا اقتضى التعيين ، ومنع الالتباس
ذكر كلمة « ابن » وجب ذكرها ،
وإذا لم يقتضيا ذلك جاز ذكرها
يجاز حذفها تطبيقاً للقاعدة المشهورة
التي ذكرها ابن مالك بقوله : « وحذف
ما يعلم جائز » وأعاد ذكرها في باب
النعته بقوله

وما من المنعوت والنعته عقل
يجوز حذفه وفي النعته يقل (٢)

فإذا كانت كلمة « ابن » نعته معلوماً

(١) مع الهوامع ١ / ٧٠ .

(٢) ص ٤٥ من متن الألفية .

لما قبلها من الأعلام جاز حذفها ، ولا
يُمتنع ذلك إلا عند خوف اللبس .

وقد يسر العلماء استخدام كلمة
« ابن » بين الأعلام ، فحذفوا ألفها
تبعاً لحذف تنوين العلم الذي قبلها
كما حذفوها في النداء وبعد همزة
الاستفهام نحو قولك : أبئك هذا ؟
يا بن آدم ، وقدم محمد بن خالد ،
وشرط هذا المثال الأخير : أن يقع
« ابن » بين علمين ثانيهما أب
للأول ولو تنزيلاً وألا ينون الأول
ولم تقطع همزة « ابن » لضرورة
وزن ، وأن يكون « ابن » متصلاً
بالعلم الأول على أنه نعت له غير
مقطوع ولا بدل منه ولا خبر عنه
ولا مستفهم عنه ، وألا يقع « ابن »
أول سطر .

وعلى هذا الحذف بتنزيلها مما قبلها
منزلة الشيء الواحد لشدة اتصال الصفة
بالموصوف وحلوله محل الجزء منه .
وهذا التعليل لا يمنع حذفها عند العلم

كما تقدم . فإذا ابتدئ بكلمة « ابن »
بعد الوقف وجب نطق همزة الوصل
وإن كانت غير مكتوبة .

ومن التيسير أيضاً ما ذكره في
باب النداء من جواز الضم والفتح
في نداء نحو زيد بن عمرو ، وقد أشار
ابن مالك إلى ذلك بقوله :

ونحو زيد ضم وافتحن من
نحو : أزيد بن سعيد لاتهن

والضم إن لم يل الابن علماً
أويل الابن علم قد حتما (١)

وهنا مسألة جديدة بالاهتمام : وهي
في قول القائل : إن لفظ « ابن »
مقحم بين المضاف والمضاف إليه وابن
الشخص يضاف إليه للملازمة له ،
ويفهم من ذلك أن الاستغناء عن
كلمة « ابن » بين الأعلام وإضافة
العلم الأول إلى العلم الثاني أمر مشروع
في اللغة العربية الفصحى ، لأنه
لا معنى للإحجام إلا الزيادة وإمكان

١ (١) ص ٥٠ من ستن الألفية .

الاستغناء عنه ، ومعروف أنه يصح
إضافة العلم الأول إلى العلم الثاني .
إذا كان الثاني أباً للأول في جميع
الأساليب فتقول : جاء محمدٌ خالدٍ
ورأيت محمدَ خالدٍ ، ومررت بمحمد
خالدٍ .

وتدل بعض الوقائع على أن التشابه
في الأعلام قد يحدث شيئاً من اللبس
أو الاختلاط ، لكنه لا يلبث أن
يزول باستشارة القرائن المختلفة .

وقد عنى العلماء العرب قبل أن
ينير الإسلام بصائرهم بحفظ الأنساب
والحرص عليها وقد اشتهر من بينهم
أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكانوا بعد الإسلام أشد
حرصاً على معرفتها والعناية بها ،
حتى ألف كثيرون منهم كتباً ، هي
من الشهرة وذيوع الصيت بمكان .

وقد وصف عز الدين بن الأثير
الجزري كتاب الأنساب للسمعاني بأنه
قد جمع فيه الأنساب إلى القبيـائل

والبطون كالقرشي والهاشمي ، وإلى
الآباء والأجداد كالسليمانى والعاصمي
وإلى المذاهب في الفروع والأصول ،
كالشافعي والحنفي والحنبلي ، والأشعري
والشيعي والمعتزلي والقصاب والبقال
وذكر أيضاً الصفات والعيوب كالطويل
والقصير .

وإلى الأمكنة كالبغدادى ، والموصلى ،
وإلى الصناعات كالخياط والكيال ،
والأعمش والضير ، والألقاب كجزرة
وكيلجة ، فجاء الكتاب في غاية
الملاحه ، ونهاية الجودة والفصاحة .^(١)

وقد رتب ابن الأثير كتابه « الباب
على أحرف الهجاء من الألف إلى الياء
وقدم بين يدي كل علم ما اشتهر به

ومن كتب الأنساب جمهرة نسب
قريش للزبير بن بكار ١٧٢ - ٢٥٦ هـ
وقد حققه الأستاذ محمود شاكر ،

ونشرته مكتبة دار العروبة بالقاهرة .
وكثيراً ما يجد المتصفح لكتب الأنساب
أشخاصاً اشتهروا بأسمائهم أو اشتهروا

(١) اللاب في تهذيب الأنساب تأليف عز الدين بن الأثير الجزري - دار صادر ، بيروت ج ١ ص ٧ .

بكنائهم أو ألقابهم ، وقد دعت هذه الشهرة إلى أن ألف . « كتاب الكنى والألقاب » المحقق الشهير والمؤرخ الكبير الشيخ عباس القسبي وقد رأيت من هـ - ذا الكتاب طبعته الثالثة الصادرة سنة (١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م في المطبعة الحيدرية بالنجف وهو في ثلاثة أجزاء يحتوى الجزء الأول منها على (٤٥٤) صفحة ، ويحتوى الجزء الثانى على (٤٩٨) صفحة ، وفي الجزء الثالث (٣٧٤) صفحة ، وقد جمع هذا الكتاب عددا كبيرا ممن اشتهروا بالكنى أو بالألقاب فدل ذلك على أن العبرة في الأعلام بالتعيين لا بذكر الأب ولا تخصيص قرينة من الفرائن فلكل علم من الأعلام قرينته المميزة .

وقد تصفحت فهرس الأعلام في بعض الكتب ، فوجدت فيها أعدادا كبيرة قد ذكرت أسماءهم أو ألقابهم أو كنائهم أو ما اشتهروا به مما سبقت الإشارة إليه ، دون التقييد بذكرهم منسوبين إلى الآباء ، ومن هذه الكتب

١ - كتاب مراتب النحويين تأليف أبى الطيب اللغوى المتوفى (٣٥١ هـ) وجدت فيه ما يزيد على مائة علم من هؤلاء .

٢ - كتاب أخبار النحويين لأبى سعيد السيرافى المتوفى (٣٦٨ هـ) وجدت فيه ما يقرب من ثمانين علما منهم .

٣ - كتاب طبقات النحويين واللغوين لأبى بكر الزبيدى المتوفى (٣٧٩ هـ) وجدت فيه ما يقرب من مائتين وثلاثين علما .

وكذلك نظرت في فهرس سيبويه لهارون ، وفهارس الخصائص للنجار فوجدت في الأول خمسة وثلاثين ومائتى علم ، ووجدت في الثانى ثلاثين وثلاثمائة علم من بين الأعلام المذكورة في فهرس كل منهما قد خلت من النسب .

وبعد ، فإن حرص المؤرخين وأصحاب الطبقات على تعيين الأشخاص ، وتحديد خصائصهم ، وعدم الخلط بين شخص وآخر كان حرصاً محققاً للغرض منه . وقد تركوا لنا كثيراً من الكتب في ذلك ، أشار السيوطى إلى عدد كبير منها في « بغية الوعاة » وذيل كتابه « المزهر في علوم اللغة وأنواعها » بشيء من هذا القبيل ،

جاء ابتداء من النوع الخامس والأربعين
في المزهرة وعنوانه :

« معرفة الأسماء والكنى والألقاب والأنساب »
وقد قسم هذا النوع إلى أربعة فصول :

الأول في معرفة من اشتهر بكنيته
أو نسبه ، وجعله نوعين :

أحدهما فيما يتعلق بأئمة اللغة والنحو
كأبي الأسود الدؤلي ، وأبي الخطاب
الأخفش وأبي جعفر الرؤاسي ، والأصمعي ،
وسيبويه ، وقطرب ، وأبي الحسن الأخفش
الأوسط ، والكسائي ، والفراء ، وأبي
عثمان المازني ، والمبرد ، وشعلب .

والقسم الثاني فيما يتعلق بشعراء العرب
الذين يحتاج بشعرهم في العربية ، كأمراء
القيس ، والنابغة الذبياني ، والأعشى ،
وتأبط شراً ، والفرزدق ، والأخطل ،
وذى الرمة ، وأبي النجم ، والعجاج .

وفي الفصل الثاني : ذكر كنى بعض الأئمة
الذين اشتهروا بأسمائهم أو ألقابهم أو نسبهم

وأتبع كنى علماء اللغة والنحو بكنى بعض
الشعراء .

وجاء الفصل الثالث : في معرفة الألقاب
وأسابيها ، وقد بدأه بأئمة اللغة والنحو
وذكر منهم عنيسة الفيل وسيبويه وقطربا
والمبرد وذكر بعدهم ألقاب شعراء العرب ،
كما ذكر من لقب ببیت شعر قاله عدداً
أربع على خمسين شاعراً .

ثم تحدث عن تعددت أسماؤه أو كناه
أو ألقابه ، في ختام هذا الفصل .

وفي الفصل الرابع : جاء حديثه عن معرفة
الأنساب ، فبين فيه من نسب إلى القبيلة ،
ومن نسب إلى البلد والوطن ، ومن نسب إلى
جدله ، ومن نسب إلى لباسه ، ومن نسب
إلى اسمه واسم أبيه ، ومن نسب إلى صحبه
والنوع السادس والأربعين : ذكر فيه
السيوطى طرفاً من المؤتلف والمختلف في
الأسماء والألقاب والكنى والقبائل .

وفي النوع السابع والأربعين تحدث
عن المتفق والمفترق في أئمة اللغة والنحو

وفي شعراء العرب وفيما يتعلق بالقبائل .

وجعل النوع الثامن والأربعين للتعريف

بالمواليذ والوفيات .

ولعل فيما تقدم دليلاً على أن توسط

كلمة « ابن » بين الولد والوالد غير لازم

إلا عند الحاجة .

ولعل بهذا أكون قد وضعت أساساً يمكن

البناء عليه : للبحث في جذور هذه الظاهرة

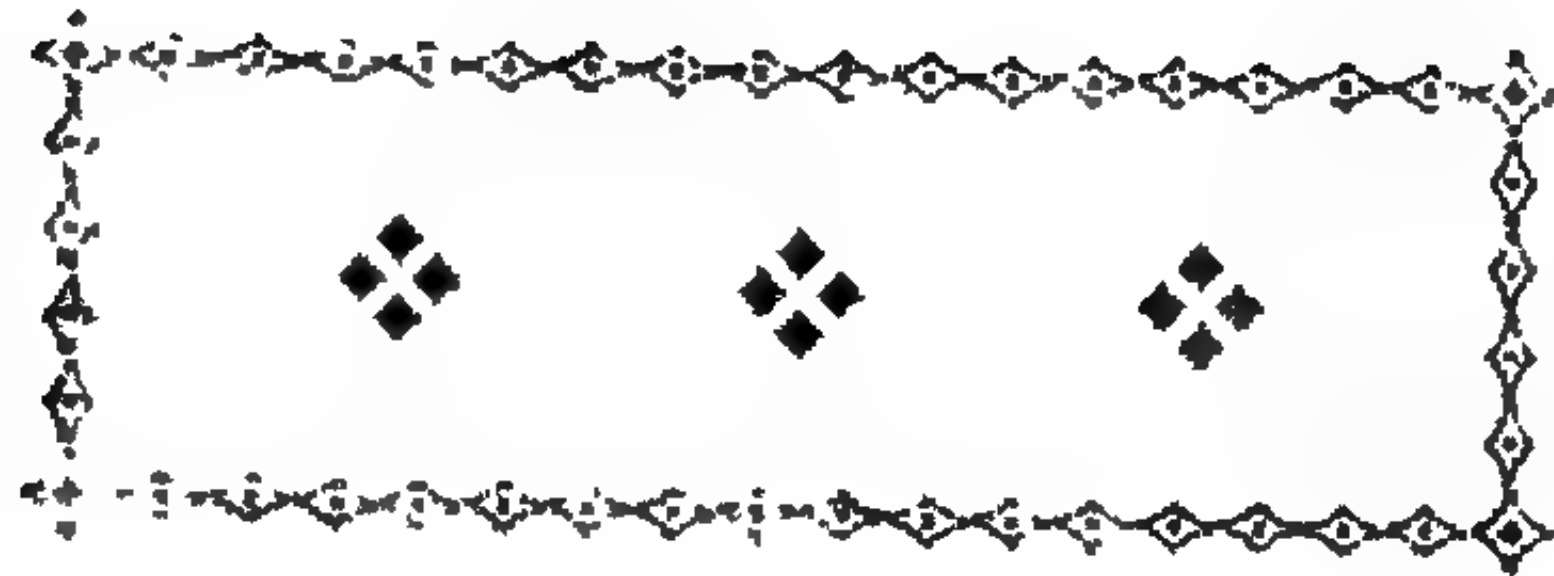
ببحثاً أساسه الإحصاء والاستقراء ، لمن

يكلفه من المتخصصين في علم الأنساب . .

وحسبنا الله ونعم الوكيل ...

أمين على السيد

عضو المجمع



مع المرزوقي في عمود الشعر للكستور عبد الله الطيب

ج ١ - ص ٣٤٠ (« وكان خالد جميلاً ولم يكن يكن بالطويل فقالت له امرأته إنك لجميل يا أبا صفوان قال وكيف تقولين هذا وما في عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه فقيل له ما عمود الجمال فعال الطول ولست بطويل ورداؤه البياض ولست بأبيض وبرنسه سواد الشعر وأنا أشمط. ولكن قولي أنك مليح ظريف » ١ - هـ . فالعمود والبرنس والرداء مع ما أضفنا إليه ههنا لسن بإصطلاحات .

ولكن هذه الطريقة من التعبير وعمود من أساليب البيان أي شيء يعمد إليه العامد من أساليب البيان .

قال الجاحظ في الجزء الرابع من الحيوان ص ٧٧ بمعرض تفسير قوله تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير » : أن شحم الخنزير مراد أيضاً بالتحريم (فلما كان اللحم هو العمود الذي يقصد إليه إلخ) وقالوا عمود

وأما عمود الشعر فمن العجب الزعم الدائر الآن أن هذه العبارة كانت اصطلاحاً . ولو كانت اصطلاحاً لكان النقاد قد أفردوا لها باباً أو فصلاً . ولا تجد شيئاً من عند أحد منهم وحسبك شاهداً عمدة ابن رشيق وكتاب قدامة وأبي هلال والمثل السائر وإنما كان قولهم عمود الشعر كقولهم عمود كذا وكذا أي قوامه وما ينبغي أن يعمد إليه فيه وقولنا الصلاة عماد الدين ليس عماد الدين فيه اصطلاحاً للصلاة ولما ينبغي أن تكون عليه ولكنه وصف وتمثيل ، وكذلك قولك عمود الشعر ، قال الجاحظ في الحيوان ج ٦ - ٧٢ - ٧٣ (الطبعة المصورة عن حيوان عبد السلام هارون) في معرض الحديث عن الضب : « فأمّا ما ذكروا من أن للضب كذا وكذا فهذا من العجب العجيب ولم نجدهم يشكون وقد يختلفون ثم يرجعون إلى هذا العمود أ - هـ أي عامدين إلى هذا القول المتقدم . وفي البيان والتبيين

الرواية أى ما يُعَمَّدُ عليه منها : وما يعتمد إليه منها . والأمثلة في هذا المجال كثيرة وعلى هذا قولهم : (عمود الشعر) أى ما ينبغى أن يعتمد إليه منه فهذا ليس باصطلاح فعسى أن يكف بعض القائلين من غربهم في هذا المجال وليس ما ذكره المرزوقى في مقدمته لشرح الحماسة بخارج في جملته عما ذكرنا ؛ ذلك بأن المرزوقى قد جعل لعموده أبواباً فدل بذلك على أنه وجه يعتمد إليه ومقاصد يقصد نحوها إذ لا يحسن أن نزع أن له أبواباً إلا على هذا المعنى ومن قال أن العمود يدل على الخيمة والخيمة لها أبواب فقد تكلف والمرزوقى رحمه الله ممن يتكلف غير أنه لا يبلغ به ذلك هذا الحد . وقوله عمود الشعر المعروف عند العرب أشبه بالمعنى الذى قدمناه أى مقصد الشعر المعروف عند العرب . وإليك بعد أهم ما قال : (فالواجب أن يتبين ما هو عمود الشعر المعروف ^(١) عند العرب ليشتميز تليد الصنعة من الطريف وقديم نظام القريض من الحديث ولتعرف

مواطن أقدم المختارين فيما اختاروه ومراسم أقدم المزيفين على ما زيفوه ويعلم أيضاً فرق ما بين المصنوع والمضبوط . وفضيلة الآتى السمع على الآبى الصعب فنقول وبالله التوفيق .

« إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته . وجزالة اللفظ واستقامته والإصابة في الوصف - ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال . وشوارد الأبيات - والمقاربة في التشبيه والتحام أجزاء النظم والتثامها على تخير من لذيذ الوزن ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لامنافرة بينهما فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر . ولكل باب معيار . فمعيار المعنى أن يعرض على العقل الصحيح والفهم الثاقب ، فإذا انعطفت عليه جنبنا القبول والاصطفاء مستأنساً بقرائنه . خرج وافياً وإلا انتقص بمقدار شوبه ووحشته . ومعيار اللفظ

(١) أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى المتوفى ٤٢١ هـ - مقدمة شرح الحماسة الطبعة الثانية - القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م ص ٨ - ١١ - القسم الأول .

الطبع والرواية والاستعمال ، فما سلم
مما يهجنه عند العرض عليها فهو المختار
المستقيم . وهذا في مفرداته وجملته مراعى
لأن اللفظة تستكرم بانفرادها فإذا ضامها
ملا يوافقها عادت الجملة هجينة . وعيار
الإصابة في الوصف ، الذكاء وحسن
التمييز ، فما وجدناه صادقاً في العلوق
مازجاً في اللصوق يتعسر الخروج عنه
والتبرؤ منه فذاك سيئ الإصابة فيه .
ويروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال :
في زهير (كان لا يمدح الرجل إلا بما يكون
للرجال) فتأمل هذا فإن تفسيره ما ذكرناه .
ومعيار المقاربة في التشبيه الفطنة وحسن
التقدير فأصدقها مالا ينتقض عند العكس ،
واحسنه ما أوقع بين شيئين اشتراكها
في الصفات أكثر من انفرادهما ليبين
وجه الشبه بلا كلفة إن يكون المطلوب
من التشبيه أشهر صفات المشبه به وأملكها
له لأنه حينئذ يدل على نفسه ويحميه من
الغموض والالتباس . وقد قيل أقسام
الشعر ثلاثة : مثل سائر ، وتشبيه نادر
واستعارة قريبة وخيار التحام أجزاء النظم
والتثامه على تخير من لذيذ الوزن ، الطبع
واللسان ، فما لم يتعثر الطبع بأبنيته

وعقوده ، ولم يتحبس اللسان في فصوله
ووصوله بل استمرافيه واستسهلاه بلا دلال
ولا كلال ، فذلك يوشك أن يكون
القصيدة منه كالبيت والبيت كلمة تسالما
لأجزائه وتقارناً وإلا يكون كما قيل فيه :
وشعر كبعير الكبش فرق بينه
لسان دعى في القريض دخيل
وكما قال خلف :

وبعض قريض القوم أولاد علة
يكذ لسان الناطق المتحفظ
وكما قال رؤبة لابنه عقبه وقد عرض
عليه شيئاً مما قاله فقال :

قد قلت لو كان له قران
وإنما قلنا « على تخير من لذيذ الوزن »
« لأن لذيذه يطرِب الطبع لإيقاعه ويمارجه
بصفائه ، كما يطرِب الفهم لصواب تركيبه
واعتماد نظامه ولذلك قال حسان :

تغن في كل شعر أنت قائله
إن الغناء لهذا الشعر مضمار
وعيار الاستعارة الذهن والفطنة .
وملاك الأمر تقريب التشبيه في الأصل
حتى يتناسب المشبه والمشبه به ، ثم

يكتفى فيه بالاسم المستعار لأنه المنقول عما كان له في الوضع إلى المستعار له .
وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية طول الدربة ودوام المدارس فإذا حكمنا بحسن التباس بعضها ببعض لا جفاء في خلالها ولا نبو ولا زيادة ولا قصور ، وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعاني قد جعل الأخص للأخص والأخص للأخص ، فهو البرئ من العيب ، وأما القافية فيجب أن تكون كالموعد به المنتظر يتشوقها المعنى بحقه واللفظ بقسطه وإلا كانت قلقة في مقرها مجتلبة لمستغن عنها . فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب فمن لزمها بحقها وبني شعره ، عليها فهو عندهم المفلح المعظم والمحسن المقدم ، ومن لم يجعلها فبقدر مهمته منها يكون نصيبه من التقدم والإحسان وهذا إجماع مأخوذ به ومتبع نهجه حتى الآن .

قد ترى أن المرزوقي ادعى الإجماع على هذا الذي ذكر أنه العمود المعروف عند العرب فأفاد بهذا أن العهود إليه هو جودة الشعر وقد اشرك معه ما يقع من الأمثال نشرًا كما ترى . وهو بعد مما يشرك النشر

والخطب وضروب الكتابة في كل ما يعمد إليه من جودة التجويد في الشعر إلا الوزن والتقافية ، فلو كان مراده . بعمود الشعر اصطلاحاً دالاً على أمر معين متعلق بالشعر لكان اكتفى بالوزن والقافية ثم جعل ما يلي ذلك وسائله وأطرافاً وعناصر وائتلافات كما صنع قدامة . ثم إن هذا الذي ادعى له المرزوقي الإجماع ليس خاصاً بالعرب وحدهم إلا التقافية - إذ هو يصدق مثلاً على شعر كثير من غيرهم من الأمم . إذ هذه الأمور التي ذكرها إنما هن أبواب الجودة والبلاغة ولا يعقل أن يكون قولهم عمود الشعر اصطلاحاً ثم يكون من بعد لا مدلول له إلا البلاغة والجودة .

هذا ولو تأملت الأشياء السبعة التي ذكرها أبو على المرزوقي رحمه الله وجدتها كلها راجعة إلى ما ذكره الجاحظ وابن قتيبة وقدامة : الشرف من ابن قتيبة وأسبق وكذلك أمر اللفظ والمعنى منه ومن الجاحظ والالتحام والالتزام من نظم الجاحظ واقتضاء اللفظ والمعنى بعد تشاكلهما للقافية من قدامة . وقد يعلم القارئ الكريم أن قدامة كره أن يستخرج ستة ائتلافات

من عناصره الأربعة وزعم أن القافية داخلة
في مداول اللفظ . ثم كره أن يجعل اثتلافاته
ثلاثة وهو يعلم أن اثتلافات العناصر
الأربعة (الماء والهواء والذار والتراب)
من أمزجة أربعة :

١ - شرف المعنى .

٢ - صحته .

٣ - وجزالة اللفظ .

٤ - واستقامته .

(البالغم والدم والسوداء والصفراء)
فأعلمه - والله أعلم حرص على أن تكون
امتزاجات اثتلافاته أربعة فجعل القافية
اثتلافاً خاصاً مع المعنى ومثل لما يعاب منه
بقول أبي عدى القرشى :

ولا يخفى أن الصحة غير الشرف رقد
مزجها في معياره بالشرف مزجاً متكافئاً
والجزالة غير الاستقامة وليته فسر لنا
الجزالة إذ مداولها عند المتأخرين أخفى
مما كان عند المتقدمين .

ووقاك ' المحتوف من وارث وا

ل وأبقاك صالحاً رب هود

ولعل الرزوقي رحمه الله جعل أبوابه
سبعة (ومما يحمد له أنه لم يدع في
ذكرها ولا معرفتها لنفسه سبقاً) للتبرك
بعدد السبعة . إذ هي كما ذكرها أكثر
من سبعة . ماذا كان عليه لوجعلها اثني
عشر باباً كما وردت في سياقها فإن الاثنى
عشر عدد فيه بركة كما فيه مراعاة لأهل
الطبيعة والفلك إذ البروج اثنا عشر :

وفي زماننا هذا هو أشد خفاءً مما كان
عليه في المئة الخامسة .

أما الاستقامة فمن ضمن صفة التركيب
النحوى حسناً وقبحاً وهذا أمر وفاه سيبويه
حقه في مقدماته وفي سائر الكتاب من
بعد . وزعم عبد القاهر أن سيبويه إنما ألم
بذلك إماماً وادعى لنفسه فضيلة السابق
والاستيفاء ولعل نصيبه من ذلك للمتأمل
نسبي . والله درّ ابن رشيق إذ جاء بالرشيق

(١) إن شئت رددت الشرف إلى الكاتب المجهول لوثقيس ورب زاعم أنه كان عربياً من أهل تدمر زمان ملكها
فتأمل .

ذى السبق الدقيق ولم يدع لنفسه من سبق
أو ابتكار إلا الجمع والتأليف^(١).

٥- والمقاربة في التشبيه - وهذا مما لا
ينفرد به طلب التجويد في الشعر دون
النثر.

٦- التجام إجزاء النظم والتثامها.

٧- على تخير من لذيذ.

٨- الوزن.

هؤلاء الأبواب الثلاثة من (٦ إلى ٨)

جعلهن المرزوقي باباً واحداً وجلى أن النظم
(ولا يراد به الوزن) باب كما الوزن
باب كما اختيار الوزن باب - على أن
للمرزوقي وجهاً في هذا الذي لجأ إليه
من جعلهن باباً واحداً على ما تكلفه
من ذلك وسنذكر من ذلك بعد قليل
إن شاء الله.

٩- مناسبة المستعار منه للمستعار له .
وهذا كالتكرار لما تقدم من المقاربة في
التشبيه غير أن له ما يبرر جعله باباً
مفرداً .

١٠- مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة
اقتضائها للقافية .

فهذه عشرة أبواب . وقد يقال إن
مشاكلة اللفظ للمعنى ينبغي أن تعد باباً هو
وجهه إلا أن في ذلك كالتكرار للبابين
أو الأربعة الأبواب الأول .

وقد تصير الأبواب اثني عشر بجعل
هذا الباب ثلاثة أبواب كما جعله قدامة
إذ هو من قدامة مأخوذ وذلك أن يقال :

١٠- مشاكلة اللفظ للوزن .

١١- مشاكلة المعنى للوزن .

١٢- مشاكلة المعنى للقافية ولا يخفى

(١) وادعى حازم سبقاً وأغار على موسيقا الفارابي في مواضع منها تعريفه للشعر حيث قال (ص ٨٩ من منهاج
البلغاء طبع تونس بتحقيق الحبيب بن خوجة ١٩٦٦ م الشعر كلام مخيل موزون مختص في لسان العرب بزيادة التقفية
إلى ذلك ويكثر حازم من استعماله (الأقاويل) وهي من ألفاظ الفارابي القرآنية كثيرة في موسيقاه الكبير وأهل مصر
مولعون بحازم والجرجاني الثاني والمرزوقي ولا ننكر لهم فضلاً إلا أن كون هذا الوله (موضة) لا يخفى وأحسن
حازم في أمر الربط والوحدة حيث استشهد ببائية أبي الطيب ، وفي أمر ألوان الأوزان وتوسع فيه شيئاً بتنوع
من الشرح لما جاء عند ابن رشيق وهو قول الخليل وإضافته التخيل على التعريف عنه لأنه رغم أنه في اللفظ والوزن
والمقائل والسامع فلو لزم التعريف المعروف لكان له احزم والله أعلم .

تكلف المرزوقي حيث ضم اللفظ إلى المعنى وجعلهما معا يقتضيان القافية اقتضاءً شديداً ، فزاد على التكلف الذى جاء به قدامة ؛ تكلفاً آخر ، وعبارة قدامة فى مقدماته : « إلا أنى نظرت فوجدتها (يعنى قدامة القافية) من جهة ما أنها تدل على معنى لذلك المعنى الذى تدل عليه ائتلاف مع سائر البيت فأما مع غيره فلا لأن القافية إنما هى لفظة مثل لفظ سائر البيت من الشعر ، ولها دلالة على معنى لذلك اللفظ أيضاً والوزن شئ واقع على جميع لفظ الشعر الدال على المعنى فإذا كان ذلك كذلك فقد انتظم تأليف الثلاثة الأمور الأخر ائتلاف القافية أيضاً . إذ كانت لاتعدو أنها لفظة كسائر لفظ الشعر المؤلف مع المعنى فأما من جهة ما هى قافية فليس ذلك ذاتاً يجب بها أن يكون لها به ائتلاف مع شئ آخر إذ كانت هذه اللفظة إنما قيل إنها قافية من أجل أنها مقطع البيت وآخره وليس أنها مقطع ذاتي لها وإنما هو شئ عرض لها بسبب أنه لم يوجد بعدها لفظ فى البيت غيرها وليس الترتيب أن لا يوجد للشئ نال يتلوه ذاتاً قائمة فيه ، فهذا هو السبب

فى أنه لم يكن للقافية من جهة ما هى قافية تأليف مع غيرها .

مما يبرر التلاحم فى النظم واختيار الوزن لذيلاً ثم الوزن نفسه كل أولئك الثلاثة باب واحد أن المرزوقي فيما نرى أراد أن ينبه على أن الكلام له نظم يلزمه عند من يريد تجويده أن يكون ماتحماً ملتئماً من حيث هو نظم أساوبى صياغى . وما نرى إلا أن الجاحظ لفق نظريته فى النظم من قصة الإعجاز التى يقول بها كل معلم وقصة الخاق التى هى مذهب عند المعتزلة . فابتعد عن مذهبهم ودنا مما كان عليه أهل السنة ومهد بذلك لابن الباقلانى وعبد القاهر وغيرهما تمهيداً هذا ثم كأن المرزوقي أراد أن ينبه أيضاً على أن المنظم بعد أن يلتحم وياتشم فى نفسه التماساً والتئاماً آخر مع الوزن لامن حيث إن الوزن إطار تنحصر فيه كلمات النظم والقول ينحو من هذا من اخلاط النقد البنيوى الذى عنده أن النص هو الجوهر وهو كل شئ وليس البيان إلا إياه وهو مجرداً هكذا إن هو إلا جنازة كائن البيان الحى ذى الروح والجسد معاً ، ولكن من حيث

ان الوزن إيقاع ذو تعبير من عند ذات طبيعته الإيقاعية فالتحام النظم ينبغي أن يأنوب في هذا التعبير الإيقاعي ويتحد معه ويكون جسداً حياً مع روح ذى قوة وإحساس حي ووجود .

فجعله هذا باباً ثالثاً كما ترى .
وأحسب أن المرزوقى رحمه الله لو كان قال على تخير الوزن أن كان من صفة الوزن وحده كان الأمر بابين ولكنه لا بد فيه مراعاة مشاكلة اللفظ والمعنى والتحام النظم .
فجعله هذا باباً ثالثاً كما ترى .
وأحسب أن المرزوقى رحمه الله لو كان قال على تخير الوزن أو من الوزن كان ذلك أجود ولكنه أتى من شدة اتباعه لقدامة حيث زعم أن الوزن السهل العروض يستحسن الشعر من أجله وإن خلا من أكثر نعوت الشر كقول حسان :

ما هاج حسان رسوم المقام

ومظعن الحى ومبنى الخيام

وقال قدامة نزحوا من هذا فى نعت اللفظ الذى عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة مثل أشعار يؤخذ فيها ذلك

وإن خلت من سائر نعوت الشعر . وقد اتبع قدامة ابن قتيبة حيث ذكر ما جاء لفظه وحلا وما يختار لوزنه . وفى الذى ذكره المرزوقى من التهام أجزاء النظم على تخير من لذيد الوزن مشابه من حديث كلردج عن الإرادة والوجدان من طريق الوزن وتوازن أشكال التعبير والمجاز .
هل اطلع كلردج على مقدمة المرزوقى أو خلاصة منها (لا تستبعد ذلك لما سبق زمانه من ترجمة حماسة أبى تمام ومعرفة أهل الاستشراق بها والله تعالى أعلم وفى حديث المرزوقى عن المعايير كافة وغموض وسائر كلامه كما قدمنا راجع إلى الجاحظ وابن قتيبة وقدامة وهلم جرا .
والأبواب السبعة أوضح من أن تذكر لها معايير تدل علىها وكلام النقاد عنها مستفيض .
وأحسب أن المرزوقى أعجبه لفظ عيار الشعر وقد استشهد بشيء من كلام ابن طباطبا فى المقدمة وذكر مع اسمه كنيته وكان به ذا إعجاب والله أعلم .

عبد الله الطيب
عضو المجمع من السودان

حول تحقيق مؤلف "الرسالة العذراء"

المنسوبة لإبراهيم بن المدير

للدكتور محمود على مكي

بها ابن القارح إلى أبي العلاء المعري ، فأجابه
عليها برسالة الغفران ، وهي التي
اتخذتها السيدة الدكتور عائشة عبد الرحمن
(بنت الشاطئ) أصلاً لنشرتها لها مع
رسالة الغفران في دار المعارف .

ومنذ هذا التاريخ تعددت طبعات
« الرسالة العذراء » ، فقد طبع الأستاذ
محمد كرد علي « رسائل البلغاء » مراراً
وكان آخر هذه الطبعات - فيما أعلم -
الطبعة الرابعة في سنة ١٩٥٤

كذلك اهتم المرحوم الدكتور زكي
مبارك بهذه الرسالة اهتماماً خاصاً في أثناء
إعداد رسالة الدكتوراه التي تقدم بها
للجامعة السوربون عن « النشر الفني في
القرن الرابع الهجري » ، فقدم « الرسالة

في سنة ١٩١٣ وقع الأديب والعالم
العربي الكبير الأستاذ محمد كرد علي
رحمه الله على مجموعة مخطوطة قديمة
من الرسائل كانت في حوزة الشيخ طاهر
الجزائري . ومن هذه المجموعة نقل رسالة
تحمل عنوان « الرسالة العذراء » ،
ونشرها في القاهرة ضمن مجموعة « رسائل
البلغاء » ناسباً إياها إلى الكاتب الوزير
العباسي إبراهيم بن المدير .

ثم آلت مجموعة الرسائل التي كانت
من بينها « الرسالة العذراء » إلى المكتبة
التيمورية في دار الكتب المصرية وأصبحت
تحمل رقم ٨٠ (مجاميع تيمور) وعدد
هذه الرسائل إحدى عشرة رسالة ، وكانت
الرسالة العذراء هي الثامنة منها ، وأذكر
أن الرسالة التاسعة كانت هي التي وجه

العدراء » مع دراسة بالفرنسية إلى مدرسة اللغات الشرقية في باريس ، ثم أعاد طبع نصها العربي مستقلاً مع مقدمة بالفرنسية في دار الكتب المصرية سنة ١٩٣١ بعنوان : (Étude critique sur la Lettre Vierge d'Ibn al - Mudabbir)

وبعد ذلك بسنوات عاد لنشر الرسالة للمرة الثالثة الاستاذ أحمد زكى صفوت فضمنها مجموعته الكبيرة التي تقع في أربعة أجزاء « جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة » . وتقع الرسالة العدراء في المجلد الرابع من هذه المجموعة (ط . القاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧) بين صفتحتي ٢٤٢ و ١٩٩

وهكذا نرى كيف ظفرت هذه الرسالة الصغيرة باهتمام ثلاثة من أقطاب البحث الأدبي على مدى ربع قرن ، إذ أنها كانت تقدر بحق أثراً من الآثار المبكرة لأحمد كتاب القرن الثالث الهجرى في النقد الأدبي والكتابة الفنية ولهذا فقد عني بها المؤلفون القدماء ، وكان من أول هؤلاء ابن عبد ربه (ت ٢٣٨ - ٩٤٠) الذي نقل نحو شطرها في كتابه « العقد الفريد » ،

وتلاه من الأندلسيين ابن السكيت البطليوسي (ت ٥٢١ - ١١٢٧) الذي نقل بعض فقراتها عن (العقد) - فيما يبدو - في كتابه « الاقتضاب » الذي شرح به « أدب الكتاب » لابن قتيبة (الذي كان يدعى في المشرق « أدب الكاتب ») . وتلاه ابن الأبار البليسي (ت ٦٥٨ - ١٢٦٠) الذي أورد منها فقرات أخر في كتابه « إعتاب الكتاب » . وأما في المشرق فقد تكرراً أخذ المؤلفين عنها حتى عصر متأخر . فقد نقل عنها النويرى في « نهاية الأرب » ثم القلقشندي في « صبح الأعشى » . وهكذا نرى كيف عادت « الرسالة العدراء » مرجعاً لمن يشتغلون بصناعة الإنشاء والكتابة الفنية منذ تأليفها في منتصف القرن الثالث الهجرى حتى القرن التاسع . ولم يقال من قيمتها ولا من اعتماد الكتاب على ما تضمنته من قواعد مرور هذه القرون المتطاولة على الرغم من التطور الكبير الذي لحق صناعة الإنشاء خلال هذا الزمن .

ولم تكن عناية الباحثين المحدثين بهذه الرسالة دون ذلك ، وقد رأينا

كيف اختصها الدكتور زكى مبارك بدراسة مستقلة ، واهتم بها بعد ذلك كل من تعرضوا الدراسة تاريخ البلاغة العربية ، ولا سيما في المرحلة الأولى من حياتها . فعدها بروكلمان في « تاريخ الأدب العربى » « أول ما صنف فى صناعة النشر » ، ورأى أستاذنا الدكتور شوقى ضيف فيها قريب من ذلك فيما عرضه حولها فى كتابه « تاريخ الأدب العربى - العصر العباسى الثانى » . وعلى نهج الدكتور شوقى ضيف جرى كل من تعرض بالبحث لبواكير التأليف فى البلاغة العربية ولتاريخ الفن النشر .

١١ وعنوان الرسالة - كما جاء فى أصلها المخطوط - هو « الرسالة العذراء فى موازين البلاغة وأدوات الكتابة » ، فهى تتألف من شقين : الأول يتعلق بالشكل ، ونعنى به الجزء الذى أفرد المؤلف لصناعة الكتابة بصفتها حرفة ومهنة ، فاهتم فيه بآلة الكتابة وأدواتها وفصل الحديث عن الدواة والمداد والقلم

وسكين البرى والخط وأنواعه والإعجام والشكل كل والقراطيس وطرق إلصاقها وختمها وما إلى ذلك من دقائق صناعة الكاتب . وأما الشق الثانى فهو المتعلق بالمضمون ، وفيه يتحدث عن شروط الكتابة الجيدة ، وفى هذا الجزء تنتشر مباحث هى من صميم النقد والبلاغة . ولعل المؤلف من خير من مثلوا هذا الاتجاه النقدى فى تاريخ البلاغة العربية من وجهة نظر تلك الطائفة التى مارست الكتابة ممارسة عملية ، وهى طائفة كتاب الدواوين المترسلين .

ويختلط هذان الجانبان فى الرسالة بغير نظام ، إلا أن المؤلف كان واعياً لضرورة معالجتهما معاً حينما وضع العنوان الفرعى لرسالته « . . . فى موازين البلاغة وأدوات الكتابة » ، فهو عنوان دقيق يصور محتوى الرسالة حول الكتابة بشقيها : مضمونها وشكلها .

١٢ وليس من شأنى الآن تلخيص الرسالة أو عرض مادتها ، فطبعتها كثيرة متعددة ، وإن كنت أرى أنها

بعدما توفر لدينا من حقائق حول مؤلفها وثقافته وأساتذته وما نقل عنه - تحتاج إلى تحقيق جديد ، هو ما أعددتَه بالفعل وهيأته للنشر .

على أن الذي يهمني في هذا المقام هو تصحيح نسبة الرسالة ، وأبدأ بإثبات ما ورد على عنوانها في الأصل المخطوط الذي اعتمد عليه الأستاذ محمد كرد علي حينما نشرها لأول مرة ، وهو مخطوط كان ملكا للشيخ طاهر الجزائري كما ذكرت ؛ فقد جاء في الأصل « لأبي اليسر إبراهيم ابن محمد الشيباني » ، أي أن النسبة كانت واضحة صريحة والمؤلف مذكوراً بكنيته واسمه ونسبه بغير لبس ولا التواء . والغريب في الأمر أن الأستاذ كرد علي لم يُعن نفسه بالبحث عما إذا كان أبو اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني هـذا شخصية حقيقية أو زائفة ، ولعله - رحمه الله - عنى نفسه ولكن المصادر لم تسعفهُ آنذاك . فإذا به ينسب الرسالة بغير تردد إلى من ظنه المؤلف الحقيقي ، أي إلى أبي إسحاق

إبراهيم بن محمد بن غبيد الله المعروف بابن المدبر (الذي عاش بين سنتي ٢١١ و ٢٧٩ / ٨٢٦ - ٨٩٢) . وقيلَ ذلك منه الناشران التاليان للرسالة ، وهما الدكتور زكي مبارك والأستاذ أحمد زكي صفوت ، وتابعهم على ذلك كل من تناولوا الرسالة بالبحث والدراسة ، دون أن يطرح أحد من هؤلاء موضوع نسبتها للمناقشة من جديد .

وهذا أمر غريب حقا ! فليس بين الاسم المثبت على الأصل المخطوط والاسم الذي قطع به الأستاذ كرد علي إلا الاتفاق في اسم الرجل واسم أبيه ، أما الكنية والنسب فمختلفان . وكان ذلك الاختلاف جديراً بأن يثير بعض الشبهات ولكن الناشر الأول لم يتوقف كثيراً عند هذه المسألة ، ولعل السبب في ذلك هو أنه رأى في الرسالة قرائن تدل على أنها ألفت في القرن الثالث الهجري وأن صاحبها يبدو كاتباً محترفاً متصلاً على نحو ما يكبر الكتاب البغداديين في أواسط هذا القرن ،

فلم يخطر بباله أن يوجد إبراهيم ابن محمد آخر غير ابن المدبر ، أما العلماء التالون للأستاذ كرد علي - وعذرهم أضيق من عذره - فقد لاحظ بعضهم ذلك الاختلاف ، ولكنهم حاولوا حل المشكلة بطريقة تلفيقية . فبروكلمان يسمي المؤلف أبا إسحاق بن المدبر ويضيف إلى ذلك أنه كان يكنى أيضاً بابي اليسر . والأستاذ أحمد زكي صفوت يرى أن فقرات كثيرة من الرسالة قد وردت بنصها في « العقد » لابن عبد ربه تم في نهاية الأرب للنويري وصبح الأعشى للقلقشندي ، ويلاحظ أن كل هؤلاء المؤلفين ينسبون لها من يدعونه بالشيباني . فيحل المسألة بجرة قلم قائلاً : « والظاهر أنه - أي ابن المدبر - ينتمي إلى شيبان بالولاء » .

وهكذا نرى كيف يتسرع هؤلاء العلماء الأجلاء بترجيح ما لم يستند إلى نص ولم تقم عليه حجة ، إذ لم يزعم أحد من مترجمي ابن المدبر أنه كان يكنى بابي اليسر ولا أنه

كان ينتمي في شيبان ، وإنما هي محاولة لتطويع اسم المؤلف الحقيقي لما بدر إلى ظنونهم حتى يستقيم لهم ما أصروا عليه من نسبة الرسالة إلى ابن المدبر .

والذي تبين لنا بعد البحث والتنقيب أن أبا اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني شخصية حقيقية تردد ذكرها في كثير من المصادر الشرقية والمغربية والأندلسية وأنه كان أديباً كاتباً مغامراً جوالاً استطاعت الدعوة العبيدية الفاطمية أن تجنده في خدمتها ، فاتخذت منه داعية وجاسوساً ، ثم كافأه عبيد الله المهدي بأن اتخذه أول كاتب ووزير له حينما انتصرت دعوته في أفريقية ، وأنه هو صاحب تلك « الرسالة العذراء » التي نسبت خطأ لابن المدبر . ونص الرسالة وما ورد فيها يتفق تماماً مع هذه النسبة ، ويدل على نفى نسبتها للكاتب الوزير العباسي ابن المدبر . ومنعروض الآن باختصار لحياة هذا الأديب التي كانت على جانب عظيم من الغرابة والطرافة

وأوفى ترجمة عثرنا عليها لأبى اليسر إبراهيم بن محمد الشيبانى الذى كان يعرف أيضاً بالرياضى هذه التى نجدها فى كتاب « التكملة » للمؤلف الأندلسى المشهور ابن الأبار القضاعى البلمسى (ت ٦٥٨ / ١٢٦٠) وقد نقل مادتها عن مؤرخين سابقين نص عليهم ، منهم الأندلسيان سكن بن إبراهيم الكاتب (الذى عاش فى القرن الثالث الهجرى ، أى معاصرا لأبى اليسر) والمؤرخ المشهور عريب بن سعد القرطبي صاحب « صلة تاريخ الطبرى » وهو من مؤرخى القرن الرابع ، وأخيرا المؤرخ الإفريقى إبراهيم بن القاسم القيروانى المعروف بالرقيق (المتوفى بعد سنة ٤١٧ / ١٠٢٦) . وقد نقل عن ابن الأبار هذه الترجمة المقرئ فى « نصح الطيب » . ويلى هذه الترجمة فى القيمة ما نجده حول أبى اليسر المذكور من أخبار قيمة فى « رسالة افتتاح الدعوة » للقاضى النعمان بن محمد (ت ٣٦٣ / ٩٧٤) ، وفى « البيسان المغرب » لابن عذارى المراكشى (الذى كتب فى أوائل القرن الثامن الهجرى) ونضيف إلى ذلك ما ورد حوله فى

كتاب « أخبار مجموعة » لمؤلف أندلسى مجهول عاش فى القرن الرابع ثم ما نقله عنه ابن عبد ربه فى كتاب « العقد » . ولد أبو اليسر الشيبانى الرياضى فى بغداد سنة ٢٢٣ (٨٣٨) ، ولم تفقدنا المصادر بشئ حول نشأته الأولى فى دار الخلافة ، ولكن القائمة الطويلة التى يثبت فيها مترجموه أسماء أساتذته تدل على أنه قضى صباه وشبابه فى بغداد وأنه كان ذا موهبة أدبية مبكرة ، وأنه اتصل بكبار شعراء عصره فى أواسط القرن الثالث الهجرى ، ومنهم أبو تمام ودعبل بن على وعلى بن الجهم والبحتري . وقد زعم أبو اليسر بعد ذلك أنه روى عن أبى تمام ديوان شعره ، ولكن ذلك أمر يبدو مستحيلا ، فقد كان عمره عند وفاة أبى تمام لا يعجز عن ثمانى سنوات ، على أننا رأينا من تتبع حياته أنه كان رجلا كثير التحويل بمن يزعم أخذه عنهم من أدباء الشر ، ولا يبعد أن تكون روايته عن أبى تمام إحدى هذه الدعاوى العريضة التى كان يصطنعها أمام متأدبى

إفريقية والأندلس . كذلك يظهر أنه أخذ عن عدد من كتاب الدولة العباسية من أمثال سعيد بن حميد رئيس ديوان الرسائل على عهد المتوكل وسليمان ابن وهب وزير المهدي والمعتمد وأحمد بن أبي الطاهر طيفور صاحب تاريخ بغداد .

ونعرف من ترجمته أيضاً أنه تلمذ على المؤلفين الكبيرين أبي عثمان الجاحظ وأبي محمد ابن قتيبة واحتقب بعض كتبهما ، كما أخذ عن أكبر عالين في النحو واللغة في عصره ، وهما المبرد وثلعب رأساً مذهبي البصرة والكوفة . ويذكر مترجموه - على سبيل الإطراف - أنه « كتب - على كبره - كتاب سيبويه كله بقلم واحد ما زال يبريه حتى قصر فأدخله في قلم آخر وكتب به حتى فنى تمام الكتاب » . نعرف من نص ورد في « الرسالة العذراء » أنه أخذ أيضاً عن الطبيب المشهور على بن ربن الطبري صاحب كتاب « فردوس الحكمة » . وهكذا توافرت لأبي اليسر ثقافة جامعة متنوعة رأى

أنه - تؤهله لكي يتولى منصباً من مناصب الكتابة في حاضرة الدولة العباسية غير أنه لم يوفق لذلك ، فقد كان أمثاله من هؤلاء المتأدبين كثيرين تحفل بهم الدواوين ، وكان أبو اليسر رجلاً طموحاً يتعجل النجاح والشهرة فلم يسعده حظه بذلك . يقول أحد مترجميه إنه اضطرب في المشرق ، فأعيتته وجوه الرزق ، مما حمله على التفكير في الهجرة إلى المغرب ، وما زال حتى انتهت به الرحلة إلى الأندلس . ويقول صاحب « أخبار مجموعة » حول وفوده على هذه البلاد :

« فقصده الأندلس ، وافتعل كتاباً على لسان ابن الشيخ بالشام وألسنة عامة أهل بلده ، بكل ما أمكنه من الاستدعاء للخلافة وذكر تقارب الدولة فلما ورد على الأمير محمد فهم أنه محتال متعيش شحاذ ، فأمر بتوسيع نزله ، وأمضى ذلك له بطول مكثه » . وابن الشيخ المذكور في هذا النص هو عيسى ابن الشيخ الشيباني الذي كان من كبار رجالات الدولة العباسية وقوادها ،

وكان قد تغلب على الشام في سنة ٢٥٢ (٨٦٦) وأعلن خلع طاعة الخليفة المعتمد وأوشك على أن يستقل بعمله كما فعل أحمد بن طولون في مصر . وكان ببلاد الشام آنذاك حزب أموي كاره للخلافة العباسية متجه ببصره إلى تلك الدولة الأموية التي جدها عبد الرحمن بن معاوية الداخل في الأندلس منذ أكثر من قرن من الزمان . وهذا هو ما جعل أبا اليسر يصطنع ذلك الكتاب الذي زعم أن أهل الشام قد حملوه إياه بصفته سفيراً لهم إلى الأندلس يستدعون للخلافة أي يعرضون له بإعلان طاعتهم للأمير ، الأندلسي . ولهذا فقد وضع أبو اليسر ذلك الكتاب على لسان القائد ابن الشيخ الثائر في الشام على الخلافة العباسية في ذلك الوقت .

غير أن الأمير محمد عبد الرحمن الذي نعرف عنه أنه كان حريصاً حذراً لا يتورط في مغامرة غير مأمونة العواقب لم يكن لينخدع بذلك الكتاب الذي اصطنعه أديبنا المغامر ، فعرف

حيلته ، ولكنه مع ذلك كان كريماً فأوسع نزله لا سيما بعد أن أعجب بأدبه وثقافته ، ولدع صاحب « أخبار مجموعة » يكمل لنا الخبر ، يقول : « ثم وصلت له (أي لأبي اليسر) إلى الأمير محمد كتب يسأل فيها الإذن له بعد طول مقامه ، استحسنها الأمير محمد واستلطفها . فأدخل وزيره هاشم بن عبد العزيز واستشاره في أمره وقال له : هذا إنسان طالب معيشة تولدت له بها هذه الحيلة ، فإن صرنا إلى تصديقه ومجاوبته على حسب كتبه اتخذنا عند بني هاشم مضحكة ومزارة . وإن كذبناه وحرماناه وقد احتل جنابنا فلؤم مشهور وفعل غير مشكور . وقد رأينا فيما خاطبنا به عن نفسه تأليفاً وتجويداً بالغاً يستحق به معرفتنا ثم أمر له بخمسمائة دينار وازنة وبكتاب ليس فيه غير بسم الله الرحمن الرحيم » .

وهكذا انتهت سفارة أبي اليسر الرياضي إلى قرطبة ، فنراه يخرج منها عائداً إلى المشرق في رفقة عدد ممن توثقت صلتهم بهم في الأندلس من طلبة العلم كانوا متوجهين إلى

بلاد الشرق . وفي الطريق فتح أبو اليسر خطاب الأمير محمد ، فلما رآه بياضا عرف أن حياته لم تنطل عليه . وواصل أبو اليسر الرحلة ، فحل في طريقه مع أصحابه الأندلسيين في القيروان ، وكان ذلك في سنة ٢٦٠ (٨٧٤) . وهناك اتصل بقاضيهما الحنفى سليمان ابن عمران . ولذا ذكر أن الدعايات السرية الإسماعيلية كانت تضطرب آنذاك في كل أنحاء الشمال الأفريقى مهيئة الأذهان لظهور إمام علوى « يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا » . ونعتقد أن الدعاة الشيعة قد استطاعوا في هذه الأثناء أن يجندوا أبا اليسر لدعوتهم ويتخذوه عميلا لهم .

وربما دللنا على ذلك أنه حينما وصل إلى مصر وكانت آنذاك تحت حكم أحمد بن طولون أثار شكوك أجهزة الدولة ، فقبض عليه . وأودع السجن ويتم القصص واحد من الرفاق الأندلسيين الذين صاحبوه في رحلته من الأندلس إلى مصر ، فيقول :

« فاتصل بنا خبره ، ووجب علينا في رعاية الصحبة زيارته وتأنيسه . فلما انصرفنا من صلاة الظهر يوم الجمعة ذهبنا إلى صلاته وقصده بمكانه فسألنا عن الحبس فهدينا إليه . فلما وقفنا بالباب كشفنا عنه ، فوصف لنا موضعه ، فدخلنا إليه ندعو له . فقال لنا : هل حبستم معي ؟ فقلنا له : ولم ذلك ؟ قال : من دخل حبس ابن طولون لم يخرج منه إلا بإذن السلطان ! فظنناه مازحا ثم أقلقنا ذلك وذهبنا لنخرج ، فدفع البوابون في صدورنا ، فإذا نحن أعظم الناس داهية وأجلهم بلية : لا يعرفنا أحد ولا نعرف أحدا . فلبثنا بذلك من حالنا حتى رفعنا أمرنا إلى المرنى الفقيه (تلميذ الإمام الشافعى) وذكرنا له مذهبنا في الخير وقصدنا إليه في طلب العلم . فتردد على صاحب مصر حتى يسر الله إطلاقنا » .

وهي قصة طريفة نرى كيف أودع أصحاب اليسر الأندلسيون السجن بغير جريمة إلا أداء فرض من فروض

المروعة ونرى كيف توسط لهم ذلك
الفقيه العجيب المزنى حتى أخرجهم
من السجن . ولعله توسط أيضاً لصاحبهم
أبى اليسر .

على أن الذى نعرفه بعد ذلك هو
أن أبا اليسر لم يلبث أن ظهر فى
القيروان بعد سنة ٢٦١ بقليل ،
وإذا به يعهد إليه بمنصب من مناصب
الكتابة فى ديوان الرسائل على عهد
الأمير الأغلب إبراهيم بن أحمد . ويظهر
أنه ألقى عصاه فى القيروان وأنه انتظم
فى الدعوة العبيدية السرية ، وكانت
هذه الدعوة قد نشطت نشاطاً عظيماً
فى إفريقية منذ دخول الداعى أبى
عبد الله الشيعى فى سنة ٢٨٠ (٨٩٣)
فاستطاعت أن تجند فى ضميم إدارة
الدولة الأغلبية عدداً كبيراً من الدعاة
والجواسيس استعانت بهم على هدم
الدولة من داخل . وحينما توفى إبراهيم
ابن الأغلب وولى إمارة إفريقية ابنه
أبو العباس عبد الله فى سنة ٢٨٩
(٩٠٢ - ٩٠٣) ظل أبو اليسر على
حاله فى ديوان الرسائل ، بل عهد
إليه الأمير الجديد بإدارة « بيت

الحكمة » الذى كان شبيهاً بدار الحكمة
التي أنشأها المأمون العباسى فى بغداد .
وكان ملتقى للعلماء والفلاسفة والأطباء
الذين نهضوا بالعلوم والآداب نهضة
كبيرة فى القيروان . هذا وإن كانت
أحوال الدولة الأغلبية تسمير من سبىء
إلى أسوأ ، حتى تأتى نهايتها المرتقبة
فى عهد زيادة الله آخر ملوك الأغلبة
فى جمادى الآخرة سنة ٢٩٦ (مارس
٩٠٩) ، وذلك بدخول الداعى الفاطمى
أبى عبد الله الشيعى القيروان وفرار
زيادة الله إلى مصر .

ولم يلبث أبو عبد الله الشيعى بعد
انتصاره الكبير أن توجه على رأس
حملة قوية لاستنقاذ إمامه عبيد الله
المهدى الذى كان قد قبض عليه
وأودع سجن سجلماسة فى أقصى
جنوبى المغرب ، وكانت سجلماسة
هى حاضرة ملك بنى مدرار الخوارج .
ويلفت النظر فى وصف المؤرخين لموكب
أبى عبد الله أنه كان على رأس رجاله
صاحبنا أبو اليسر الشيبانى . الذى
أصبح معدوداً من وجوه رجال الدعوة

العبيدية . وقد اخترق أبو عبد الله
بجيشه المغرب الأوسط ، ففتح في
طريقه مدينة تاهرت جنوبى الجزائر وأزال
ملك الرستميين ، ثم واصل مسيرته
حتى اقتحم سجلماسة وأخرج الإمام
عبيد الله المهدي من سجنه وقد دم له
رجال دعوته ، ولم يكد الإمام بعد
خروجه ووصله إلى مقر ملكه في القيروان
حتى عهد بكتابته العليا ورياسة ديوان
الرسائل لأبى اليسر الشيباني ونعرف
بعد ذلك أنه ظل مقرباً لعبيد الله
عظيم الحظوة لديه حتى أصبح يعد
أجل وزرائه إلى أن حانت وفاته في
جمادى الأولى سنة ٢٩٨ (يناير سنة
٩١١) ودفن في باب سلم بالقيروان ،
وكانت هذه مقبرة يدفن فيها كبار
رجال الدولة .

هذه هي قصة أبى اليسر الرياضى
الشيباني التى نرى منها كيف كان
نشاطه السياسى : أديباً محتملاً مغامراً
وعمىلاً سرى وجاسوساً للعبيديين وأخيراً
كاتباً ووزيراً لأول خلفاء هذه الدعوة
التي قدر لها أن تحكم إفريقيا (تونس)

ستين سنة قبل أن تنتقل إلى مصر
فتخذها قاعدة اخلافتها على مدى
قرنين من الزمان .

أما نشاط أبى اليسر فى التأليف
الأدبى فقد ذكرت المصادر عديداً
من كتبه نذكر منها كتاب « سراج
الهدى » فى القرآن الكريم ومشكاه
وإعرابه ، ومسنداً فى الحديث ، وكتابين
فى الأدب هما « لقيط المرجان » وهو
كتاب يصفه ابن الأبار بأنه أكبر
من « عيون الأخبار » لابن قتيبة .
و « قطب الأدب » ، فضلاً عن مجموعة
من الرسائل نذكر منها « المرصعة »
و « المدبجة » وأخيراً « الرسالة
الوحيدة المؤنسة » . ونظن أن هذه
الرسالة هى نفسها التى أطلق عليها
بعد ذلك اسم « الرسالة العذراء » .

وإنما أتى هذا العنوان من قوله فى
آخرها : « . . . » وهذه الرسالة عذراء
لأنها بكر معانٍ لم تفتزعها بلاغة
الناطقين ولا لمستها أكف المفوهين .
فاجعلها مثلاً بين عينيك ، ومصدرًا
بين يديك . ومسامرة لك فى ليلك

ونهارك » ، فوصفه للرسالة بأنها « عذراء »
يتفق مع تسميته ابن الأبار لها بأنها
« الوحيدة » ونصحه لصديقه الذي
وجهها إليه بأن يجعلها « مسامرة له »
يتفق مع وصفها الآخر الذي أضافه
ابن الأبار لها حينما سماها « المؤنسة » .

وبعد ، فقد بقيت هناك حجب
كثيرة في داخل نص « الرسالة العذراء »
تشهد بأنها لا يمكن أن تكون من تأليف
ابن المدبر ولا تتفق مع ما نعرفه من
ملامح شخصيته .

كذلك نشير في النهاية إلى أن أبا
اليسر قد أعقب ابناً اسمه يزيد (أو

برية) جرى على نهج أبيه في خدمة
الدولة الفاطمية ، فقد كان من كتاب
المعز لدين الله الفاطمي فاتح مصر
وظل في منصبه هذا حتى وفاته في
سنة ٣٤١ (٩٥٢) . وللمعز صنف
كتاباً في الأمثال في ١٥٧ باباً من
الأبواب القصار وسماه « تلقيح العقول »
وهو كتاب اعتمد عليه المؤلف المصري
ابن ظافر الأزدي المتوفى سنة ٦١٣
(١٢١٥) ، فنقل عنه في عديد
من المواضع في كتابه « بدائع البدائنه »
ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة في
مكتبة لايدن هولندا .

محمود على مكي
عضو الجمع



الفصحى رباط وحدة الأمة، وأداة ارتقاء العلم والحياة للاستاذ محمد بهجة الأثرى

أحببتُها حُبَّ نفسي ، والهوى غِرْدُ
وَضِيئَةٌ . شاقَّ زَهْوُ الوردِ زَاهِرُهَا ،
رفيعةُ القَدْرِ . أختُ الشمسِ ، عاليةُ
نافتِ سَنًا وسَناءَ باذِخًا ، وزَهَتْ
نافتِ ، وفي فَلَكَ العلياءِ قد بَلَغَتْ
لا يُبْصِرُ الطَّرْفُ منها في سَماوَتِها
يُضاحِكُ العينَ من أَقطارِها أَلَقُ
ويُثْرِكُ القَمَرَيْنِ الخَسْفُ من سَقَمِ ،
إلى البصائرِ كالأبصارِ ، مُشرَعَةٌ
يغْدو إليها ويجلو من غشاوتِها
سَرِيَّةٌ . وكفاه . أَنَّهُـا هَبَطَتْ
وَحُبُّهَا الرُّوحُ والرَّيْحَانُ والرَّغْدُ^(١)
والوَرْدُ أَنْفَسُ ما يَشْتاقُهُ الخَلْدُ^(٢)
يُرَى لها فوقَ عَرِشِ الشمسِ مُقْتَعَدُ
في مُطَرَفِ الحُسْنِ ، فَهِيَ الجواهرُ الفَرْدُ^(٣)
من الإنافَةِ ما يَقتاسُهُ الرِّصْدُ^(٤)
إِلَّا اللَّالِيءُ في آفاقِها . تَقْدُ
من حيثُ يَلْحَظُها الراوُونَ إنْ رَصَدُوا
ونُورُها . دائِمُ الإِشراقِ مُتَقِدُ^(٥)
لها النُّوافِدُ والأبوابُ والسُّدُ
إِذَا تَعَاوَرَهـا . العـ وَارُ والرَّمْدُ^(٦)
وَحَيًّا ، لَهُ تَخَشَعُ الأرواحُ والجُمُودُ^(٦)

(*) أُنقِيت في إجلسة ثمانية عشرة يوم السبت ٥ / ٣ / ١٩٨٨ م .

(١) الروح ، بفتح "راء" : تراحة ، والرحمة ، ونسيم الريح .

(٢) الخلد : النفس .

(٣) السنا (بالتعصر) : نسوء - والسناء (بالمد) : الرفعة نافت : علت - المطرف : رداء من خبز .

(٤) الإنافة : الارتقاع والإشراق .

(٥) النوافر : كل ما أعل العين .

(٦) سريّة : شريفة - الجمد : ما ارتفع من الأرض .

عريقة المولى الميمون : أولها
كريمة النبع .. حلب الصرع ريقها .
مع الجديدين ماكرًا وما اختلفا
من كل زهراء ، فيها الحسن متقيد ،
إذا سألت عن الإبريز ، فأغدلها
ثراؤها كالثرى .. صنوان إن ذكرها

مع « الخليقة » و « الأخرى » لها الأبد
وطاهر المزن صافيتها أو البرد^(١)
جديدة ، تلد الأحياء إذ تلد^(٢)
والحسن محتشد ، والروح مرتشد^(٣)
يفض لكفيك منه كنزه اللبد^(٤)
وفرًا ، ويعجزك الإحصاء والعبد^(٥)

* * *

غنى الأولى ، وغنى الآخرون بها
لأنوا حلاوة ما استخلدوا مذاقته
ترن في لهوات الصادحين بها
جرس من النغم العلوي ، شاهده
إخشع مليًا له إذ أنت تسمعه
واسمعه في نغم الأشعار توقعه
وامسك ذماعتك أن يودى الهيام به
أى اللغات لها محسول غنتها ،

مستغربين كما يستعذب الشهيد^(٦)
منها ، وأغرتهم اللذات فاحتفدوا^(٧)
كأنها زجل جاشت به كببد
هذا البيان الذى توحى وينعقد
من السلاوة والآيات تطرد
كأنه لقطات الرقص أو غرد
من حيث يسكرك الإرنان إذ تجدد^(٨)
أو رقص إيقاعها ، أو ركزها الفرد ؟

* * *

(١) ريق كل شيء : أفضله ، وريق الشباب : أوله .

(٢) الجديدان : الليل والنهار - اختلفا : ترددا .

(٣) ارتاد : اهتز نعمة .

(٤) الإبريز : ذهب إبريز خالص - اللبد : الكثير .

(٥) الصنو : الشقيق .

(٦) الأولى : الأوائل .

(٧) احتفدوا : خفوا وأسرعوا فى العمل .

(٨) الذمء : بقية النفس ، أو قوة القلب - تجدد : تعجب .

يا دينَ قلبي منها! والهوى قَدِ مَرُّ ،
لَجَّ الهوى بنمؤادى لا هُدُوءَ لَهُ ،
إِنِّي خَشَعْتُ لصوت الله ، ثُمَّ لَهَا
هَامَ الفؤاد بها حُبًّا ، وَلَا عَجَبٌ
مَنْ دَرَّهَا إِلَى إِرْوَاءٍ إِذَا ظَمَّتْ
أَيْلَى .. عُمُرِي وَعَيْشِي فِي صَبَابَتِهَا ،
نَدِيمَتِي ، وَالْهَوَى مَا بَيْنَنَا رَحِمٌ ،
وَسِرُّنَا هُوَ سِرُّ اللَّهِ .. آَلَفْنَا
أَظْلُ عُمُرِي مَوْصُولًا بِمَهْجَتِهَا
فِيحَاءُ ، كَ (الْخُلْدِ) فِي نَعْمَائِهَا ، وَأَنَا
أَذُودُ عَنْ كَرَمِهَا الطَّرَاقَ مَحْمِيَّةً ،
النَّاشِزِينَ ذَوِي الْعَاهَاتِ مَنْ نَغَلُّوا
لَا يَنْفَعُ الْبُطْلَ إِزْرَاءُ وَلَا لَدَدٌ

وخاف في بيهاء الحُسنِ مُتَّحِدٌ !^(١)
يا بَرْدَهُ ، وَهُوَ يَشْوِينِي وَيَفْتَتِدُ !^(٢)
وَمِنْهُ كَوَثَرُهَا وَاللَّصْفُ وَالْغَيْدُ^(٣)
هِيَ الْحَيَاةُ ، وَلِي مِنْ وَصَالِهَا صَفْدُ^(٤)
رُوحِي ، وَمَنْ دَرَّهَا الْمَنْشُورُ لِي مَدَرٌ
وَسِحْرُهَا هُوَ فِي قَلْبِي الَّذِي أَجِدُ
يُنَاسِمُ الرُّوحَ مِنْ أَنْفَاسِهَا رَشْدُ^(٥)
عَلَى الْحُنُوءِ ، نُنَاغِيهِ فَنَرْتَشِدُ^(٦)
وَلَنْ أَفَارِقَهَا أَوْ يَهْلِكَ الْجَسَدُ !^(٧)
(رِضْوَانُ) حَافِظُهَا الْمُسْتَأْمَنُ النَّجْدُ^(٨)
وَمَذُودِي الصَّارِمِ الْقِرْضَابِ مُنْجَرِدُ
ضِغْنًا عَلَى (العرب) لَمْ يَصْفَأْهُ وَقَدْ^(٩)
نَعَمْ ، وَقَدْ خَسَأَ الْإِزْرَاءُ وَاللَّدَدُ^(١٠)

* * *

أَقُولُ لِلْحَاقِدِ الْمَأْفُونِ مَنَزَعَهُ ،
الكَارِهِ الْحُسْنِ فِي (الفصحى) وَدَوَّلَتِهَا

وَاللَّعِي الَّذِي أَقْلَامُهُ قِصْدُ ،^(١٠)
وَجَهْدُهُ لَخْبِيثِ الْقَصْدِ مُحْتَشِدُ :

(١) يا دين قلبي منها : معناه يا داء قلبي القديم من حبها .

(٢) يفتتد : يشوى في النار .

(٣) الغيد : لين الأعطاف .

(٤) الصفد : العطاء .

(٥) نرتشد : نهتز نعمة .

(٦) أو يهلك : إلى أن يهلك .

(٧) النجد : الشجاع الماضي فيما يعجز غيره .

(٨) نغل : ضغن ، أى حقد - الوقد ، بفتحيتين : النار وانقادها .

(٩) أزرى به إزراء : أدخل عليه عيباً أو أمراً يريد أن يتلبس عليه به - اللدد : الخصومة .

(١٠) قصد : قطع متكسرة .

إِقْنِ الحَيَاءَ إِذَا مَا كُنْتَ مَالِكُهُ ،
 مَرَمَاكَ مُنْتَضِحِ الْغَايَاتِ مِنْكَشَفُ
 مُلْقِي بِكَ مَخَانِئًا إِلَى إِرَةِ
 مَا أَنْتَ فِي هَائِجِ الْأَمْوَاجِ مُصْطَخِبِ ؟
 الْأُمَّةُ الْوَسْطُ الشَّمَاءُ جَائِشَةُ ،
 هَوَى (العروبة) فِي تَوْحِيدِ دَوْلَتِهَا ،
 هِيَ الرِّبَاطُ ، وَ (وَخَى اللَّهَ) يُوثِقُهَا
 لِسَانِ أَرْفَعِ (تَنْزِيلِ) وَأَكْمَلِهِ
 رَفَّتْ عَلَى قُنَنِ الْأَطْوَادِ رَايَتُهُ ،
 وَدَوَّتِ (الْآيِ) فِي أَرْجَاءِ دَوْلَتِهِ
 تَهَزُّ أَشْدَّ بَاحِ نَوْمٍ فَتَوْقُظُهَا
 فَطَاطُتْ سُجَّدًا هَامَاتٌ مَنْ فَقَّهُوا
 دَانُوا لَهَا خُشْعًا ، حَاسِينَ مِنْ يَدِهَا
 يَا مِنَّةَ (الضَّادِ) ، مَا أَسْنَى فَوَاضِلُهَا !

* * *

حَبِيبَةُ (الضَّادِ) فِي الدُّنْيَا ! وَهَلْ أَحَدٌ
 (كِتَانَةُ اللَّهِ) .. فِيهَا أُمَّةٌ (عَرَبٌ)

وَمُتْ بِغَيْظِكَ ، وَلْيَذْهَبْ بِكَ الْحَرْدُ^(١)
 نَعَمْ ، وَمِنْكَسِفُ خَزْيَانٍ مِنْفَرْدُ
 يَحْفُكُ الْأَسْوَانَ : اللَّعْنُ وَاللَّيْكَدُ^(٢)
 وَمَا قَدْ ذَاةٌ تَحْدَاهُ وَتَتَعَدُّ ؟^(٣)
 وَالرَّكْبُ مِنْطَلِقُ ، وَالْحَدُّ مُتَّحِدُ
 وَ (دَوْلَةُ اللُّغَةِ الْفَصْحَى) هِيَ السَّنْدُ
 وَالْعَقْلُ وَالْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ وَالرَّشْدُ
 شَادَ الْحَضَارَةَ ، وَاسْتَذَرَى بِهِ الْخَلْدُ^(٤)
 وَاسْتَمَجَدَ السَّهْلُ مِنْ عَلَيْهِ وَالْجَلْدُ^(٥)
 مُرْجِعُ اتُّ لَهَا الْآفَاقُ وَالصُّعْدُ^(٦)
 وَتَبَعَثَ السَّاكِنَ الْخَاوِي فِيحْتَشِدُ^(٧)
 وَهَادَ مَنْ طَاطَوْوا عُجْبًا وَمَنْ سَجَدُوا^(٨)
 مَا يَعَصِرُ الْوَرْدُ ، لَا مَا يَقْدِفُ الزَّبْدُ
 وَكَمْ أَفَاعَتْ عَلَى الدُّنْيَا ! وَكَمْ تَعِدُ !

لَمْ يَذَرِ مَنْ هِيَ تَهْوَاهُ وَتَقْتَفِدُ ؟
 ثُمَّ الْأَنْوَفُ أَبَاةٌ سَادَةٌ نُجْدُ^(٩)

(١) اقن الحياء : إلزمه - الحرد : الغضب .

(٢) اللكد : الضرب والدفع .

(٣) تتعد : تتوعد وتهدد .

(٤) استذرى به : التجأ إليه وصار في كنفه .

(٥) الجلد : الأرض الصلبة المستوية المتن .

(٦) الصعد : جمع الصعيد .

(٧) يحتشد : يجتمع لأمر واحد .

(٨) هاد : رجع إلى الحق .

(٩) نجد : شجيمان .

هنا.. هنا حيث جرس (الضاد) مُتَبَرِّجٌ
 حيثُ الْقِنَى والقَنَا والجُرْدُ ضَامِرَةٌ ،
 حيثُ العَرَانِينُ والأَحْسَابُ فِي دَمِيمٍ
 الحَافِظُونَ حَقُوقَ (الضادِ) وَهِيَ دَمٌ
 خَيْرُ الْوَدَائِعِ فِي الْأَعْنَاقِ ، يَحْفَظُهَا
 تَحْفَى بِهِ السَّادَةُ الْأَحْرَارُ وَالْمَجْدُ (١)
 وَالسَّيْفُ وَالْعِزُّ ، وَالْعَلِيَاءُ وَالصَّيْدُ (٢)
 مَالِحِمٌ وَبَطُولَاتٌ وَمُعْتَصِدٌ
 زَاكِ ، وَمُنْتَسِبٌ حُرٌّ ، وَمُعْتَقِدٌ
 خَيْرُ الْبَنِينَ ، وَصَدَقَ الْحُبُّ ، وَالْعَدَدُ

* * *

أ (مَجْمَعُ الضَّادِ) ! إِنَّ (الضَّادَ) جَامِعَةٌ
 و (الضَّادُ) حَرْفٌ كَرِيمٌ ، نَحْنُ صَوْرَتُهُ
 شَيْدُ عَالَةٍ ، وَوَائِكِبُ أُمَّةٍ نَهَضَتْ
 لَا أَسْتَجِيشُكَ .. قَدْ عَالَيْتَ مُطْلَعًا
 خَمْسُونَ .. قَدْ حَفَلْتَ مِنْ كُلِّ مُشْرِقٍ
 يَا مَالئًا هَذِهِ الدُّنْيَا وَشَاغِلَهَا
 تُوَحِّدُ السَّبِيلَ (لِلتَّوْحِيدِ) لَا بَدَدُ
 و (الْعُرْبُ) ظُئِّرَ لِبَانِي ظُهُرِهَا وَيَدُ (٣)
 وَنَحْنُ مَعْنَاهُ وَالْأَرْحَامُ وَالْبَلَدُ
 إِنَّ الْأَصِيلَ إِلَى عَلِيَّائِهِ يَفِيدُ
 جَهْدًا ، وَصَاحِبَكَ الْإِبْدَاعُ وَالسَّدَدُ (٤)
 بِالطَّيِّبَاتِ ، فَطَابَ الزَّادُ وَالزُّبْدُ
 سَارَتْ بِأَثَارِكَ الرُّكْبَانُ وَالْبُرْدُ
 يَظَلُّ فِيهَا ، وَلَا زَيْغٌ ، وَلَا أَوْدُ (٥)

* * *

يَانُعَمَ عَيْنِي لَوْ أَحْيَا إِلَى أَمَدٍ
 فَأَشْهَدَ (الْعَلَمَ الْخَفَّاقِ) مُزْدَهِيًا
 يُرِينِي (الْوَحْدَةَ الْكُبْرَى) وَمَا تَلِيدُ
 يُعَانِقُ الْأَفْقَ مِنْهُ مَشْهَدٌ وَسَحْدُ

(١) المجد : الماجدون .

(٢) القنى : جمع القنية ، وهى ما يكتسب - القنا : الرماح ، والمراد القوة - الصيد : الكبر .

(٣) الظئر (الأولى) : المرضعة ، والظئر (الثانية) : الركن والدعامة .

(٤) السدد : الصواب ، كالسداد .

(٥) البدد : المتفرق - الزيغ : الانحراف - الأود : الموج .

وَأُبْصِرَ (الشَّمْلَ) والعلياء تُحْضِنُهُ
و (عِزَّة) وَهُوَ مرهوب السُّطَا صَعَدُ (١)
و (الأَرْضَ) قد عمرت، و (السِّنَّ) قد ضحككت
و (الخَيْرَ) قد فاض و (الأملاء) قد سعلوا (٢)

يا يومى الحاضر الماضى ! ألا عِدَّةٌ

بطيّب ؟ إنَّ عِيدى أن يطيبَ غَدُ

محمد بهجة الأثرى

عضو المجمع من العراق

(١) صعد ، بفتحيتين : شديد .

(٢) الأملاء : الجماعات .

تحية المجمع

للاستاذ عبد الله الطيب

عَنْ أَلْوَزْنٍ مَا أَنَا بِالْأَبْقِ
فَعِنْدِي مِنْ حَرِّ تَبْرِ الْقَرِيضِ
أُعَارِيضُ عِلْمَ عَرُوضِ الْخَلِيلِ
وَسَاغَ لَدَيَّ الرُّوْيُ الرِّصِينِ
وَمِنْ كَلِمِ الْجَاظِ الْعُرْبُ جَاءَتْ
فَلَسْتُ بِمَصْغٍ إِلَى قَائِلِينَ
أَلَا إِنَّ أَوْزَانَ هَذَا الْقَرِيضِ
وَقَفْتُ عَلَى طَلْلِ الْحَبِيبِ
أَلَمْ يَبِ الطِّيفُ طِيفَ الْحَبِيبِ
تَذَكَّرْتُ إِذْ هَبَّ ذَاكَ النَّسِيمُ
وَإِذْ يَبْسُمُ الْبَرْقُ مِنْ ثَغْرِهَا
وَإِذْ أَنْتَ فِي عَنفَوَانِ الشَّبَابِ
تَصْرُمُ ذَاكَ الشَّبَابِ الْعَجِيبِ
وَصَرْنَا إِلَى الْخَطَوَاتِ اللَّزَائِ
تَذَكَّرْتُ صَفْوِ وَدَادِ الْحَسَا
هُوَ الدَّهْرُ بَدَلٌ بَعْدَ الْحَلَاوِ
وَجَرَّعْنَا بِمَسْرُورِ السَّنِينِ
وَهَاتِيكَ مِنْ لَهَنَوَاتِ الزَّمَا
أَخَا الشَّعْرِ عِنْدَكَ أَنْغَامُهُ
تَجَنَّبْنَهُنَّ الْحَدِيثَ الْخَبِيثَ
وَهَذَا الَّذِي شَاعَ مِنْ نَظْمِهِمْ

أَعْلَلُ بِالْبَهْرِجِ النَّافِقِ
ثَقَائِلُ يَا صَاحِبَ الدَّانِقِ
وَأَضْرِبُ إِيقَاعَهُ بِالْحَاذِقِ
وَكَائِنٌ بِهِ الْآنَ مِنْ شَارِقِ
مِنْ الشَّعْرِ بِالْمَعْجَزِ الْخَارِقِ
بِذَا الْعَبَثِ الْغَثُّ أَوْتَائِقِ
وَرَنَاتِهِ حَبُّهَا عَالِقِ
وَلِي عِبْرَةٌ حَرَهَا خَانِقِ
الَّذِي كَانَ فِيمَا مَضَى شَائِقِ
وَإِذْ هِيَ كَالْمَزْنَةِ الْفَارِقِ
وَإِذْ هِيَ كَالْقَمَرِ الشَّارِقِ
وَفُودَاكَ جَوْنَانِ لِلرَّامِقِ
فَأُفٍّ لَذَا الشَّيْبِ مِنْ سَارِقِ
تَعَثَّرْنَا بَعْدَ الْمَدَى الْوَائِقِ
نَ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ السَّابِقِ
طَعْمَ الْمَرَارَةِ لِلذَّائِقِ
تَجَارِبُ حَادِثُهَا الطَّارِقِ
نَ عَادَةُ كُلِّكُلِهِ السَّاحِقِ
يُوَافِقُنِ بِالْحَسَنِ الرَّائِقِ
بِمَنْكَرِ كَوْدِنِهِ النَّهَائِقِ
تَطِيرَتْ مِنْ طَيْرِهِ النَّهَائِقِ

بتفعية عاقدا بردها
هـ لم إلى بيان الجزال
وعد عن العدو خلف السراب
وعمك إذ شئت من أذرع
وشاهده الطيبون الكرام
أحييكم مجمع الخالدين
أحييكم مجمع الخالدين
طربت إلى مجلس زانه
من القاصرات لطرف الحياء
يفوح بريحانة طيبها
هي الضماد أفصح ما بينت
أطافت بها عصب قد تدب
تدب لنا خمرًا والضراء
وأنتم بنو الضماد حراسها
رعى الله منصر ليلها المنار
ومن تحته النيل من جنة الخ
وفجره الله في أرضها
وهصر كنانته سهمها
يسدده يحنها المستك
وحرر سينات ساداتها
وما فتئت قبالة للعروب
فشهد المهيم من أزرها
ومد لها سبقها المستمر

ندى الريق في فمك الباسق
ة ذا الأسر والنفس الصادق
إلى العد ذي نخلك الباسق
بيشرب في ضوئه البارق
أولو العلم والأدب الفائق
تحية قلب لكم وامق
بمصر بصرحكم السامق
تبليج حورية عاتق
فحزن بذاك هو العاشق
وروح هو الروح للعاشق
به كلمات امرئ ناطق
بكيد الشعوبية الحائق
بأحقاد طاغوتها الفاسق
نصرتهم من الباطل الزاهق
يشع على طودها الشاهق
لمد يجرى بتمياره الدافق
فدل على نعمة الخالق
مصيب العدو لنا الراشق
ن في أم مذكاريه النائق
بسيف لرأس العدا فائق
ة رغم المراوغ والمارق
وكب أولى الزيغ من حائق
بشأو يعز على اللاحق

عبد الله الطيب

عضو المجمع من السودان

الإعلام واللغة الإعلامية

للأستاذ منير البعلبكي

تمهيد :

إعلام

(هـ) مرحلة الإذاعة

١- ماهيته

(و) مرحلة التلفزة

٢- مراحل تطوره :

٣- أهميته ومستقبله

(أ) مرحلة التصوير

اللغة الإعلامية

(ب) مرحلة الكتابة

١- طبيعتها ومزاياها

(ج) مرحلة الطباعة

٢- لغة الصحافة

(د) مرحلة الصحافة

٣- لغة الإذاعة والتلفزة

الاعلام واللغة الاعلامية

تمهيد

يُجمع الباحثون ، أو يكادون . على أن الإعلام هو سمة العصر الحديث وطابعه المميز .

وإنما يتجلى ذلك أحسن ما يكون التجلى . في الصفة الحوارية التي تطبع عملية الإعلام في يوم الناس هذا . « فالإعلام هو الآن أكثر منه في أي وقت مضى . حوار في الصحيفة بين المحرّر والقارئ . وحوار في الراديو بين المذيع والمستمع . وحوار في التليفزيون بين الممثل والمشاهد . وحوار في الجهاز الإلكتروني بين دماغ الجهاز ودماغ الإنسان^(٢) .

وهم ينزعون اليوم . أكثر فأكثر إلى إحلال مصطلح « التواصل »^(١) أو « التواصل الإعلامي » محل مصطلح « الإعلام » لأن منهجية الإعلام الحديث تتخطى مجرد إبلاغ الخبير من طرف واحد لتجعل من العملية الإعلامية ضرباً من التبادل والتفاعل يشترك فيه اثنان : المبلّغ والمبلّغ ، المُخبر والمُخبر^(٢) . وبكلمة أخرى لتجعل من هذه

(١) يستخدم معظم المؤلفين في حقل الإعلام لفظ «الإتصال» بدلا من لفظ «الإعلام» وعندنا أنهم لا يضيفون بذلك إلى معنى الإعلام أي بعد جديد . لأن «الإتصال» كالإعلام . عملية من جانب واحد ، و «التواصل» هو اللفظ الماهر تعبيراً صحيحاً عما يقصدون إليه ، كما سنرى .

(٢) الدكتور حسن صعب ، إعجاز التواصل - الحضارى الإعلامى ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٤ ، الصفحة ١٢٠ - ١٢١ .

(٣) المصدر نفسه ، الصفحة ٨٥ - ٧٦ .

الإعلام

١ - ماهيته :

ولكن ما هو الإعلام ؟

الإعلام ، أو التواصل ، هو في أبسط معانيه نقل الخاطرة أو الفكرة أو الرأي أو المعلومة أو النبأ من شخص إلى آخر ومن مكان إلى مكان . أو قل هو إشراك الآخرين والاشتراك معهم في المعلومات والأفكار .

والإعلام بهذا المعنى موغل في القدم . ولقد غالى بعضهم في التأكيد على قدميته فذهب إلى القول إنه ظاهرة عادية عرفت لها كل المجتمعات منذ قالت حواء لآدم « طيبة هذه التفاحة » ، وإنه كان ينتقل بصورة فطرية بين الناس من شفة إلى أذن . . . وذلك من طريق المصادفة حيناً ، ومن طريق التجربة الشخصية حيناً ، ومن طريق الرواة والنقلة أو عن طريق التواتر في أكثر الأحيان ^(١) .

والحق أن الإعلام لا يعدو أن يكون كما يقول الدكتور عبد العزيز شرف ، عملية ترمز ^(٢) ذلك بأنه يقتضى وجود مصدر يرسل الرمز بوسيلة من الوسائل ، ووجود مستقبل يعمل على حل الرمز وتفسيره ، ثم يبعث برجعه أو صده إلى المصدر ، وهكذا . . .

والرمز قد يكون إشارة أو راية ، وقد يكون حركة أو نغمة ، وقد يكون طبلاً يُقرع أو ناراً تُضرم ، وقد يكون رسماً في كهف من الكهوف أو حرفاً من الحروف . وكل هذه هي في حقيقتها « لغات » استعان بها الإنسان - وهو مخلوق تواصل بطبيعته - على تحقيق تواصلاته والعمل على تطويرها وتوسيع مداها لتصبح امتداداً للكلمة المنطوقة أو للغة بمعناها المتعارف عليه . ومن هنا جاز القول إن اللغة هي « القاسم » المشترك الأعظم بين مختلف عناصر

(١) الدكتور انيس مسلم ، وسائل الإعلام بين الرأي العام والإرادة الشعبية ، التعاونية اللبنانية للتأليف والنشر ، الطبعة الأولى ، جونية ، لبنان ، ١٩٨٥ ، ١٤ - ١٥ .

(٢) الدكتور عبد العزيز شرف ، المدخل إلى وسائل الإعلام ، دار الكتاب المصري ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٠ ، الصفحة ٧٩ .

العملية الإعلامية من مرسل ، ومستقبل ،
ورسالة ، ووسيلة اتصال ^(١) .

٢ - مراحل تطوره :

(أ) مرحلة التصوير :

١- يُعتبر اهتمام الإنسان البدائي إلى
الرسم أول معلّم بارز على طريق التطور
الإعلامي أو التواصل . ذلك بأنّه
استطاع بهذه الوسيلة المستحدثة أن
يسجّل مخاطراته وانطباعاته وخلجات
فؤاده وحكاية عصره كلها على جدران
الغاور التي اتخذها منازل له قبل بزوغ
فجر التاريخ المدوّن بآلاف من السنين
مؤلفة . يدلّك على ذلك أن علماء الآثار
اكتشفوا ، عام ١٩٤٠ ، في لاسكو
Lascaux في الجزء الجنوبي
الغربي من فرنسا مجموعة من الكهوف
تشتمل على رسوم جدارية ترقى إلى
حوالي العام ١٨٠٠٠ قبل الميلاد ،
وهي تصوّر حيوانات مختلفة ومشاهد

رائعة أبدعها الإنسان القديم في ظلمة
الكهف الدامسة ، وعلى ضوء مصابيح
شاحبة قوامها بعض الطحالب المغموسة
في الدهن ^(٢) .

وفي عهد الفراعنة ابتكر المصريون
وسيلة تواصل لغوية رائدة قوامها
مجموعة من الرموز التصويرية عُرفت
بالحيروغليفية . ولقد اتخذت هذه
الرموز شكل أشخاص حيناً وأشكال
حيوانات أو أشياء حيناً آخر ، وكان
كل رمز منها يشلّ كلمة أو مقطعاً أو
صوتاً ، ومن هنا اعتدّها العلماء ابتكاراً
مهّداً للسبيل لاختراع الأبجدية ^(٣)

ليس هذا فحسب ، بل لقد غنى
قدامى المصريين في الوقت نفسه بتصوير
مظاهر حياتهم ، على جدران المقابر
المحيطة بالأهرام . تصويراً بارعاً يخيل
معه لزائرها ، كما قال المؤرخ الشهير
جيسس هنري بريستد ، وكأنّ الزمن

(١) المصدر نفسه الصفحة ٧٩ .

(٢) منير البعلبكي ، موسوعة المورد ، المجلد الثاني ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠

الصفحة ١٩٣ .

(٣) منير البعلبكي ، المصدر السابق ، المجلد الأول ، الصفحة ٨٦ .

قد رجع به القهقري فهو يجوس
خلال بيوت المصريين القدامى ويتجول
في بلاد وادى النيل لحظة كان أهلوه
يبتون تلك الأهرام العظيمة^(١) .

وبذلك يكون الإعلام ، على حد
تعبير الدكتور عبد العزيز شرف ،
قد « بدأ مصوراً »^(٢) . وإذا أخذنا
بعين الاعتبار ما حققه الإعلام في
عهد التلفزة والأقمار الصناعية من
انتصارات باهرة جاز لنا أن نضيف
إلى هذه الملاحظة الصائبة قولنا « وانتهى
مصوراً » .

وبذلك أيضا يكون الإعلام قد عرف
ثورته الأولى ، وهي ثورة كان سلاحها
الرسم .

(ب) مرحلة الكتابة :

أما مرحلة التطور الإعلامى الثانية
فهي مرحلة الكتابة التى بدأت مع اختراع
الحرف . وإنما يُعزى الفضل فى هذا
الاختراع إلى الفينيقيين الذين طوروا

الهيروغليفية المصرية ، وابتكروا حوالى
العام ١٤٠٠ قبل الميلاد ، أبجدية فذة
قَصَرُوها على عدد محدود من الرموز .
أو الحروف ، التى يمثل كل منها صوتا
بسيطا . ومن العلماء من يعتقد أن
الأبجدية الفينيقية نشأت من محاولات
أبجدية سامية أبرزها الكتابة المعروفة
بالسبائية الأم Proto - Sinaic
التي ترجع إلى منتصف القرن الثانى
قبل الميلاد .

وأيا ما كان ، فليس من شك فى أن
اختراع الأبجدية قد مكّن الإنسان من
اختزان المعلومات والمعارف ونقلها إلى
الأجيال المتعاقبة ، مستعيناً على ذلك
بالنقش على الطين والحجر والخشب
أولاً ، ثم بالتدوين على ورق البردى
والرقوق ، ثم بالكتابة على الورق آخر
الأمر . ولعل أعظم ثمرة من ثمرات هذا
التطور ظهور « الكتاب » بوصفه وعاء
للمعرفة ، وأداة للتثقيف ، ووسيلة
لنشر الفكر الإنسانى على مستوى العالم

(١) الدكتور عبد العزيز شرف ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ٧٦ والصفحة ٩٦ .

(٢) المصدر نفسه ، الصفحة ٢٩٩ .

كله ، من غير اعتبار لقيود الزمان أو المكان . وفي هذا الصدد يقول مرشال ماكلوهان Marshall McLuhan إن الكتاب قد أسهم في خلق الروح الوطنية ، وتحرير كثير من القوى الإجتماعية ، وساعد على تعميم التعليم وتطوير الصناعة والتجارة .^(١)

وبذلك يكون الإعلام قد عرف ثورته الثانية ، وهي ثورة كان سلاحها الحرف .

(ج) مرحلة الطباعة :

يُعتبر نشوء الطباعة المرحلة الثالثة من مراحل التطور الإعلامي . وإنما كان ذلك ، أول ما كان - وتلك حقيقة تغفل عنها أقلام الكثرة الكاثرة من الباحثين - في القرن الثاني للميلاد عندما شرع الصينيون ينقشون النصوص الدينية على الحجر ثم يحبّرون السطوح المرتفعة ويأخذون عنها عددًا من الطباعات impressions

. حتى إذا أطلَّ القرن السادس للميلاد عرفوا الرواسم أو الكليشييهات الخشبية . ولعل أقدم أثر مطبوع بهذه الطريقة كان صلاة بوذية طُبعت على رَوسم خشبي حوالي العام ٧٧٠ للميلاد .^(٢)

هذا بالمعنى التاريخي للمصطلح ، إذا جاز التعبير . أما الطباعة بمعناها المتعارف عليه اليوم فقد وُلدت على يدي جوهان غوتنبرغ الذي اخترع الطباعة بالحروف المنفصلة في ما بين عام ١٤٣٦ وعام ١٤٣٨ . ومنذئذ انتشرت هذه الطريقة المستحدثة في أوروبا وشاع استخدامها بعد ذلك في أرجاء العالم كله .

وتُعتبر مطبعة بولاق التي أنشأها محمد علي باشا في مصر ، عام ١٨٢١^(٣) أعظم المطابع الرائدة في الوطن العربي ، وكانت قد سبقتها إلى الظهور مطبعة

(١) الدكتور أنيس مسلم ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٢٢ - ٢٣ .

(٢) منير البعلبكي ، المصدر الذي سبق ذكره ، المجلد الثامن ، الصفحة ٨٢ .

(٣) أحمد سحنون الزيات ، تاريخ الأدب العربي ، دار الثقافة ، بيروت الطبعة السادسة والعشرون ، الصفحة

المعارف على نطاق واسع لم يكن للإنسان عهد به من قبل .

وهكذا تحققت ديمقراطية الثقافة بعد أن أصبحت في متناول الناس على اختلاف طبقاتهم ولم تعد وقفاً على فئة منهم صغيرة . هذا على المستوى العالمى . أما فى أوروبا ، مهد الآلة الطباعية ، فقد أدى « نمو صناعة الكتب وازدهار تجارتها وتكاثر عدد مؤسسات الطباعة إلى ضعف احتكار الكنيسة والأديرة للمعرفة والعلوم مما جعل الطريق ممهداً أمام حركة الإصلاح الدينى »^(٥) .

وبذلك يكون الإعلام قد عرف وربه الثالثة ، وهى ثورة كان سلاحها الآلة الطباعة .

أوروبية أنشئت فى « فانو » من أعمال إيطاليا ، برعاية من الكنيسة الكاثوليكية ، ولايزال لدينا من إصدارها كتاب صلاة يرجع تاريخ طبعه إلى العام ١٥١٤^(١) ، ومطبعة ديرمار يوحنا الصابغ التى أنشأها فى الشوير الراهب اللبنانى عبد الله الزاخر المتوفى عام ١٧٤٨^(٢) والمطبعة التى نهبها نابليون بونابرت من الفاتيكان وحملها معه إلى القاهرة عام ١٧٩٨^(٣)

ولقد كان من آثار اختراع الآلة الطباعة انخفاض فى كلفة إنتاج الكتاب ، وتكاثر فى عدد النسخ المتداولة من الكتاب الواحد « وانتقال هذا العدد من مقام العشرات والمئات إلى مقام الآلاف والملايين »^(٤) ، وتوسع فى إنشاء المدارس ودور التعليم ، وتسارع فى انتشار

(١) فيليب حتى وأدورد جرجى وجبرائيل جبور ، تاريخ العرب ، دار غندور ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، ١٩٧٤ ، الصفحة ٨٤٦ .

(٢) رؤيف خورى ، التعريف فى الأدب العربى ، لجنة التأليف المدرسى ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٦٢ ، الصفحة ٤٤٦ .

(٣) فيليب حتى وأدورد جرجى وجبرائيل جبور المصدر الذى سبق ذكره الصفحة ٨٤٣ .

(٤) الدكتور محمد أحمد خضر ، مطالعات فى الإعلام ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٨٧ ، الصفحة ١١٧ (لا ذكر لمكان الطبع) .

(٥) الدكتور عصام سليمان عيسى « تاريخ الإتصال ووسائله » مجلة الدراسات الإعلامية العدد ٣٨ دمشق ١٩٨٧ ، الصفحة ١٤ .

(د) مرحلة الصحافة :

الصحافة . في الأساس ، صناعة جمع الأنباء ، وإبداء الرأي فيها ، وتقديمها إلى الناس بطريقة تعتمد اعتماداً كبيراً على الصورة الممثلة للحدث ، وذلك على صفحات نشرة بخسة الثمن يومية الصدور في الأعم الأغلب . وقد اتسع مفهوم الصحافة في العصر الحديث فأخذت الصحف اليومية تُعنى ، إلى جانب الأخبار ، بأشياء أخرى غير الأخبار ، فأفردت زوايا من صفحاتها ، أو صفحات كاملة منها ، للمقالات الإقتصادية والإجتماعية والدينية والفلسفية والتاريخية والأدبية والعلمية والنقدية والفنية والرياضية وغيرها ، وعُنيت فضلاً عن هذا بالتعليق على الأحداث وبإجراء ما يُعرف بـ « الحديث الصحفي » و « التحقيق الصحفي » وما إليهما . ولكن العنصر الأبرز في الصحيفة اليومية يظل برغم ذلك عنصر الخبر .^(١)

والصحف ليست كلها يومية . فهناك صحف تصدر أسبوعياً ، وصحف تصدر

شهرياً ، وأخرى تصدر فصلياً . وهذه هي المجلات .

والمجلات بعضها ثقافي عام يحمل إلى قرائه قصصاً وقصائد ومقالات سياسية أو أدبية أو اجتماعية أو علمية مدروسة وموثقة وطويلة النفس عادة . وبعضها مقصور على حقل من حقول المعرفة فهو لا يقدم إلى قرائه غير المقالات والبحوث الداخلة في نطاق تخصصه .

ومهما يكن من أمر ، فقد كان نقل الأخبار يتم . منذ أقدم العصور ، من طريق الشفة أو من طريق المراسلة ، حتى إذا اخترعت الآلة الطباعة في القرن الخامس عشر غدا نقل الأخبار وقفاً على الصحف في المقام الأول . وإذا كان من المرجح أن تكون أول نشرة إخبارية مطبوعة قد ظهرت عام ١٤٥٧ للميلاد فإن الإجماع منعقد على أن صحيفة فرانكفورت جورنال Frakfurter

Journal التي صدرت عام ١٦١٥ ، وكانت أسبوعية ، هي أولى الصحف

الأوروبية العصرية ، وأن صحيفة «ويكلي نيوز» Weekly News التي صدرت عام ١٦٢٢ ، وكانت أسبوعية أيضا ، كما يدل على ذلك اسمها ، هي أولى الصحف الإنكليزية على الإطلاق . أما أولى الصحف العربية فكانت «الوقائع المصرية» التي أنشأها محمد علي باشا في القاهرة عام ١٨٢٨ .

والكلام على الصحافة لا يكتمل إلا إذا أشرنا ، ولو إشارة عابرة ، إلى وكالات الأنباء . ذلك بأن هذه الوكالات تقوم بجمع الأخبار التي تمس الصالح العام ، وتعمل على تزويد صحف العالم بأفضل سرد ممكن لأهم الأنباء الداخلية والخارجية ، ومن هنا اعتُبرت دعامة أساسية من دعائم الصحافة المعاصرة ، وجزءاً لا يتجزأ من بنيتها التحتية .

وبفضل وكالات الأنباء هذه ، وفضل التقدم المتسارع الذي حققته الطباعة والتطور المذهل الذي شهدته وسائل

التواصل السلوكية واللاسلكية والإلكترونية في السنوات الأخيرة تمكنت الصحافة من إحراز الانتصار تلو الانتصار سواء على صعيد التوزيع وسعة الانتشار ، أو على صعيد الإخبار والتثقيف ، أو على صعيد التوجيه والتنوير ، أو على صعيد الإمتاع والتساية ، أو على صعيد تكوين الرأي العام . ومن هنا أمست وسيلة الإعلام الجماهيرية الأولى ، وكان لها دور كبير في تعزيز ديمقراطية الثقافة .

والواقع أن الصحافة ، كما يقول الأستاذ عبد اللطيف حمزة ، هي «مرآة الأمة» ، ولسانها الناطق بأفكارها وآرائها ، ورغباتها وحاجاتها ، وآلامها وآمالها . وهي إحدى القوى ذات السلطان في دورة الحياة الحديثة ، ومن أجل ذلك عُدَّت السلطة الرابعة في الدولة ، «أي السلطة التي هي في حوزة جميع القوى

(١) منير البعلبكي ، المصدر السابق ، الصفحة ٢١ .

(٢) الدكتور حسن الحسن ، الدولة الحديثة إعلام واستعلام ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت

١٩٦٠ ، الصفحة ١٥٢ .

(٣) الدكتور محمد أحمد خضر ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٤٣٥ .

الصحف الكبرى تُطبع ، اليوم : بين قارة وأخرى من طريق التواصل الفضائي؟^(٤)

وبذلك يكون الإعلام قد عرف ثورته الرابعة . وهي ثورة كان سلاحها الجريدة والمجلة .

د) مرحلة الإذاعة :

وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين عرف العالم وسيلة إعلام جديدة نقلت التواصل من المرحلة المكتوبة إلى المرحلة المسموعة . وساعدت على « تصغير » العالم . إذا جاز التعبير ، وربط بعض أجزائه ببعضها الآخر . ولم تكن هذه الوسيلة الجديدة غير المذياع أو الراديو .

وإنما أنشئت أولى محطات الإذاعة . في العالم . في الولايات المتحدة الأمريكية ، عام ١٩٢٠ . ومنذئذ انتشرت هذه المحطات في مختلف الأقطار وأصبح

السياسية والتي تجسّد . إلى حدّ ما . كل القوى الشعبية التي تعتبر نفسها غير ممثلة بالسلطات الثلاث التقليدية : التشريعية والتنفيذية والقضائية^(١) .

ليس هذا فحسب . بل لقد ذهب برنارد فويين^٢ Voyerne إلى أبعد من ذلك فاعتدّها السلطة الأولى على اعتبار أنها تمثل تيارات الرأي . والرأي - وبخاصه في الأنظمة الديمقراطية - هو الذي يجسّد قيم المجتمع ويفرض ذاته على المجتمع . وعلى السلطتين التنفيذية والقضائية أيضاً^(٣) .

هذا ، وعن الصحيفة المطبعية انبثقت الصحيفة السينمائية ، والصحيفة الإذاعية ، والصحيفة التلفزيونية . ولن ينقضي غير وقت قصير حتى تصبح الصحيفة الإلكترونية في متناول الناس جميعاً^(٤) . وليس هذا بعجيب ألبتة . أما أصبحت بعض

(١) الدكتور أنيس مسلم ، المصدر الذي سبق ذكره . الصفحة ٢٢ .

(٢) المصدر السابق ، الصفحة ١٧٦ .

(٣) الدكتور حسن صعب ، المصدر الذي سبق ذكره . الصفحة ٢٢ .

(٤) المصدر السابق ، الصفحة ٢٥ .

المذياع وسيلة تواصل جماهيرية تنقل الصوت ، كلاماً كان أو نغمًا ، إلى ملايين المستمعين في كل مكان . حتى إذا اخترع الترانزستور غزت الإذاعة كل زاوية من زوايا الأرض ، وبخاصة في بلدان العالم الثالث ، وغدا في ميسور الناس أن يستمعوا إلى برامج الإذاعات المحلية والعالمية وهم في منازلهم أو في مكاتبهم أو في طريقهم إلى العمل أو خلال تنزههم في الحدائق العامة . . .

ليس هذا فحسب ، بل لقد حلّ المذياع في كثير من الأحوال محلّ الجرائد والمجلات ، سواء أكان ذلك على صعيد الإخبار أو على صعيد الإمتاع وإن لم يوفق إلى حمل الناس على الاستغناء عن الجريدة أو المجلة ، وكاد يحل محلّ الكتب كوسيلة تثقيف وتوعية .

والحق أن المذياع قد عمل على تعزيز ديمقراطية الثقافة التي انبثقت مع اختراع الطباعة ونشوء الصحافة ، وذلك

من خلال مراح يقدمه إلى مستمعيه ، على اختلاف طبقاتهم ، وبصرف النظر عن كونهم متعلمين أو أميين ، من أحاديث أدبية ودينية وعلمية ومن برامج ثقافية أو تعليمية ميسرة . ولعل هذا هو الذي حمل الدكتور طه حسين على اعتبار الإذاعة والتلفزة من العوامل التي تعوق الثقافة ، ودفعه إلى القول بأنّه كان يظن أن الراديو « سيكون أداة صالحة لنشر الثقافة والمعرفة في أعماق الشعوب فإذا به يؤدي إلى عكس ما كان يُرجى منه . ذلك لأن الإذاعة تزيد أن تصل إلى طبقات الشعب على اختلاف حظوظها من المعرفة ، وهي من أجل ذلك مضطرة إلى أن تصطنع اليسر والسهولة لتبلغ هذه الطبقات المختلفة التي تتفاوت حظوظها من المعرفة . وإذا اعتمدت الإذاعة على السهولة واليسر اضطرت إلى تجنب المعرفة الرفيعة والثقافة العميقة والواسعة » (١) .

وأياً ما كان فقد وُفِّقت الإذاعة إلى الفوز برضا الجماهير العريضة بفضل

هنا اليسر نفسه الذى يأخذه عليها
الدكتور طه حسين ، والذى لولاه لانفضّ
الناس من حولها كما ينفضون اليوم من
حول البحوث المعمّقة والكتب الموضوعة
لخاصة المثقفين دون عامتهم .

وبذلك يكون الإعلام قد عرف ثورته
الخامسة ، وهى ثورة كان سلاحها
الصوت .

(و) مرحلة التلفزة :

ولم ينقض على اختراع المذياع غير
ربع قرن حتى اخترعت ، فى ما بين
عام ١٩٢٣ وعام ١٩٢٤ وسيلة تواصل
جماعية جديدة عُرفت بالتلفزة . وقوامها
تحويل مشهد متحرك وما يرافقه من
أصوات إلى إشارات كهربائية ثم نقل
هذه الإشارات وإعادة تحويلها من طريق
جهاز الاستقبال إلى صورة مرئية مسموعة^(١) .
ومن هنا اعتُبرت خطوة على طريق الإعلام
متقدمة على المذياع أو الراديو ، إذ
جمعت بين الصوت الذى هو ميزة
الراديو وبين الصورة التى هى ميزة
السينما ، ومتقدمة على السينما أيضاً

لأنها عبارة عن شاشة سينمائية صغيرة
تقدّم إلى المرء ضروباً من الأفلام المشوّقة ،
فضلاً عن آخر أنباء العالم وصنوف
البرامج الثقيفية والترفيهية ، وهو
مسترخٍ فى منزله ، لا يغادره إلى دور
السينما كلما حلا له أن يشاهد ما يُعرض
على شاشاتها الكبيرة من ذلك كله .

وسرعان ما غزا التلفاز فى الأربعينات
من هذا القرن الكثرة الكاثرة من البيوت
وبعض المعاهد والمؤسسات فى كثير من
بلدان العالم وأصبح علامة فارقة تميّز
الحياة المعاصرة وضرورة لا يُستطاع تصوّر
المدينة بدونها .

وكما ظنّ ، فى بادئ الأمر ، أن
المذياع سوف يغنى الناس عن الجريدة أو
المجلة ثم قام الدليل على أنه أعجز من
ذلك فكذلك ظنّ فى أول عهد الناس
بالتلفزة أنها سوف تلغى الإذاعة أو تسدّ
مسدّها ، ولكنّ تعاقب الأيام مالِث
أن خيّب هذا الظن وأثبت أنه كان مجرد
وهم كبير .

(١) منير البعلبكي ، المصدر الذى سبق ذكره ، المجلد التاسع ، الصفحة ١٨٤ .

هذا ، وقد خطت التلفزة في السنوات القليلة الماضية ، بفضل التقدم التكنولوجي الحديث ، خطوات واسعة إلى الأمام ، فأصبح في إمكان الإعلاميين أن ينقلوا برامجهم التلفزيونية عبر الأقمار الصناعية. وأخذَ بلايين الأشخاص يشاهدون في ساعة واحدة ، وفي اللحظة عينها هبوط أول إنسان على سطح القمر ، ويحضرون الألعاب الأولمبية ، ويشاركون في اللقاء بين شخصيتين عالميتين في أي مكان من العالم^(١) .

وبذلك يكون الإعلام قد عرف ثورته السادسة ، وهي ثورة كان سلاحها الصوت والصورة .

٣ - أهميته ومستقبله :

تلك هي أبرز معالم التطور الإعلامي وأهم وسائله ، منذ العهود السابقة [للتاريخ المدون حتى الآن . فإذا أضفت إلى الوسائل التي تحدثنا عنها وسائل

أخرى لم يتسع مجال البحث للكلام عليها ، كالمنبر (الخطبة والمحاضرة والمناظرة) والمسرح والسينما والإعلان والعقل الإلكتروني أدركت أي مقام يحتله الإعلام في دنيا الناس ، وأيقنت أننا نعيش اليوم في عصر متميز هو «عصر الإعلام» بعد أن عشنا منذ إطلاق أولى المركبات الفضائية «عصر الفضاء»^(٢) .

وسواء أصبح هذا أم لم يصبح فإن الإجماع منعقد على أهمية الآثار التي أحدثها الإعلام في حياتنا المعاصرة ، وهو ما يتجلى لنا من قول مارشل ماكلوهان إن وسائل الإعلام قد جوّلت العالم إلى « قرية عالمية » صغيرة^(٣) ،

ومن نظر ريته الشهيرة التي ذهب فيها إلى القول إن كل وحدة إعلامية جديدة ، من تلك الوسائل التي أشرنا إليها ، هي امتداد تكنولوجي

(١) الدكتور حسن صعب ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٢٤ - ٢٥ .

(٢) الدكتور محمد حمد خضر ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ١٢٩ .

(٣) الدكتور عصام سليمان عيسى ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ١٨ .

لحاسة بعينها من حواس الإنسان :
«فالطباعة التي نشرت القراءة هي امتداد
لحاسة الإنسان البصرية ، والإياعة التي
عممت الصوت هي امتداد لحاسة الإنسان
السمعية ، والتلفزة التي اشاعت الصوت
والصورة معاً هي امتداد للحاستين البصرية
والسمعية ، والعقل الإلكتروني الحافظ
للمعلومات والمحلل لها هو امتداد لذاكرة
الإنسان وفكره» (١) .

ويتوقع الباحثون أن يشهد الإعلام،
عمماً قريب ، مستجدات جديدة بأن
تغير وجه الحياة الإنسانية . ومن هنا
قالوا إن التعليم في البيت سيحل محل
التعليم في المدرسة ، وإن عملية تكوين
العقول وإعدادها لمواجهة الحياة ستعود
مرة أخرى ، ولكن على مستوى أرفع
بكثير ، إلى المنزل ، وبذلك يمكن
الاستغناء عن التعليم النظامي الذي يتلقاه
الطلاب في المدارس على اختلافها (٢) ،
وقالوا أيضاً إن المنزل سوف يصبح

مركزاً إعلامياً ثنائياً التحرك ، فيتأق
ساكن المنزل الجريدة التي يريد ،
إلكترونياً أو تلفزيونياً ، ويتبادل الآراء
مع محرريها ، ويختار البرنامج التلفزيوني
أو الإذاعي الذي يفضل ، ويبعث
بالتعليقات الفورية إلى مخرج ذلك
البرنامج ، ويتسلم إلكترونياً صفحة
الكتاب التي يحتاج إليها من المكتبة
من غير أن يغادر منزله ، ويجري
مناقشة إلكترونية تلفزيونية مع جيرانه
وأعضاء ناديه وكل من هم ملازم داره ،
ويخاطب بجهاز هاتفي فضائي مخصوص
كل من يشاء وهو . شاهده وكأنه
جالس معه» (٣) .

وإذا اعتبرنا أن مراحل التقدم الإعلامي
ندتمت على نحو متسارع ، بمعنى أن
الفترة الزمنية الفاصلة بين المرحلة الأولى
(مرحلة التصوير) والمرحلة الثانية (مرحلة
الكتابة) قد نيفت على ستة عشر ألف

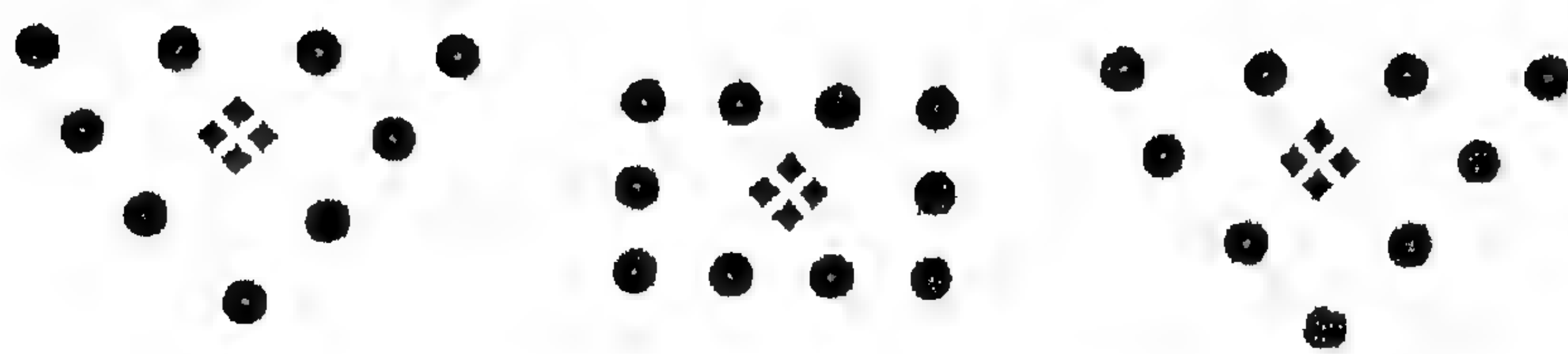
(١) الدكتور حسن صعب ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٧٠ .

(٢) الدكتور عبد العزيز شرف ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٢٧٣ .

(٣) الدكتور حسن صعب ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٧٦ .

عام ، وأن الفترة الزمنية الفاصلة بين
المرحلة الثانية والمرحلة الثالثة (مرحلة
الطباعة) بلغت نحواً من ثلاثة آلاف
عام ، في حين أن الفترة الزمنية الفاصلة
بين المرحلة الخامسة (مرحلة الإذاعة)
والمرحلة السادسة (مرحلة التلفزة) لم
تزد على ربع قرن . . . أقول إذا اعتبرنا

هذه الصفة التسارعية التي طبعت تاريخ
تطور الإعلام حقاً لنا أن نكون على مثل
اليقين لمن أن المستجدات المستقبلية التي
يتوقعها الباحثون سوف تصبح حقيقة
ملموسة بأسرع مما نتصور ، وربما خلال
سنوات معدودات لاتزيد على أصابع
اليدين .



اللغة الاعلامية

١ - طبيعتها ومزاياها :

إن مهمة الإعلامي ، سواء أكان صحافياً ،
أو إذاعياً أو مشغلاً في حقل التلفزة ،
تقتضيه أن يواجه الجمهور يوماً بعد
يوم ، ليطلع على أنباء الساعة ، أو
ليحلمها له ، أو ليبدى رأيه فيها .
وكثيراً ما تقتضيه مهمته النهوض بأعباء
أخرى كالإقناع والتوجيه والتثقيف ،
والتعبير عن موقف سياسي أو اجتماعي
أو عقائدي معين ، والعمل على تجسيد
آمال المجتمع وتطلعاته ، فضلاً عن
الإمتاع والمؤانسة وما إليهما .

وهذا الجمهور الذي يخاطبه الإعلامي
جمهور عريض تتفاوت أعمار أفراد
وحظوظهم من الثقافة والمعرفة . ففيه
الكبير وفيه الصغير ، وفيه الطالب
وفيه المعلم ، وفيه الأديب وفيه المهندس
والطبيب ، وفيه ذو الثقافة الرفيعة
وفيه نصف المثقف بل والأثني في بعض
الأحيان ، وكل من هؤلاء يتوقع أن
تكون الوسيلة الإعلامية « مفصلة على

قياسه » وأن ترتفع (أو أن تهبط) إلى
مستواه ، والإعلامي في حيرة من أمره .
وإذ كان من هم الإعلامي أن يوصل
« رسالته » إلى هؤلاء جميعاً ، وإذ
كانت لغة الإعلام لغة تواصل في المقام
الأول ، فقد تعين عليه أن يراعى
مختلف المستويات والمدارك ، فلا يقول
كلاماً يعجز بعض من جمهوره عن
فهمه ، ولا يصطنع بياناً يعجز بعضه
الآخر عن تذوقه . وهذا ما حمل الدكتور
إبراهيم إمام على القول إن الإعلامي
« مضطر إلى افتراض إنسان متوسط .
الثقافة يوجه إليه إعلامه » (١) .

وقد توسع الدكتور عبد العزيز شرف
في الكلام على هذه النقطة فقال ما خلاصته
إن وسائل الإعلام ، في سعيها الدائب
لاجتذاب أكبر عدد ممكن من القراء أو
المستمعين أو المشاهدين ، تتوجه إلى
نقطة متوسطة افتراضية يتجمع حولها
أكبر عدد من الناس ، ونادراً ما تكون

(١) الدكتور عبد العزيز شرف ، المصدر السابق ذكره ، الصفحة ٦١ .

هذه النقطة هي أدنى المستويات . وإن
رؤساء تحرير الصحف درجوا على توجيه
المندوبين الناشئين إلى « ذلك الشخص
الذي يحرك شفتيه عندما يقرأ » يعنى
إلى الشخص الذى ~~الذى~~ ~~الذى~~ أدنى مستوى
ثقافى بين قراء الصحف ، وإذا كان هذا
الشخص قادراً على فهم الأخبار الصحفية
فإن القراء الذين يفوقونه ثقافة قادرون
على ذلك . وإنه لما كانت وسائل الإعلام
تخاطب قارئاً أو مستمعاً أو مشاهداً
افتراضياً فليس عجيباً أن تفتقد روح
الألفة التى تسود عند الاتصال بشخص
واحد . فالتقرير الذى تنشره صحيفة
إمن حدث ما ، يفتقد كثيراً من الألفة
التي يتميز بها خطاب يرسله صديق إلى
صديقه عن هذا الحدث (١) .

اليومى الذى يشكّل مادة الإعلام .
ذلك بأن هذه « الآنيّة » ترسم للإعلاميين
حدوداً لا يستطيعون أن يتخطوها ،
وهذه الحدود تلزمهم باصطناع أسلوب
لغوى الكتابة لا يحتمل الحذقة والتقعر
والزخارف اللفظية .

(١) الدكتور عبد العزيز شرف ، المصدر السابق ٦٨ - ٦٩ .

والسرعة والاستعجال عدوان لدودان للتدبير
والتعمق

وإذ كان نقل الأخبار والتعليق عليها
يحتّم الالتزام بالواقعية والموضوعية فقد
تعيّن أن تتسم لغة الإعلاميين بالطابع
الواقعي والموضوعي . وفي هذا معنى
يقول الدكتور إبراهيم إمام إن التحرير
الإعلامي تحرير موضوعي يبتعد عن
الذاتية التي يتّصف بها الأديب مثلاً .
« فالأديب يُعنى بنفسه . ويتقدم لذ
مايجول في خاطره . ويسجل ما يراه
وفقاً لرؤيته الخاصة وبرموز تنم عن
ثقافته وعقليته . وهو في هذا الصنيع
يصف النفس الإنسانية ويتعدّق أسرارها
ويكشف عن حسناتها ومساوئها . ويكون
لأوصافه صدق في نفوس القراء من
كل جنس ، وفي كل عصر ، ماداموا
قادرين على قراءته وفهمه والاستفادة
منه . فالأديب حرّ في اختيار مايقول
والقراء أحرار في قراءة ما يكتب الأديب »^(١)

أما الإعلامي فلا يعبر ، كالأديب ، عن
أفكاره وتجاربه الخاصة . إنه يعبر في
المقام الأول عن أفكار المجتمع وتجاربه^(٢) .
وفي هذا أيضاً يقول الدكتور محمد
حمد خضر « إن الكاتب الإعلامي
لايسخر قلمه لوصف مظاهر الطبيعة أو
رسم طبائع البشر أو تصوير خلجات
النفس أو التعبير عن الإنفعالات
الوجدانية إلا إذا كان من شأن ذلك
كله أن يؤدي إلى تكثيف الطاقة
المحرّكة للرأي العام نحو الهدف الإعلامي
المطلوب »^(٣) .

ويقول في موضع آخر : يحق
للأديب والفنان والفيلسوف أن ينقلوا
كلاماً عن أشخاص غير موجودين في
الواقع يخترعهم الخيال وتولّد لهم
التصورات . . . كما يحق للأديب
أن يستنطق الحيوان . وأن يُحيى
الجماد ، وأن يخلط بين الواقع والحلم .
وليس للصحافي من هذا كله شيء .

(١) الدكتور عبد العزيز شرف ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ١٧ .

(٢) المصدر نفسه ، الصفحة ١٨ .

(٣) الدكتور محمد حمد خضر ، المصدر السابق ذكره ، الصفحة ١٣٣ .

فهو ملزم بنقل وقائع الحياة الموضوعية بصورتها الحقيقية بأكثر ما يمكن من الدقة وأكمل ما يكون من الموضوعية^(١).

وعلى ضوء هذه الملاحظات كلها نخلص إلى القول إن للإعلام لغته الخاصة التي تختلف عن لغة الأدب ولغة الشعر ولغة العلم ذلك بأن لغة الأدب ذاتية في المقام الأول . ولغة الشعر مجتحة بالرؤى والأخيلة . ولغة العلم مثقلة بالمصطلحات الفنية والأسماء العلمية . أما لغة الإعلام فتتميز :
[أول ما تتميز . . بالواقعية والموضوعية وتنسم - أو يجب أن تنسم - بالبساطة . والوضوح . والسلامة . والإيجاز . والمرونة . والحركية ، والنفاذ المباشر . والقادرة ، على الإمتاع . فضلاً عن السلامة من الناحيتين الصرفية والنحوية .

وتجدر الإشارة : في هذا المقام ، إلى أن أسلوب الإنشاء الإعلامي يختلف باختلاف الوسائل والمؤسسات الإعلامية

فهو في الصحافة غيره في الإذاعة أو التلفزيون . وهي في مجلة « تايم » غيره في مجلة « نيوزويك » . ليس هذا فحسب . بل إن أسلوب الإنشاء الإعلامي يتفاوت تبعاً للمادة الإعلامية ذاتها . ضمن الوسيلة الإعلامية الواحدة فهو في الخبر غيره في التعليق . وهو في الصفحة الأدبية أو العلمية غيره في الصفحة الرياضية أو الفنية أو الإمتاعية . وهكذا .

وسنحاول في ما يلي أن نلقى نظرة عجيلى على واقع لغة الصحافة العربية وواقع لغة الإذاعة والتلفرة العربيتين .
٢ - لغة الصحافة :

كانت الكتابة العربية في القرن التاسع عشر مكبلة بأغلال التقليد ، رازحة تحت أثقال السجع . غارقة في لجج الجناس والطباق وما إليهما . وكانت برغم ذلك كله مهلهلة النسيج . هزيلة المضسبون . بعيدة كل البعد عن سحر البيان العربى وروعته . ولقد كان

طبيعياً أن ينعكس ذلك على لغة الصحافة منذ اليوم الأول لنشوبها فتنجرف في تيار السجع ، وترسف في إسار الضعف وتتردى في مهاوى التكلف، وتعوزها جودة السبك ، كما نرى في افتتاحية العدد الأول من جريدة الوقائع المصرية التي أنشأها محمد علي باشا في القاهرة عام ١٨٢٨ والتي تُعتبر أقدم الصحف العربية على الإطلاق^(١) .

قال محرر « الوقائع » :

« الحمد لله بارى الأمم ، والسلام على سيد العرب والعجم . أما بعد ، فإن تحرير الأمور الواقعة مع اجتماع بنى آدم ، المتدبجين في صحيفة هذا العالم ، ومن ائتلافهم وحركاتهم وسكونهم ومعاملاتهم ، ومعاشراتهم التي حصلت من احتياج بعضهم بعضاً ، هي نتيجة الانتباه والتبصر بالتدبير والإتقان ، وإظهار الغيرة العمومية ،

وسبب فعال منه يطلعون على كيفية الحال والزمان^(٢) .

وقد دفعت هذه الحقيقة أحد الغياري على العربية إلى أن ينشر عام ١٨٨٦ في أحد أعداد مجلة المقتطف مقالاً شكاً فيه من ركافة الأسلوب الصحافي كما يظهر في ما كان يُترجم من اللغة التركية وبعض اللغات الأجنبية الأخرى . مقدماً على ذلك أمثلة كثيرة داعياً إلى « درء هذه المفاصد . ونبذ الكلام الركيك الفاسد » ، وذلك بمطالعة كتب أئمة البيان العربي القدامى^(٣) .

ولئن كانت الصحافة قد وفقت . بعد انقضاء فترة يسيرة ، إلى التغلب على هذه الركافة وعلى غيرها من مواطن الضعف ، إلا أنها عجزت عن التغلب من قيود السجع . ولعل خير دليل على هذه الواقعة افتتاحية العدد الأول

(١) وهذا ما يجعل تلك الافتتاحية أول مقالة تسطر في تاريخ الصحافة العربية .

(٢) أنيس المقدسى ، الإتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، الطبعة السابعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٢ ، الصفحة ٤٤٩ .

(٣) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

من صحيفة « لسان الحال » الصادرة في بيروت عام ١٨٧٧ ، أى بعد صدور « الوقائع المصرية » بخمسين سنة تقريباً ، قال محرر « اللسان : » « الحمد لله الذى يسبح بحمده فى الغدو والآصال ، وينطق مفصلاً بتعداد آلائه لسان الحال . حمد يدوم آزاء الليل وأطراف النهار . ما غرد قمرى وترثم هزار .

وبالإضافة إلى السجع ، لم تستطع الصحافة العربية فى ذلك العصر التخلص من المبالغة الممجوجة ، والاطراء الرخيص المتمثل أكثر ما يكون بإسباغ الألقاب الطنانة على من تتحدث عنهم . ومن الأمثلة على ذلك قول جريدة وادى النيل المناسبة صدر دور مجلتين بيرويتين هما « الزهرة » ليوسف سلفون المتوفى عام ١٨٩٠ و « الجنان » للمعلم بطرس البستاني المتوفى عام ١٨٨٣ : « وكلماتهما

من الطرافة والكمياسة ، وعظم الفائدة والنفاسة . فى درجة عالية ، وهيئة حالية . وكلماتها فتاتان من الجزر الأوروبية ، وقد بدتا فى كنائس نصرانية . متجملتين بمآزر مشرقية عربية . أو برانس مغربية . . . إحداهما تُنشر باسم « الزهرة » بتأليف وإدارة الأديب الأريب والكاتب اللبيب ، والآخذ من الكتابة بمجامع الفنون المدعو بيوسف السلفون . . . والثانية تظهر باسم « الجنان » . جمع جنة بقلم وإدارة المؤلف اللطيف . والمصنف المتقن الظريف . أصمعى هذا العصر الثانى ، المشهور باسم بطرس البستاني مع شبهه الشاب الفهيم . المعروف كذلك باسم سليم » (٢) .

وما هى غير فترة قصيرة حتى تحررت الصحافة من السجع نفسه بعد أن استشعرت أنه قيد ثقيل

(١) الدكتور محمد حمد خضر ، المرجع الذى سبق ذكره ، الصفحة ١٥٤ .

(٢) المصدر السابق ، الصفحة ١٤٠ وقد علق الدكتور محمد حمد خضر على هذا الشاهد بقوله « فتصوروا لو كان على الصحافى المعاصر أن يستخدم هذه اللغة وأن يعتمد على هذا الإبقاع التعبيرى لتغطية اختلاف طائفة أو نقل أنباء غارة حربية . . . » .

يحدّ من حركتها . ويتعارض مع ديناميّتها ، ولا ينسجم مع رسالتها كوسيلة إعلام جماهيرية يتعيّن عليها أن تخاطب الناس بأسلوب يتمشّي مع روح العصر الذي وُصف في تلك الفترة بعصر السرعة فإذا بنا نقرأ كلاماً جديداً لم تألفه الصحف من قبل ، كلاماً مرسلاً رقيقاً لا يتكلف السجع ولا يضحّي بالمضمون على مذبح التأنق اللفظي والمحسنات البيانية . ومن ذلك قول منشئ المقتطف يعقوب صروف المتوفى عام ١٩٢٧ في وصف قصر من قصور البندقية (فينيسيا) : أما مقاصير هـذا القصر وما فيها من الصور والتحف فمما لا يُستوفى وصفه إلا في مجلد كبير ، لأن أعظم مصوّر البندقية ونقاشيها أفرغوا جهد صناعتهم وغاية ما وصل إليه حلقهم في نقشها فزينوها بالصور التاريخية والخيالية والنقوش والتماثيل (إلى أن يقول) : في كلامه على إحدى هذه المقصورات : « وقد وقفت في هذه المقصورة ساعة من

الزمن حائراً مدهوشاً ، ولا أدري ممّ دهشني - أمن اتساعها الفائق ، أم من كثرة صورها ، أم من بديع ألوانها وإحكام رسمها ، أم من صورة الفردوس فيها ؟ ولقد ودّدت لو أن الساعة صارت شهراً ، وعيني منظارا ، حتى أنعم النظر في كل صورة ومشهد وأسْتَخْلَص تاريخ هذه المدينة العظيمة من صور قصرها » (١) .

وليس أدل على « جوهرية » هذا التطور من مقارنة وصف منشئ المقتطف لذلك القصر بوصف معاصره السيد محمد توفيق البكري المتوفى عام ١٩٣٢ لقصر مماثل من قصور فيينا وفيه يقول : « وصلتُ إلى ذلك القصر ففتّح الباب ، وكُشِفَ الحجاب ، فإذا جنة وخير ، وملك كبير ، ودنيا في دار ، وليل ونهار ، ووجوه تشرق ، وحلّ تبرق . . . وسقوف من مرمر ، وأرض من عرعر ، وكأن كل سقف لوح مصوّر ، وكل أرض أرض منور . . . وقام على الأركان تماثيل وتصاوير ، وأنصاب وقوارير ،

(١) أنيس المقدسي ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٤٥٢ .

فكأنما الدار زون (أى موضع تُنصب فيه الأصنام) ، أو معرض فنون . . . وتدلّت الثريات كأنها أشجار مفتحة الأنوار ، وكأن أقباسها آذان جياذ ، أو عيون جراد ، أو قطع أفلاذ ، أو صفائح فولاذ^(١) .

ومع ذلك فإن لغة الصحفي لم تنج من نقد كبار اللغويين الذين تتبعوا سقطاتها وعملوا على تصحيح مغالطها . ولعل أشهر هؤلاء الشيخ إبراهيم اليازجي الذي نشر في مجلة « الضياء » مقالات متتابعة عنونها « لغة الجرائد » وقد صدرت هذه المقالات في ما بعد في كتاب يحمل الاسم نفسه ، وذلك في القاهرة عام ١٣١٩ للهجرة . وقد قدم لهذا الكتاب بالقول : « إننا لا نزال نرى في بعض جرائدنا ألفاظاً قد شذت عن منقول فأنزلت في غير منازلها أو استعملت في غير معناها فجاءت بها العبارة مشوّهة وذهبت بما فيها من الرونق وجودة السبك فضلاً عما

يترتب على مثل ذلك من انتشار الوهم والخطأ ، ولا سيما إذا وقع في كلام من يوثق به فتتناوله الأقلام بغير بحث ولا نكير »^(٢) .

والواقع أن كثيراً مما أورده اليازجي في كتابه هذا يظل محل خلاف بين العلماء لأنه استند في رفضه إياه إلى مجرد القول إن كتب اللغة لم تنص عليه ، وكأن كتب اللغة قد نصت على كلام العرب كله ، أو وكأن كتب اللغة القديمة مفروضة فيها أن تنص على ما قضت ضرورات هذا العصر باستخدامه . ومع ذلك فمن المفيد أن نورد هنا نماذج من الأخطاء التي سردها لأنها تلقى الضوء على بعض عشرات الأقلام في زمن اليازجي ولأن عدداً غير يسير من هذه الأخطاء لا يزال يتردد صدها في صحفنا ومجلاتنا حتى يوم الناس هذا .

(١) المصدر نفسه ، الصفحة ٥٢ أيضاً .

(٢) الشيخ إبراهيم اليازجي ، لغة الجرائد ، الطبعة الأولى ، مطبعة المعارف ، القاهرة ١٣١٩ للهجرة ،

قال صاحب « لغة الجرائد » :
ويقولون : غصن يانع أى نضير أو
رطب ، وكذا زهرة يانعة وبروض
يانع ، ولا يأتى « ينع » بهذا المعنى ،
إنما يقال ثمر يانع وينيع ، أى ناضج ،
وقد ينع الثمر وأينع إذا أدرك وحن
قطافه . . . (١)

« ويقولون : ذهب الرجلان سوية ،
أى ذهباً معا . وإنما السوية بمعنى
السواء ، يقال قسموا المال بينهم^٢
بالسوية ، وهذا حكم لا سوية فيه ،
وهى النصفة والعدل . . . (٢)

« ويقولون ؛ هو يسعى لنوال بغيته
وإنما النوال بمعنى العطاء ، أى الشيء
الذى يعطى ، وليس بمصدر لنال ،
والصواب لنيل بغيته . . . (٣)

« ويقولون : نيف وعشرون ديناراً

فيقدمون النيف ، والمسموع تأخيره^٤
يقال عشرون ونيف ، ومئة ونيف . . . (٤)

« ويقولون : هو مدمن على هذا
الأمر ، أى مواظب عليه ، مديم
لفعله ، والصواب ترك الجار لأن
هذا اللفظ يتعدى بنفسه . . . (٥)

« ويقولون : عودته على الأمر ،
وتعود عليه ، واعتاد عليه ، والصواب
حذف الجار فى الكل . . . (٦)

« ويقولون : رأيت أكثر من مرة ،
وجاءنى أكثر من واحد . والظاهر
أن هذا التعبير منقول عن التركيب
الأجنبى . والعرب يستعملون لفظ
غير : يقولون رأيت غير مرة وجاءنى
غير واحد ، لأن غير الواحد لابد أن
يكون اثنين فيما فوق . . . (٧)

(١) المصدر نفسه ، الصفحة ١١ .

(٢) المصدر نفسه ، الصفحة ١٨ .

(٣) المصدر نفسه ، الصفحة ٢١ .

(٤) المصدر نفسه ، الصفحة ٢٥ .

(٥) المصدر نفسه ، الصفحة ٢٦ .

(٦) المصدر نفسه ، الصفحة ٣٢ .

(٧) المصدر نفسه ، الصفحة ٤٩ - ٥٠ .

ويقولون ؛ رجل ثوروى على مثال
فوضوى ، أى من أصحاب الثورة وهم
ثورويون . ولا وجه لزيادة هذه
الوار قبل ياء النسبة وكأنهم يتعجفون
عن أن يقولوا ثورى لئلا يلتبس
بالمنسوب إلى الثور ، على أن الثور
لو فطنوا مشتق من الثوران ، لأنه
يثور أو لأنه يثير الأرض فالشركة
حاصلة على كل حال . . . (١)

وأيا ما كان ، فقد خطت اللغة الصحافية
منذ عهد الشيخ اليازجى ، خطوات
واسعة على طريق الصحة والنصاعة
وحسن البيان ، ووضعت ألفاظاً لم
تكن ، كالسيارة والدراجة والمجهر
والهاتف والمُنطاد ، واشتتت صيغاً من
بعض الأسماء مثل قَوْلَب من القالب ،
وموّل من المال ، وبرمج من البرنامج ،
وقتن من القانون ، وعَلَمَن من العلمانية
وطور من الطور ، وعَلَب من العلبة ،
ومصّر من مصر ، ولَبَنَن من لبنان ،

وقيّم من القيمة ، وجدول من الجدول ،
واستجوب من الجواب ، واستشرق من
الشرق . ليس هذا فحسب ، بل لقد
وفقت ، فضلاً عن ذلك كله ، إلى مخاطبة
جماهير الشعب فى غير ما ابتدأ أو
إسفاف ، وإلى التعبير عن حاجات
العصر مستوعبة خلال ذلك كل جديد
فى ميادين الفكر والعلم والإجتماع .

وإذا صحّ أن البلاغة ، كما عرفها
بعض شيوخنا القدامى ، هى إيصال
المعنى إلى القلب فى أحسن صورة من
اللفظ ، فعندئذ يكون فى ميسورنا
أن نزعّم أن لغة الصحافة قد بلغت
اليوم مرتبة صالحة من البلاغة . وهذا
ما أكد عليه نقيب الصحافة اللبنانية ،
محمد البعلبكي ، بقوله : « إن
لغة الصحافة العربية بوجه الإجمال
لغة فصيحة يندر فيها الخطأ اللغوى ،
سواء من حيث قواعد النحو أو من
حيث تركيب الجملة ، بل إنها لغة

ترتفع في بعض المقالات إلى درجة
البلاغة ، بكل ما في البلاغة من تحسين
وإبداع^(١) .

والحق أن الصحفيين المعاصرين لم
يرتقوا بلغة الصحافة إلى مرتبة من
البلاغة صالحة فحسب بل ارتقوا من
طريق ذلك بلغة الناس اليومية أيضاً .
فهذبوا حاشيتها ، وأثروها بطائفة من الألفاظ
والصيغ التي ابتكروها وعملوا على الترويج
لها . وهكذا جرت على الألسن كلمات
وتعابير مستحدثة ما لبثت أن أصبحت
جزءاً لا يتجزأ من اللغة المحكية .
ومن الأمثلة على ذلك قولهم : السيارة
والدراجة ، والقطار ، والقطارة ،
والمدبرة ، وجواز السفر ، وتأشيرة
الخروج ، وتذكرة الهوية ، وحظر
التجول ، وصفارة الإنذار ، والهاتف .
والبرقية ، والديمقراطية ، والدكتاتورية
والأرستوقراطية ، والبورجوازية ،
والإشتراكية ، والشيوعية ، والتعاونية

والمأساة ، والكارثة ، والمهزلة ، والتطبيع
والتصنيع ، والتطويع ، والتعليب .
والبرج العاجي ، وغزو الفضاء ، والقمر
الصناعي ، والمركبة الفضائية . وقولهم
« وضعه في الصورة » ، وبدأ العدّ
العكسي « وفاوض من موقع القوة » ،
« وفقدت الدولة مصداقيتها » ، وأعطاه
الضوء الأخضر « ، وشد الحزام » ،
وعضّ على جرحه « . و « انطوى على
نفسه » و « لعب ورقة الصراع الطائفي »
و « أحصى عليه أنفاسه » . و « خرج
عن طوره » ، و « خرج من جلده » ،
و « دفع الثمن غالياً » . و « ذرّ الرماد
في العيون » و « دق ناقوس الخطر » ،
و « توترت العلاقات » ، وتكهرب
الجوّ « ، و « قرأ ما بين السطور » ،
و « دخل التاريخ من أوسع أبوابه » .
و « على مستوى العاصمة أو الجمهورية
الخ . . . »^(٢)

(١) محمد البعلبكي ، من رسالة بعث بها إلى صاحب هذا البحث في نطاق استطلاع للرأي أجراه حول لغة الإعلام .

(٢) من أراد التوسع في هذا الموضوع فليرجع إلى كتاب الأستاذ أحمد أبو سعد « مدجم التراكيب والمبارات
الاصطلاحية القديم منها والمولد » ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٧ .

وهذه الملاحظة تقودنا إلى ثلاث ملاحظات متلازمة معها ، أولها أن الصحافة قد أنزلت الأدب من برجه العاجي وَوَسَمَتْهُ بِسَمَةِ ديمقراطية جديدة فتعايش مع الناس وعُنَى بمعالجة قضاياهم اليومية والمصيرية . والثانية أنها أعادت العربية إلى أصلاتها بوصفها لغة أدب وعلم وحضارة بعد أن أحالتها عصور الإنحطاط إلى لغة أدب وبديع وبيان ليس غير . والثالثة أنها أغنت المعجم العربي بما استحدثه رجالها من تعابير فرضتها عليهم الأحداث الجارية أو حملتهم على ابتداعها ضرورات الترجمة عن مصادر الأنباء أو عن موارد المعرفة من كتب ومجلات علمية وموسوعات عامة ^(١) فقالوا : سياسة المحاور ، وسياسة اللاعنف ، وسياسة الشراكة وسياسة فرق تسد ، وسياسة الحياد الإيجابي وسياسة التمييز العنصري ، وسياسة الإقتصاد الحر ، وسياسة الإقتصاد الموجّه ، وسياسة التهدة ،

وسياسة الحافة أو سياسة حافة الهاوية ، ^(٢) وسياسة شدّ الحزام . . .

وقالوا : الحرب المخاطفة ، والحرب الباردة ، وحرب الإبادة ، وحرب الإذاعات ، وحرب الإشاعات ، والحرب بين الإخوة ، وتوازن القوى ، وتوازن العرب ، والتوازن الإستراتيجي ، والغارات الجوية الوهمية ، والانتفاضة الشعبية . . .

وقالوا : المقاومة السلبية ، والعصيان المدني ، والتعايش السلمي ، وحقوق الإنسان ، والحقوق المدنية ، وعواصم القرار ، والإرهاب الدولي ، وحمّام الدم وبؤر التوتر . . .

وقالوا : العالم الثالث ، والإصلاح الزراعي ، والأمن الغذائي ، وبنك الدم ، وإصلاحية الأحداث ، والآثار الجانبية ، واستطلاح الرأي ، وناطحات السحاب ،

(١) اجتمع لدينا خلال إعداد هذا البحث مئات من هذه التعابير نكتفي هنا بذكر طائفة منها .

(٢) Brinkmanship

والضريبة التصاعدية ، والحاسبة الإلكترونية
أو الدماغ الإلكتروني ، والعدّ العكسي ،
وغزو الفضاء ، والقمر الصناعي ،
والركبة الفضائية . . .

وقالوا : حق النقض ، والعملية
الصعبة ، والقطع النادر ، والروتين
الحكومي ، ومجانية التعليم ، وديمقراطية
الثقافة ، ومسرح الدمى ، ومسرح
اللامعقول ، ومسرح العبث ، ودواليب
الحظّ ، ومحكمة التاريخ ، والبنية
التحتية ، والتكامل الإقتصادي ،
والتبادل الثقافي ، والمدرسة النموذجية ،
والحلقة الدراسية ، وقصر الثقافة ،
وبيت الطلبة ، والمدينة الجامعية ،
والمدينة الصناعية ، والمدينة الرياضية ،
ومدينة الملاحى ، ومدينة الأشباح . . .

وقالوا : قصيدة النشر ، وعروس
المدن ، وفتاة الغلاف ، وملكات
الجمال ، والجريدة الناطقة ، وكاميرا
الأخبار ، ومجلة المجلات ، ومجلة
التلفزيون ، والأسلوب البرقى . والرقص
التعبيرى .

وقالوا : عقدة النقص ، وتنازع
البقاء ، وبقاء الأصلح ، والصراع
بين الطبقات ، والمدارس الأدبية ،
والمجامع العلمية ، والجماعات الأصولية ،
وموضوع الساعة ، وساعة الصفر
ومقبرة المشاريع .

وقالوا : المعدن الأصفر ، والذهب
الأسود ، والضوء الأخضر ، والخط
الأحمر ، والكذبة البيضاء ، والانقلاب
الأبيض ، والثورة البيضاء ، والسوق
السوداء . . .

ويحسن بنا قبل الانتقال إلى الكلام
على لغة الإذاعة والتلفرة أن ننصّ على
أن الصحافة كان لها أكبر الفضل في
نشوء فنّ « المقالة » الحديث ، وذلك
لحاجة الصحف والمجلات إلى معالجة
مختلف الموضوعات السياسية والاجتماعية
والاقتصادية والدينية والفلسفية
والتاريخية وغيرها في فصول مركزة
لا تحتل من صفحاتها غير حيز محدود
والحق أن « المقالة » استقطبت نفرا من
كبار كتّاب العصر ، فانبروا إلى
إمداد الصحف والمجلات بفيض

خواطيرهم ووحى أقلامهم . وقد جمع
كثير من ثمرات هذا النشاط الخصب
في كتب قيّمة أضافت إلى الأدب
العربي ثروة جديدة .

٣ - لغة الاذاعة والتلفزة :

إن ما ذكرناه عن لغة الصحافة
ينطبق انطباقاً شبه كامل على لغة
الاذاعة والتلفزة . ولا عجب ، فقد
بدأ الإعلام المسموع « الاذاعة »
والاعلام المسموع المرئي « التلفزة »
من حيث انتهى الإعلام المقروء ؛
بمعنى أنهما لم يكونا في حاجة إلى تجشّم
مشاق الرحلة الطويلة التي تعيّن على
الصحافة القيام بها لكي تكتشف لغتها
المميزة . ومن هنا اتسمت لغتهما
الفصحى ، منذ البدء ، بالبساطة
والوضوح والإيجاز والمرونة والنفاد
المباشر والقدرة على الإمتاع ، فضلاً عن
السلامة النسبية من الناحيتين الصرفية
والنحوية .

نقول « السلامة النسبية » لأن
مستوى لغة الاذاعة والتلفزة يبدو
لنا دون مستوى لغة الصحافة ، وهذا

الهبوط في المسـوى لا يتأتى دائماً
عن ضعف في النصوص المكتوبة .
فالنصوص قد تكون خالية من الشوائب
في كثير من الأحيان ، ولكنه يتأتى
عن ضعف في الأداء ناشئ في أسوأ
الأحوال عن « أميّة » بعض المذيعين -
وبخاصة في حقل التلفزة اللبناني - وفي
أحسن الأحوال عن ضآلة حظوظهم
من الثقافة اللغوية .

ذلك بأن لغة الاذاعة والتلفزة ،
بخلاف لغة الصحافة ، وجهين اثنين
وجه الكتابة ، ووجه التلاوة . وهذا
ما فصله نقيب الصحافة في لبنان
محمد البعلبكي في قوله : « إن ما قد
يختفى وراء الحرف المطبوع في الصحافة
ينكشف على لسان المذيع أو المتحدث
في الاذاعة والتلفزيون . . . وإن أبرز
ما تعانيه اللغة العربية في هذا المجال
هو ما اتصل بمخارج الحروف من
حيث التفخيم والترقيق ، وما اتصل
أيضاً بلجوء المذيعين إلى اعتماد تسكين
أواخر الكلمات باستمرار ، مما ينبئ
عن جهل ويؤدى إلى تقطيع الجمّل

تقطيعاً يُفسد المعنى أو يؤذى بلاغة الأداء ، حتى إذا أقلع المذيع عن التسكين ^١ملوِّع في أخطاء نحوية من مثل خفض المنصوب أو نصب المرفوع أو تأنيث المذكر وتذكير المؤنث ومختلف الضمائر العائدة إليهما^(١) .

وقريب من ذلك قول فيكتور سحاب في كتابه « أزمة الإعلام الرسمي العربي » : « وفي هذا النطاق يدخل أمر تحريك أواخر الكلمات . ذلك أن عجز معظم المذيعين عن التحريك السليم ألجأهم إلى اتباع أسلوب بشع في الإلقاء يقضى أن يسكنوا آخر كل كلمة ويقطعوا انسياب الجملة التي يجب أن تكون متصلة بفضل الحركة في آخر كل كلمة . . . وفي هذا النطاق أيضاً يدخل أمر التفخيم والترقيق . ومعظم المذيعين الآن لا يعرفون أي الحروف تُفخَّم وأيها ترقق^(٢) .

وقوله في موضع آخر : « إن مذيعينا توقفوا منذ ربح من الزمان عن السعي إلى اللفظ السليم والتحريك الصحيح ، بل توقفوا عن التحريك على الإطلاق لـفقطّعوا الكلام كلمة كلمة . . . وفقدوا الحس بالإيقاع العربي للكلم ، والتنغيم السليم للجملة . . . وفي الماضي لم تكن تلك هي حال الإعلام الرسمي . كنا نستمع إلى مذيعين هم أشبه بالأدباء منهم بالنمط الذي نعرف اليوم ، لقد نما حجم الإعلام وعظم شأنه ولم يواكب ذلك نماء في كفاءة العاملين فيه ، بل أدّت الحاجة إلى الكثرة إلى التساهل في المعايير^(٣) . »

ويتجلى ضعف المذيعين اللغوي في مجالات غير هذه أيضاً . ذلك أن نفرًا غير يسير منهم يجهل في الأعم الأغلب معاني الحروف ومواضع استعمالها ، ولا يميز بين همزة القطع وهمزة الوصل

(١) محمد البعلبكي ، المصدر السابق ذكره .

(٢) فيكتور سحاب ، أزمة الإعلام الرسمي العربي ، الطبعة الأولى ، دار الوحدة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٥ ، الصفحة ٩٧ - ٩٨ .

(٣) المصدر نفسه ، الصفحة ٢٠ - ٢١ .

فهو يصطنع الأولى حيث ينبغي أن
تُصطنع الأخرى . ولا يراعى أحكام
العدد . ولا يكسر همزة « إن » بعد
فعل في القول . ولا يكلف نفسه عناء
ضبط عين الفعل من طريق العودة إلى
المعجم .

هذا فضلاً عن بعض الأخطاء المفردة
التي يرتكبونها عادة . من مثل قولهم :
« احتضر » بدلاً من « احتضر » ، وقولهم
« اضطره الأمر إلى كذا » بدلاً من
« اضطره الأمر إلى كذا » متوهمين أن
هذا الفعل لا يأتي بغير صيغة المجهول
ألبتة . وقولهم « مزقه إرباً إرباً » بدلاً من
« مزقه إرباً إرباً » . ومن عجب أن
اليازجي نبه على هذا الخطأ في كتابه
« لغة الجرائد » منذ مئة عام على وجد
التقريب . ومع ذلك فلا تزال طائفة من
الذيعين تقع فيه ، وقولهم « عن كُتب »
بدلاً من « عن كُتب » . وقولهم « الأزمة »
بدلاً من « الأزمة » ، وقولهم « المُعَدِّم »
بمعنى المعوز والفقير بدلاً من « المُعَدِّم » ،
وقولهم « من جِراء » بدلاً من « من جِراء » ،
وقولهم « إحدى المستشفيات » بدلاً من

« أحد المستشفيات » . وقولهم « غادر
ساحته إلى الديار المقدسة » بدلاً من
« غادر ساحته العاصمة أو المدينة إلى
الديار المقدسة » غافلين عن أن « غادر »
فعل متعدٍ وليس فعلاً لازماً . وقولهم
« سوف لن يحضر » بدلاً من « لن يحضر » .
وقولهم « نفذت بيروت إضراباً شاملاً »
بدلاً من « أضربت بيروت إضراباً
شاملاً » ، وقولهم « نفذ طيران العدو
غارة على الجنوب » بدلاً من « قام طيران
العدو بغارة على الجنوب » أو « شنَّ
طيران العدو غارة على الجنوب » .
وغير ذلك مما سمعناه ودونناه في أثناء
إعداد هذا البحث .

وأياً ما كان . فرفع مستوى لغة
الإذاعة والتلفزة ليس بالأمر العسير
إذا صدقت النيات وصح منا العزم .
ونحن نقترح ، توصلاً إلى ذلك ،
الآخذ بالتوصيات التالية :

١ - إنشاء فروع في كليات الإعلام
لتخريج الذيعين والمذيعات وبخاصة في
علمي الصرف والنحو وفي الأدب العربي
وتاريخه .

٢- العناية في هذه الفروع بتدريس القرآن الكريم وعلومه ، وبخاصة علم التجويد ، لما لذلك من أثر بعيد في تقويم ألسنة الطلاب ، وإثراء ثقافتهم اللغوية ، وفتح أعينهم على جمالية «العربية» وأسرار بلاغتها .

٣- قَصْر إسناد وظيفة المذيع أو المذيعة على خريجي هذه الفروع وخريجاتها .

٤- إخضاع من تختارهم هيئة الإذاعة أو هيئة التلفزيون ، لهذه الوظيفة ، لدورة تدريب يركّز فيها في المقام الأول على حسن الأداء وجودة الإلقاء .

٥- تعويد المذيعين والمذيعات مراجعة المعاجم ابتغاء التأكد من صحة ما يستعملون من ألفاظ سواء من حيث المعنى أو من حيث البنية ، وابتغاء ضبط عين الفعل الثلاثي في الماضي والمضارع ، وما إلى ذلك .

٦- إنشاء هيئة مراقبة مهمتها الإستماع إلى المذيعين والمذيعات ، على نحو موصول ، وتسجيل الأخطاء التي يقعون فيها وإرشادهم إلى وجه الصواب في كل منها بعد انقضاء الفترة الإذاعية .

ومهما يكن من أمر ، فإن مشكلة الأداء والإلقاء ليست العقبة الوحيدة التي تعترض سبيل لغة الإعلام الإذاعي والتلفزيوني وتهبط بها إلى ما دون مستوى لغة الصحافة باعتبار أن الصحافة ليس عندها مشكلة أداء وإلقاء . . . ذلك بأن ثمة مشكلة أخرى عانى منها الإعلام الإذاعي والتلفزيوني منذ نشأته ، ولا يزال ، في حين ظلت الصحافة في نجوة من مفاعيلها السلبية منذ اللحظة الأولى حتى اليوم . عَنِيَتْ مشكلة العامية والفصحى ، وهي أشدّ خطراً وأكثر تعقيداً من مشكلة الأداء والإلقاء .

وواضح أن نشرات الأخبار الإذاعية والتلفزيونية تقع خارج مشكلة العامية والفصحى هذه ، لأنها حرّرت أول ما حرّرت - ولا تزال تحرّر إلى الآن - بالعربية الفصحى . ومن هنا اقتضت هذه المشكلة على مختلف البرامج الإذاعية والتلفزيونية باستثناء النشرات الإخبارية .

والحق أن الكثرة الكاثرة من الذين كتبوا أو ألفوا في موضوع الإعلام توقفت عند هذه المشكلة وحاولت أن تبدى رأياً فيها ، أو تقترح حلاً لها .

وإذ كانت هذه الآراء وتلك الحلول تلتقى كلها عند نقطة مركزية واحدة فقد رأينا أن نورد في مايلي نموذجين اثنين منها ليس غير .

أولهما قول الدكتور فؤاد زكريا :
« وفي هذا الإطار ذاته ، إطار نشر الثقافة ، تندرج مشكلة اللغة الفصحى واللهجات العامية . . . ومن هنا رأي البعض أن التوجه إلى الجماهير العربية من خلال اللغة الفصحى وحدها هو أشبه بصرنحه في الضلالة ، لاتجد من مستجيب ، وأكد هذا البعض أنك إذا أردت أن تسمعك الجماهير حقاً ، وتستجيب لندائك ، فلا مفر لك من التضحية برونق الفصحى ، ومن مخاطبة هذه الجماهير باللغة التي تعيش بها حياتها اليومية وتعبّر بها عن انفعالاتها وتشرح من خلالها أحاسيسها . . . وأستطيع أن أقول إنه إذا كان هناك أى حل لهذه المشكلة فإن أقرب الأجهزة إلى تحقيق هذا الحل هو الإذاعة المرئية ، ففي

استطاعتها أن تستخدم في برامجها المختلفة لغة عامية ممزوجة بالفصحى مزجاً يزداد قوة بالتدرّج ، وأن تعود الجماهير العربية - دون نقلة مفاجئة - على أن تألف سماع الفصحى والتعبير إعن نفسها من خلالها ، وذلك بأن تضع نخبة مدروسة للغة المستخدمة في برامجها ، حتى الترفيحية منها ، وكلنا نعلم أن هناك عامية تتضمن كثيراً من التعبيرات الفصيحة ، وأن هناك لغة متوسطة ، لا هي بالعامية الخالصة ، ولا هي بالفصحى الكاملة . مثل هذه اللغة إذا استخدمت على نطاق واسع وازداد نصيب الفصحى فيها بالتدرّج كانت كفيلة بأن تعيد إلى اللسان العربي وحدته ووزنه عناء كبير » .

وثانيهما قول الدكتور نديم نعيمه ، أستاذ الأدب العربي الحديث في الجامعة الأميركية في بيروت : « الواضح في نظري أن مشكلة الإعلام عندنا هو أنه مايزال يتعثر غالباً بين عامية وفصحى متنقلاً بين لغتين اثنتين

بلغتا في تباعدهما حد الإستقلالية ، بحيث أصبح لكل منهما دائرتها وجمهورها^(١) فكأن الإعلام إذ يعتمد الواحدة أولاً الأخرى إنما يتوجه إلى فئة من فئتين^(٢) مستقلتين في المجتمع الواحد . المنتظر من إعلامنا ، وهو ما بدأنا نرى بوادره ، خاصة في لبنان ، ليس أن يهرب من الفصحى إلى العامية بهدف التعميم ، أو من العامية إلى الفصحى توسيعاً لدائرة الانتشار ، بل أن يخلق لغة هي « عامية الفصحى » تماماً كما هو حاصل في لغات العالم المتقدم . فهناك « عامية الإنكليزية » لا الإنكليزية العامية ، وهناك « عامية الفرنسية » لا الفرنسية العامية ، وكذلك هي الحال في الألمانية والإيطالية والإسبانية وغيرها . و « عامية العربية » ليست اللغة المحكية بل هي الفصحى وقد أكسبها الإستعمال ما للعامية من حركية وأسقط عنها الكثير من أصولية أرسطوقراطيتها اللفظية والإعرابية والبلاغية والبيانية وغيرها دون أن يحولها إلى لغة عامية مستقلة^(٣) .

ولئن كان نطاق هذا البحث لا يتسع لمزيد من التفصيل فإنه لن يضيق ببضع ملاحظات تختصر رأينا في هذه المشكلة :

١ - إن لغة الإذاعة والتلفزيون مرشحة لأن تكون هي لغة الناس المحكية في المستقبل ، بل لغة العرب الجامعة لهم ، وذلك نتيجة لاستماع الجماهير إليها على نحو موصول ، ونزوعهم إلى محاكاتها على نحو لا واع . ومن هنا نعيّن أن تُدرس أعمق الدرس وتُرسَم لها الخطط العلمية التي تفضي إلى حلّ مشكلتها حلاً نهائياً .

٢ - إن كل حلّ صحيح لهذه المشكلة يجب أن ينطلق من حقيقة أساسية هي أن الفجوة بين العامية والفصحى واسعة إلى حدّ يتعدّى معه ردمها في فترة قصيرة . وهذه الحقيقة تفرض علينا أن لا نتمجّل الحلّ المنشود وأن نعمل على بلوغه خطوة خطوة ومرحلة بعد مرحلة .

٣ - وتأسيساً على هذا ، نرى أن نكون لغة الإذاعة والتلفزيون - في الوقت

(١) الدكتور نديم نعيم ، من رسالة بحث بها إلى صاحب هذا البحث في نطاق إستطلاع للرأي أجراه حول لغة

الحاضر على الأقل وريثاً تصبح هذه اللغة لغة الناس المحكية في يوم من الأيام - على مستويات ثلاثة :

(أ) مستوى « العربية الفصحى » .
والواقع أن الإعلام المسموع والإعلام المرئي اضْطَنا هذه اللغة ، منذ نشأتها الأولى ، وفي نشراتها الإخبارية كلها ، ولا يزالان . ونحن نقترح أن يصطنعها أيضاً في كل ما يقدمانه إلى المستمعين والمشاهدين من أحاديث ، وندوات ثقافية ، وبرامج تعليمية ، ومقابلات مع رجال الفكر والسياسة الخ .

(ب) مستوى « اللغة المتوسطة » .
وهي اللغة التي تقع في منزلة بين منزلي العامية والفصحى ، والتي أطلق عليها الدكتور نديم نعيمة اسم « عامية الفصحى » .
ونحن نرى أن يصطنع الإعلام الإذاعي والإعلام التلفزيوني هذه

اللغة في برامجهما الترفيهية على اختلاف أنواعها .

(ج) مستوى « اللغة الدارجة » .

ونعني بها العامية المهدبة بعض الشيء ، والمرشحة لأن تهذب باستمرار ، وعلى نحو تدريجي ، كلما آتس رجال الإعلام استعداداً من جمهور المستمعين والمشاهدين لتقبل هذا التهذيب ومقدرة على استيعابه .

ونحن نذهب إلى القول بأن التمثيليات الإذاعية والتلفزيونية كلها يجب أن تكتب بهذه اللغة إلا إذا كانت تمثيليات تاريخية أو مترجمة عن إحدى اللغات الأجنبية .

٤- إن لغة إعلامية موحدة لابد أن تنبثق - مع « الأيام » ، وعلى نحو طبعي - من المستويات اللغوية الثلاثة التي ذكرنا ، وبذلك تحل مشكلة العامية والفصحى في الإذاعة والتلفزيون ، وتمهد الطريق إلى حلها في حياة الناس اليومية أيضاً .

منير البعلبكي

عضو المجمع المراسل من لبنان



غزو الأليبالعجمية للعربية

والغزو الأجنبي للعربية

للأستاذ إبراهيم السامرائي

تشيع التراكيب والألفاظ الأجنبية ، ولا سيما ما يتصل منها بالمصطلح الفني الجديد ، في العربية ويتداولها العربون في حاجاتهم قبل أن يكلفوا أنفسهم بعض العناء في إيجاد ما يصبح أن يكون مقابلاً لها في العربية ، وقبل أن تقول فيها مجامع اللغة والمؤسسات الأخرى كلمتها . إنها عمل فردي يقوم به مختص أو غيره فيشيع ، وقد يقوم مختص آخر فيسلك في المصطلح سلوكاً آخر ، وهكذا نجد أنفسنا أمام جمهرة من الجديد والمعرب !!

أقول : « الجديد المعرب » ، وهو ما يحتفظ فيه بالأصل الأجنبي ، ثم يُضاف إليه شيء من العربية ، فإذا هو معرب جديد ، ومن هذا : الديمقراطية ، والأرستقراطية ، والتكنوقراطية ، والبورجوازية ، والبولشفية ، والديمقراطية ، وغير هذا . ان ذلك كله مما زج به العربون ذوو الاختصاص ومنهم الصحفيون في العربية المعاصرة قبل أن تباشروا المجامع اللغوية سعيها فيها . وكأن المجامع قد أقرت ماداً ب عليه هؤلاء ، وتداوله القراء فاستعملوه وشاع بينهم . ولم يقف هذا الدأب عند حد ، فما زلنا نسمع منها الغريب الجديد نحو : البراجماتية ، والماركسية ، واللينينية ، والسيميائية ، والسيانتيكية ، والديالكتيكية والرومانتيكية ، والكلاسيكية ، والليبرالية وغيرها .

وقد أضافت المختصرات الغربية إلى العربية مادة جديدة ، فرحنا نواجه :

اليونيسكو أو الأونسكو ، واليونسيف ،
والفاو ، والناتو وغيرها . كل هذا
أصبح مادة جديدة في العربية المعاصرة .

وأنكى من هذا أن أساليب اللغات
الأعجمية في النحت والتركيب وجدت
سبيلها إلى العربية ، فشاعت في الصحف
وسائر الأدبيات العربية ، ومن ذلك :

أفرو آسيوية ، وأنكلو أمريكية ،
وأنكلوسكسون ، وهندوأوربية ،
وهندوايرانية ، وسيكو ألسنية

والغريب في هذا التركيبي والنحت
اتصال الجزأين بالواو مع حذف شيء
من الجزء الأول (١) .

أقول : إن جميع هذا الجديد قد
استقر في العربية المعاصرة ، فاستعمله
المختصون وغيرهم ، وألفه المعنيون بالعلم
اللغوي ، فلم يبتئس منه جملة هؤلاء ،
ولا استبعد أعضاء المجامع اللغوية . ولعل
المصدر الصناعي كان خير معين لهؤلاء

المعربين ، فهم إذا وجدوا مثلاً المصطلح
الأعجمي (Historicité) رجعوا إلى كلمة
« تاريخ » فكسعوها بالياء المشددة والتاء
فكان من ذلك « التاريخية » مقابلاً جياً
للمصطلح الأجنبي .

ومثل هذا قالوا : « الابستمية » معرب
(Epistémé) ، فلم يكلفوا أنفسهم
إيجاد ما يمكن أن يكون مقابلاً عربياً
للمصطلح الأجنبي .

وكأن أصحابنا المختصين بالعلوم
الاجتماعية (٢) يجدون في المصطلح الأجنبي
أصالة ، فإن رأوا أن يثبتوا ما يقابله في
العربية جاءوا بالمصطلح العربي ، وهم
كارهون برمون بهذا المقابل العربي ،
وكانهم أعارود شيئاً من غربة ، فهم
يقولون مثلاً : إن ريكاردو وماركس لم
يختلفا على مستوى « الابستمية » ،
بل هما اختلفا على مستوى « الدوكسا »
(doxa) ، وهم يضعون المقابل « للدوكسا »
ما يقابله في العربية بين قوسين وهو

(١) أقول : قد يكون هذا مثل المنحوتات القديمة كقولهم : عبشمى لمن نسب إلى عبد شمس ، ومرقسى لمن نسب
إلى أمرئ القيس وغيرهما .

(٢) أقول : من العلوم الاجتماعية ما يتصل بعلوم اللغة في عصرنا ، وقد استقرت هذه الدراسات الجديدة ووقفت
فيها على المولد الجديد عربياً أو غير عربياً : وسنسط الكلام على هذه الغرائب الجديدة .

وقد أبقى المعاصرون الكلمة Logie

اليونانية في كثير من العلوم ، وتعني

العلم ، وقد سبقها مفردات عدة تشير

إلى أسماء العلوم فقالوا : جيولوجي

أو جيولوجيا ، والوصف منه نسبة

إليه جيولوجي وجيولوجية وبايولوجي

لما يدعى « علم الحياة » يدخل فيه

الحيوان والنبات ، و « فيزيولوجي »^(٢) ،

و « سيكولوجي » (علم النفس) و

« انثروبولوجي » و « اتنولوجي » (لما

يدعى علم الانسان) ، و « ميثولوجي »

(علم الأساطير) ، و « تكنولوجي »

أو « التكنولوجيا »^(٣) ، و « الكرونولوجيا »

« للتسلسل الزمني » ، وإيديولوجي ،

و « إبستمولوجي » أو « الابستمولوجيا »

(للمعرفة) و « ثيولوجي » (لما يتصل

باللاهوت) ، و « اسكاتولوجيا » (بمعنى

الرأي أو الظن) ، ومثل هذا « الفيلولوجيا »

الذي وضعوا له بين قوسين (علم فقه

اللغة)

وقد لجأ المعاصرون إلى طرائق القدامى

في التعريب ، وهو مقابلة صوت الكاف

الأخيرة في الكلمات الأجنبية بقافاً في

المعرب الجديد فقالوا : سيمانطيقاً ،

وميتافيزيقاً ، والسبرنيطيقاً ، وسيميوطيقاً

(أو السيميائيات) وهي في الفرنسية

Cybernétique Métaphysique sémiotique

ومثل هذا « الجلوسيماتيقاً » وهو

Glossématique ، وقالوا « فونتيقاً » وهي

أقول : واستعارة القاف مقابلاً للكاف

الأعجمية هي طريقة القدماء فقد قالوا :

الغراماطيقاً ، والريتوريقاً ، والبواتيقاً

والبولتيقاً وغيرها ، وهي تقابل :

Rhetorique Grammaticale Poétique

و poétique

(١) وقد عرب العرب في أوائل هذا العصر كلمة « فيزيك » Physique ، فوضع الأستاذ عز الدين

التنوخى - رحمه الله - مصطلح « فيزياء » حملها على كلمة « كيمياء » في المعربات القديمة وقد وضع الأستاذ التنوخى

أول كتاب أسماه « كتاب مبادئ الفيزياء » لطلبة دار المعلمين الابتدائية في بغداد ، وذلك قبل سنة ١٩٣٠ م .

(٢) وقد عرب أهل عصرنا منذ عشرات من السنين فقالوا : فلسفة كما قالوا : فلسفة .

(٣) وقد وردتنا بأخرة « التكنولوجيا » فهرع نفر من المعنيين إلى وضع مقابل لها فقالوا : « التقنية » ،

وكانهم أخذوا هذا من كلمة « تقن » للمتقن البارع في علم أو فن أو أي شيء آخر . غير أن شيوع « التكنولوجيا » قد

راح يحجب شيئاً فشيئاً المقابل العربي حتى كاد ينسى .

النبوة) ، و « اركيولوجى » و « اركيولوجيا »
ومن الغريب قولهم : « مصرولوجى »
(لما يدعى المصريين) ، و « الفنومنولوجيا »
(لما يدعى بعلم الظواهر) ، و « الفيلولوجى »
و « الفونولوجى » ، و « المورفولوجى » ،
وغيرها كثير .

وقد ترد هذه المواد وحدها دون ذكر
المقابل فى العربية ، وهذا يعنى أنها
اكتسبت الشيع فاستغنى بها عن المقابل
العربى .

وقد نجد الكثير من هذا الجديد معرباً
وغير معرب فى كتابات أصحابنا الجدد
من اللغويين ينظرون إلى العلم اللغوى
نظر الغربيين مع التفاتة يسيرة إلى
ماقاله العلماء المتقدمون من العرب .

إن علم اللغة يجتاز فى عصرنا مرحلة
خاصة متسمة بالحركة الدائبة بحيث
ذهب نفر من الدارسين إلى رد كثير
من العلوم إلى الحيّز اللغوى . وقد حملت
إلينا هذه الحركة الدائبة « البنيوية »^(١)

الجديدة . وها أنذا أعرض لطائفة من
هذا المعرب الجديد مما وقفت عليه فى
كتب أصحابنا ، وليست بى حاجة إلى أن
أشير إلى هذه الكتب ، ذلك أن هذه
المولدات جاءت مختلفة بعض الشيء
فى هذه الكتب ، والمهم عندى أن هذا
قد كان بسبب أنها جهود فردية ،
فكلٌ يجتهد على طريقته .
قال أحد هؤلاء الدارسين :

إن مفهوم « البنية » قطيعة
« ايستمولوجية » مع كل فلسفة تتخذ
نقطة انطلاقها من « الذات » أو
« الكوجيتو » .

وأنا أدعو القارىء ألا يذهب به الظن
إلى أن « البنية » عند هؤلاء شئ يقابل
« البنية » أو « البناء » عند سيبويه ،
ذلك أن « الأبنية » التى أشار إليها
سيبويه فى « الكتاب » معروفة ، وكذلك
لدى سائر علماء العربية المتقدمين والمتأخرين
ذلك إنها مادة جديدة تقوم على قاعدة

(١) ومن الغريب أن الذين جاءوا بـ « البنيوية » منسوبة إلى « البنية » لم يعرفوا أن النسبة إلى « بنية » هو « بنوى »
لأن الياء تقلب واواً مثل « قرية » والنسبة إليها « قروى » ، والنسبة إلى « لحية » هو « لحوى » ومثل ذلك الكثير .

فلسفية لها مكانها في جميع العلوم .
ومن هنا كان « المنطق » و « علوم
الرياضيات » مما يدور في فلك « البنية »
الجديدة ، هذا الإكسير الجديد الذي
ليُفَضَّ مغاليت العلم :

ومن أجل هذا ظهرت « البنية السطحية »
و « البنية العميقة » في كتابات اللغويين
المعاصرين « بنيويين » وغير « بنيويين » .
ويحسن بي أن أضع بين يدي القارئ
ما بقوله أحدهم في « كتابه » :

« ومن هنا استحالت « البنيوية » -
إن من حيث أرادت ، أو من حيث
الم ترد^(١) - إلى « لغة شارحة لحضارتنا »
(أو إن شئت قلت : « ميتالغة » (كذا)
(Méta-Langane) للثقافة المعاصرة .

أليس قصدي مما ذكرت أن أنال من
صاحبنا هذا ، ولكني أقصد إلى إظهار
جراحة أصحابنا على العربية !

ولي وقفة أخرى على طرفة ممتعة
وذلك قول صاحبها : وعلى حين بقيت
كلمة « بنية » - في كل من « الفسيولوجيا »
وعلم النفس - مجرد مرادف لكلمة
« صورة » أو « صيغة » أو « جشطالت »
(كذا مع التشديد على أهمية شبكة^(٢)
العلاقات القائمة بين العناصر . . .

أقول : لقد أدخل هؤلاء في طرائق
بناء اللفظ في العربية شيئاً لم تعرفه
العربية ، فقالوا مثلاً : « القبتاريخية »
وصفاً لأحداث سبقت العصور التاريخية .

ان هذا البحث يؤول إلى مافى الفرنسية
أو الانكليزية من الجزء الذي تصدر
به الكلمة في هاتين اللغتين وغيرهما من
اللغات الغربية ، الذي يُدعى فيها
(Préfixe) ، فيقال في الفرنسية
مثلاً : (Préhistorique) ، وكأن
« القبتاريخية » تقابل الكلمة الفرنسية^(٣)

(١) أقول : هذا الذي حصره الدارس بين شارحتين ، ولا أدعوه جملة اعتراضية يدعو إلى الدهشة ، وذلك
لأنه جملة شرطية على منوال ما يستسيغه الكتاب الجدد ، وهو شيء لم يرد في أسلوب الشرط الذي عرفناه في لغة التثزيل
أو كلام العرب .

(٢) أقول : كأن « الفلسفة » الكلمة المعربة أصبحت لا تفي بالمرام لدى هؤلاء الدارسين الجدد ، فعدلوا عنها
إلى الأصل الأصمعي ، وكأنهم عربوه بإدخال الألف واللام للتبريف .

وتؤدّى ماتؤديه . غير أن هذا المؤلف ،
الجديد فى العربية قد استعير له الطريقة
الأعجمية فى البناء ، و «الفبتاريخية»

هى «ماقبل التاريخية» .

يتساءل الدارسون عن هذه «الهمزة»

التي تصدّرت «التاريخية» ، والجواب :

إنها همزة مستعارة لصرف الكلمة إلى

عكسها أو ضدّها ، وعلى ذلك فإن

«الأتاريخية» تعنى محو التاريخ وإلغائه .

والتصدير بالهمزة هو من اللغات الأعجمية ،

ومنه فى الفرنسية :

أى كلمة Morph وتعنى «الشكل»

سأما عديم الشكل فهو Amorphe .

ومثل هذا : Politque (٢) لما هو

«سياسى» ، فأما من لايعنى بالسياسة

فهو Apolitique (٣)

وقد يشيع المصطلح الذى يختار من

العربية ، وشيوعه يعنى صاحبه من

وأضيف إلى هذا شيئاً يقرب منه ،

وهو «القبل رومنطيقى» و «البعد»

رومنطيقى وهو شئ وقفى عليه فى

كتاب آخر لمؤلف آخر ، يجعل مما

أثبتته مقابلاً لما فى الفرنسية من مصطلح ،

وهما : Prérromantique و Postromantique

أليس هذا كله بغريب !

ومن هذه الغرائب التى اجتراً فيها

أصحابها على العربية استعمال أحدهم فى

كلام له على «التراث والمعاصرة» مصطلحاً

جديداً يدخل فى جملة هذه «الغرائب»

هو «الأتاريخية اللاعلمية» (١) .

(١) أقول : و «اللاعلمية» مركب من «لا» النافية وما بعدها ، وهذه طريقة اتبعت فى أوائل هذا القرن فقالوا «لا سلكى» و «لا شعور» و «لاوعى» وغيرها وكان هذه قد ركبت من «لا النافية وما بعدها» ومن أجل ذلك عرفوها بالألف واللام فقالوا : اللاسلكى واللاشعور .

(٢) أقول : لقد عرب الأوائل هذه الكلمة على طريقتهم فقالوا : «أبولتيقا» نظير الغراماتيكا وغيرها ، وكنا اثبتنا هذه الطريقة القديمة .

(٣) أقول : إن هذه الهمزة فى الكلمة الأعجمية لاصلة لها و «همزة السلب والإزالة» التى نعرفها فى الفعل أقضى ، قالوا : «أقضى عين فلان» أى أزلت القلى عن عينه ، وأعجمت الكتاب ، أى أزلت عجمته بنقطة .

إثبات الأصل الأعجمي ، فمن ذلك
شيوع « الاغتراب » أو « الاستلاب »
للمائدة بنفسية في كتابات أهل الاجتماع
والتربية ، وشيوعه أعنى هؤلاء الكتاب عن
إثبات المقابل الأعجمي وهو (alienation) .

ويقول أجدهم : « . . . » وأخيراً يهتم
« ديلوز » بأبراز الطابع « المحايث »
أو « الكموني » (Immanent) للبنية .

قد يقف القارئ غير المتعود على هذا
الجد ، فيستغرب كلمة « المحايث » ،
حتى إذا أدرك أنها من الطرف « حيث »
تملكته الدهشة ، وهو لا يدرك هذا إلا
ببعد استيعاب الكلمة الأعجمية أن
كان من الشادين لشيء من الفرنسية أو
الانكليزية .

ونجد لدى هؤلاء القائلين بـ « البنيوية »
« الضمير مستتراً » يعود على عالم
سويسري هو « فردناند دي سوسير »
المتوفى سنة ١٩١٣ من أساتذة جامعة
جنيف ، أو أن الضمير يعود أحياناً على
عالم أمريكي آخر هو « بلومفيلد » ، وقد
يعود على آخرين .

ومما جاء به « دي سوسير » مصطلحان
هما : (Synchronique) و (diachronique) :
وقد أراد بالأول ما هو « تزامني »
أو « توافقي » وهذا ترجمة من ترجمات
أخرى لهذين المصطلحين وكلاهما بناء
مولد ، فلم نعرف « التزامن » و « التوافق »
في مادة « زمن » ومادة « وقت » .
وقد أراد بالثاني « المتعاقب » أو « المتطور » .

وقالوا أيضاً : « تزامني » و « تعاقبي »
أو تطوري » وكله جديد لم نعرفه إلا في
قراءتنا لهذا العلم الجديد الذي يستمد
مادته من المجتهدين الغربيين .

هذا كله جديد لم يدخل في حيز
النشاط المجمعي .

قد يقول أصحابنا الدارسون : إن
علم اللغة في العربية في عصرنا يفتقر إلى
هذا الجديد ، فلا بد أن يكون شيء في
هذا السبيل . أقول : إن هذا لحق لامرأ
فيه ، على أن يكون للعربية اعتبارها .

ويقول أحدهم فيما كتب : « . . . » إن
« الذات » يقوم بها « الفكر الموضوعي » .
ومعنى هذا أنه ليس لدى « ليفي شتراوس »

أحد العلماء القائلين بـ « البنيوية » ،
« كوجيتو » (كذا) فردى على طريقة
« ديكارت » ولا أرى « كوجيتو » اجتماعى
على طريقة « سارتر » . . . أقول :
كان على الكاتب أن يثبت شيئاً يبنى
بشرح « كوجيتو » لأنها مما لا يعرفها
جمهرة من الدارسين العرب ، ماضره
لو أشار إلى ان « الكوجيتو » ما يتصل
بالفكر والتأمل . . .

لعل أصحابنا هؤلاء الممارسين لعلم
اللغة الجديد يقصدون فتنة القارئ
العربى بهذه الألوان الجديدة ، مع إقرارى
أن صنيعهم مفيد على كل حال . . .

قال أيضاً : « . . . » وقد لا يكون
فى جملة « ليفى شتراوس » العنيفة على
كل نزعة ذاتية متصرفة ما يبرر تسمية
فلسفته باسم « الكانتية » (١) أو
« الترנסدنتالية » . . . أقول :

و « الترנסدنتالية » فلسفة تقوم على

أن الحقيقة السامية لا يمكن ادراكها ،
وأنها تؤكد البدايات الروحية لكل ماهو
مادى ملاحظ بالعيان .

وأنا اختتم هذا الموجز بذكر مواد خاصة
تندرج فى معجم اللغويين المعاصرين
فأقول :

قالوا : « صوتم » لما هو (Phonème) (٢)

أقول : لقد زادوا الميم ليخرجوا من
« الصوت » إلى مصطلح جديد يقابل
المصطلح الأعجمى .

و « نظام الصوتم » وهو (Système des phonèmes)
و المنظم : (systemage)

و « المعلم » : (Glossème)

و « المفهم » : (Séonème)

و « اللفظم » : (Monème)

و « القرّقم » : (Morphonème)

و « المنغم » : (Tonème)

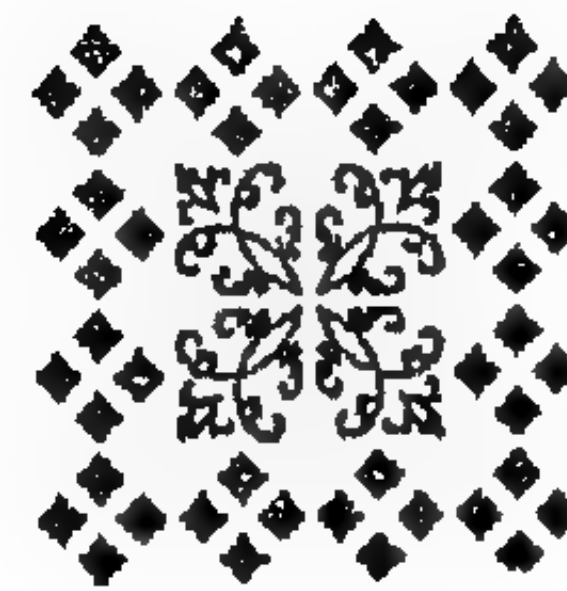
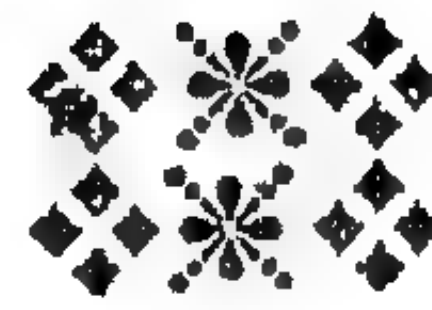
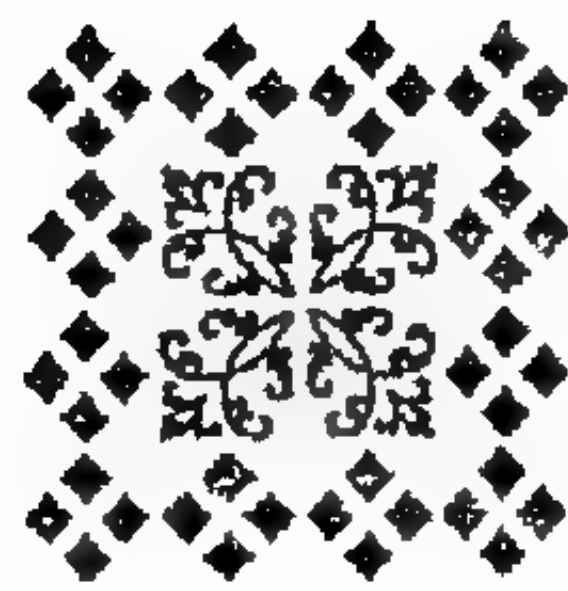
(١) « الكانتية » هى فلسفة الفيلسوف « كانت » ، وقد تحولت التاء من « كانت » إلى طاء فى لغة المربين .

(٢) أقول : إن اضافة الميم على « صوت » تسمى إلى الميم فى « Phonème » ، وليست هى كالميم التى أضيفت

فى العربية القديمة إلى أزرق فقالوا : « زرقم » للشديد الزرقة ، و « صلدم » الشديد الصلابة ، والأصل « صلها »
ومثلها اضافة النون إلى « رعش » و « ضيف » فقالوا : « رعشن » و « ضيفن » والأول المرتعش كثيراً والثانية
لمن يحضر مع الضيف ولم يدع .

وقالوا : « الطرائق الصرف دلالية »
 Procédés Morpho-Sémantiques لما هو :
 وقالوا : « الطرائق الصرف نحوية »
 procédés Morpho-Syntasiques لما هو :
 وقالوا : « الصرف - صوتية لما هو :
 Morpho-Phonologique
 وبعد فهذه جملة مواد اصطلاحية
 بسطتها بين أيدي المجمعين للنظر فيها ،
 وقد أثبتتها غير واحد من أهل الاختصاص ،
 وهي على ما فيها شئ يلزم العربية في
 عصرنا .

و « الرُوسَم » : Graphème
 و « السُّوْنَم » : Cénème
 و « صَوْتِيَّة » : Phonologi
 و « صَيَغَمِي » : Morphologique
 و « صَيَغَمِيَّة » : Morphologie
 و « مَعْنَم » : Sème
 و « مَعَانِم » : Sémes
 و « مَعْنَمِي » : Sémique
 وقالوا : « وَحْدِيم » و « وَحْدِيَمَات »
 لما هو Monème Morphème



حساب القمام الفاسى

للأستاذ محمد الفاسى

كان لعلماء فاس وقفاتها وعدوانها إلى
الأعهد قريب طريقة في كتابة الأعداد
اخترعوها لتقييد التركات والفرائض في
تقيم الإرث لا يعرفها الأهم وذلك للتعمية
على من تسول له نفسه تغيير العقود
وتزييفها . وقد نظم شيخ الاسلام أبو
السعود عبد القادر الفاسى المتوفى سنة
1091 هـ (1630 م) رجزاً في بيان
أشكال هذه الأرقام المسماة بالقلم الفاسى
ولفظه القلم هنا بمعناها صور الأرقام
ونظامها في الحضارات المختلفة فيقال
القلم الرومى للحساب اليونانى والقلم
الهندي والقلم الغبارى . ونظام القلم
الفاسى لا يرتكز على الصفر وإنما يعطى
للشكل قيمة خاصة . وعدد هذه الأشكال

أسبعة وعشرون : تسعة للأحاد وتسعة
للعشرات وتسعة للمئين . معنى هذا أن
صور الأحاد من واحد إلى تسعة وصور
العشرات من عشرة إلى تسعين وصور
المئين من مائة إلى تسعمائة .
أما الآلاف فهي الأحاد الآلاف وصور
الأحاد المذكورة وتحتها مطة وصور
عشرات الآلاف والعشرات المذكورة وتحتها
مطة وصور مئات الآلاف فهي صور
المئين المذكورة وتحتها مطة بمعنى أن
صور آحاد الآلاف تسير من ألف إلى
تسعة آلاف وصور عشرات الآلاف
تسير من عشرة آلاف إلى تسعين
ألف وصور مئات الآلاف تسير من
مائة ألف إلى تسعمائة ألف .

| | | | | | | | | |
|----|----|----|----|----|----|----|----|----|
| ٩ | ٨ | ٧ | ٦ | ٥ | ٤ | ٣ | ٢ | ١ |
| ك | هـ | د | ج | ب | ا | ي | ح | ز |
| ٩٠ | ٨٠ | ٧٠ | ٦٠ | ٥٠ | ٤٠ | ٣٠ | ٢٠ | ١٠ |

| | | | | | | | | |
|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----|
| ٩ | ٨ | ٧ | ٦ | ٥ | ٤ | ٣ | ٢ | ١ |
| ٩٠٠ | ٨٠٠ | ٧٠٠ | ٦٠٠ | ٥٠٠ | ٤٠٠ | ٣٠٠ | ٢٠٠ | ١٠٠ |

| | | |
|----------------------------|-----------------------|-----------|
| وهكذا الى تسعة آلاف | 1 0 0 0 | ١٠٠٠ |
| وهكذا الى تسعين الفا | 1 0 . 0 0 0 | ١٠٠٠٠ |
| وهكذا الى تسعمائة الف | 1 0 0 . 0 0 0 | ١٠٠٠٠٠ |
| وهكذا الى تسعة آلاف الف | 1 0 0 0 . 0 0 0 | ١٠٠٠٠٠٠ |
| وهكذا الى تسعين ألف الف | 1 0 . 0 0 0 . 0 0 0 | ١٠٠٠٠٠٠٠ |
| وهكذا الى تسعمائة آلاف الف | 1 0 0 . 0 0 0 . 0 0 0 | ١٠٠٠٠٠٠٠٠ |

أما آلاف الآلاف وهي ما يسمى اليوم الملايين فهي لأحاديها صور الآحاد المذكورة وتحتها ميطان وصور عشرات الملايين العشرات المذكورة وتحتها ميطان وصور مئات الملايين فهي صرر المثين وتحتها ميطان .

واليكم الآن لائحة بكل هذه الأشكال استخرجتها من رجز جدنا أبي السعود الفاسي وقد ألف العلامة القاضي أبو العباس أحمد بن العياشي سكيجرج شرحا لهذه المنظومة سماه « أرشاد المتعلم والفاسي في صفة أشكال القلم الفاسي » طبع على الحجر بفاس سنة 1316 هـ . (1898 م) وقد ورد فيه قوله : « أعلم ان وضع هذا القلم إنما قصد به الاختصار في الوضع العددي والتعمية على العوام خوف التبديل والتغيير ولما كان قليل الدوران بين العدول المتقدمين لا يعرفوا غالبا إلا من له ممارسة وبحث واعتناء بالأمور وقد فشا ظهوره عند السادة الفاسيين فنسب اليهم وليس من وضعهم بما هو مأخوذ من القلم الرومي » . انتهى وفي هذا نظر إذ لو كان أصله يونانيا وهو ماتعنيه لفظة الروم عند العرب

يبقى له أثر بالشرق واما الاتصال المباشر للمغاربة بالحضر اليونانية فإنه لم يقع قط والحضارة العربية المغربية لا تعرف الحضارة اليونانية إلا عن طريق ما وقع من ترجمة لأثارهم أيام العباسيين ثم إن قوله :

إن هذا القلم كان قليل الدوران بين العدول المتقدمين فالمقصود بذلك ما قبل القرن العاشر والا فلدينا وثائق كثيرة من رسوم عدلية ومن رسائل سلطانيه وغيرها مؤرخة بالقلم الفاسي . وفي آخراتي التي ورثتها عن أسلافي كتب لسيوطي زمانه أبي زيد عبد الرحمن الفاسي المتوفى سنة 1096 هـ . (1685 م) مكتوبة بخطه ومؤرخة بالقلم الفاسي ومن هذه الوثائق تركة لزوج جدنا أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي السعود عبد القادر الفاسي . وقد توفيت سنة 1151 هـ (1743 م) وكل ميراثها وتقسيمه على ورثتها بالقلم الفاسي .

واليكم صورة من هذه الوثيقة مع أصلها الذي مرت عليه اثنتان وخمسون ومائتا سنة .

ثم ان واضع القلم الفاسي جعلوا
 الاشكال المذكور وهي عبارة عن اعداد
 الاحاد مع مدة صغيرة في أسفل الشكل
 إلى اليسار هكذا :

لر

عشر

عشران

سبعة

ذاعشار . وهكذا إلى تسعة أعشار

أما منظومة أبي السعود الفاسي التي
 شرحها القاضي سكيرج فهي :

لواحد الأحاد هاء واقفة

ثان كسطة هبة في الصفة

والثالث ارسنه لام الألف

لكن يميناه بذييل قد ردف

والرابع المخلاب رأسه يمين

والعين خامس وسادس يمين

صورة هاء خير أن عقدها

إلى اليمين وارسم بعدها
 علم سبعة كشكل الأربعة
 لكن رأسه شمالا ارفعه
 والكاف واقف وهاء واقفة

هو الثمانية ياذا المعرفة

والكاف تسعة ورد صرفة

داخله وعاشريا في الصفة

مردودة وشدة للعشرين

ولي اجعلتها صورة الثلاثين

ثمت يبق شكل اربعين

لي لحنين وللتين

صح ولعين شبه دارة

وشدة من فوقها اشارة

إلى اليمين علم الثمانين

ولمح أثر بها للتسعين

وبعد ارسى لتطم المثين

فساته كصى ارسى ومائتين

باء وتحت شرطة بغيرمين

ففهمنه ورتبه باليتمين

وثالث المثين يساء أخرى

وفوقها مد منححت النصر

ورابع المئين لام الألف

وهي لخمسمائة لفلتعرف

والعين ستمائة قد ميزت

بشرطة داخليا ونخصصت

والياء فوق الياء سبعمائة

ثم الثمان الواو تحت شدة

وشدة من فوق ياتسعمائة

والمد تحت الهاء في عشرمائة

وهسكنا مراتب الآلاف

تجعل مدا لكل الأحرف

هذا وان القلم الفاسي ، لم يبق أحد

يعرفه من عدول فاس وقصباتها وفي

الماضي كان كل من يدلي برسم عدلي

لدى أحد القضاة يبدأ هذا الاخير بالتعريف

بالعدلين الموقعين عليه وبالقاضي الذي

جعل عليه علامته ثم ينظر في أشكال

القلم الفاسي ويصدق على الكل بما يسمى

الإكمال أي يجعل الوثيقة معمولا بها .

لذا يعتبر هذا التحقيق الذي قمت به

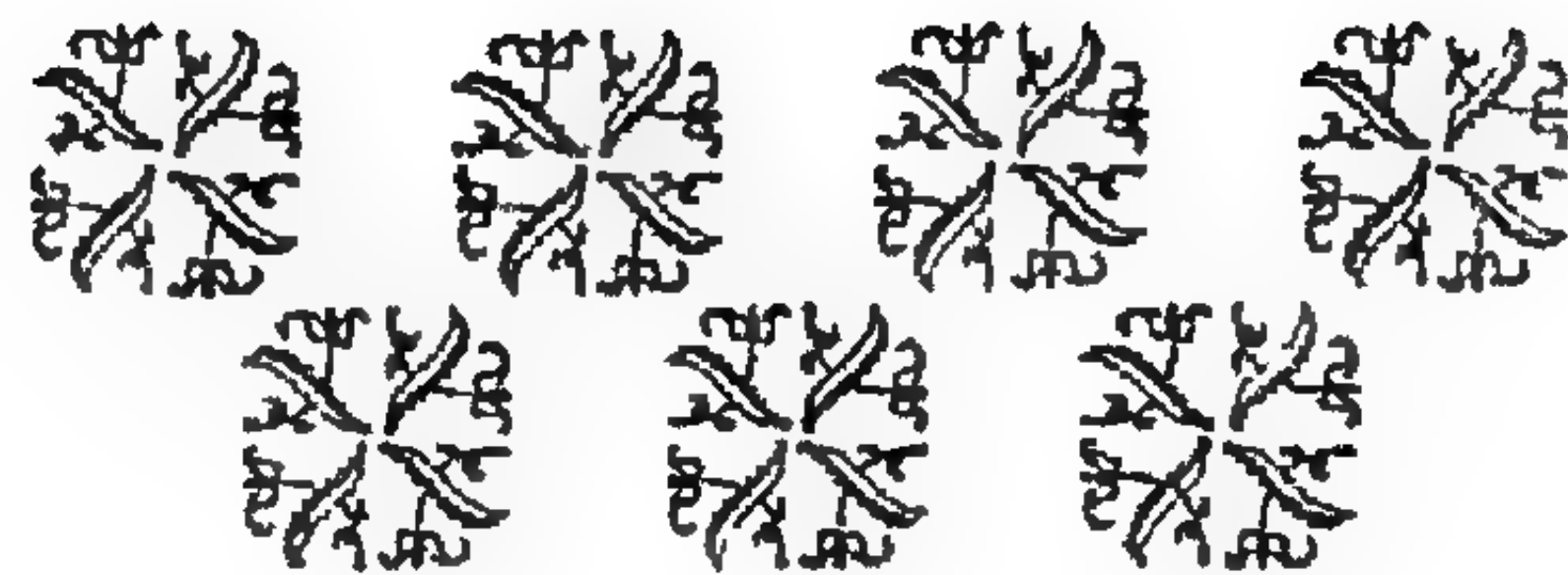
مفيدا للمؤرخين المختصين في الحياة

الاجتماعية والاقتصادية في العصور السابقة

وسأعمل على نشره بكميافية موسعة حتى

تعم الفائدة به .

والسلام عليكم ورحمة الله .



[illegible]

شخصیات مجیدہ

كانت الساعة الخامسة من مساء يوم الأربعاء ٦ من رجب سنة
١٤٠٨ هـ (الموافق ٢٤ من فبراير (شباط) سنة ١٩٨٨ م) موعداً
لبداء الجلسة العلنية التي عقدت بدار المجمع لتأبين المغفور له
الدكتور عمر فروخ عضو المجمع من لبنان .

١ - كلمة الافتتاح

للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

أما عطاؤه في مجمع اللغة العربية فقد كنا
جميعاً نترقب حضوره ونتعجب بملاحظاته
وكلنا يعرف مدى إيمانه بما يذهب إليه من
رأى ، وقد أبت الأقدار إلا أن تمتحنه فأصابه
ما أصابه وفقدناه على عجل . تغمده الله برحمته
وجزاه عما قدم لوطنه ولغته وأمته خير
الجزاء ، وسيلقى كلمة المجمع الزميل
الدكتور عبد الكريم خليفة عضو المجمع من
الأردن .

بسم الله الرحمن الرحيم
(إنا لله وإنا إليه راجعون)
نودع اليوم زميلاً كريماً ومجمعياً كبيراً
هو المرحوم عمر فروخ . عرفته منذ ربع قرن
أو يزيد عرفت فيه الأخوة الصادقة والعلم
الغزير والبحث الدقيق .

كان رحمه الله موسوعى المعرفة جمع
بين العلم والفلسفة والأدب واللغة ، كما كان
عالمى الإنتاج كتب بالعربية ما استطاع الكتابة
فيها ، كما أنتج باللغات الأجنبية وكتب بها ،
فكتب باللغة الإنجليزية واللغة الألمانية .

● كلمة الدكتور عبد الكريم خليفة ●

عمرفروخ

في تأبين الدكتور

وتلقى علمه الأول في الكتاب وفي المدارس الرسمية العثمانية قبل ان ينزل الانتداب في سورية ولبنان . دخل المدرسة الابتدائية التابعة للجامعة الأمريكية سنة ١٩١٩ م . وفي رسالة بعثها إلى أحد أصدقائه يلتقي ضوءاً على هذه الفترة المهمة في تكوينه الثقافي والفكري . وذلك أنه في سنة ١٩٢٢ ، وكان قد مر في صفوف المدرسة الابتدائية في « مدرسة رأس بيروت » ، التابعة ، على حد قوله ، بحسب المنهج لا بحسب الإدارة ، للجامعة الأمريكية ، اتصل به نفر من جمعية المشروع الخيري العلمي في بيروت وعرضوا عليه أن يسلفوه أقساط الجامعة على أن يصبح بعد تخرجه في الجامعة معلماً . ولنستمع إليه يقول :

« لقد قبلت هذا العرض للسبب التالي ، في الدرجة الأولى : كانت أحوالنا الاقتصادية

بسم الله الرحمن الرحيم

(كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون (١)) .

صدق الله العظيم

سيدى الرئيس الحليل ، أيها السادة الزملاء أعضاء مجمع اللغة الخالدة بالقاهرة .

سيداتي ساداتي . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فنحن نجتمع اليوم في رحاب مجتمعاتنا العتيد في القاهرة كي نؤبن عالماً من علمائنا الأفاضل ، كي نؤبن الأديب الفيلسوف عمر فروخ الذى عاش حياته للعلم وخدمة التراث العربى والإسلامى .

ولد الناقد الفيلسوف الدكتور عمر عبد الله فروخ - رحمه الله - في مدينة بيروت يوم الثامن من شهر آيار (مايو) سنة ١٩٠٦ م .

صعبة . فمنذ العام ١٩١٩ م (بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى) كنت أعمل في الصيف في النهار ، وأعمل في الشتاء في الليل في سبيل الحصول على المبالغ الضرورية لأقساط الدراسة . كان ذلك هيناً على حينما كنت في القسم الابتدائي . أما بعد ذلك ، حينما انتقلت إلى القسم الاستعدادي فقد أصبح من غير اليسير على أن أجمع بين الدراسة في النهار والعمل في الليل . وأسلفتني الجمعية أقساط السنوات ١٩٢٣ - ١٩٢٨ م (نحو تسعين جنيهاً مصرياً فإن الجامعة الأميركية في بيروت كانت تستوفي الأقساط بالعملة المصرية) . ثم إنني وفيت هذا المبلغ كاملاً في عامين (١٩٢٩ - ١٩٣٠) (١) .

ولاشك أن النشأة الأولى ، تركت آثاراً عميقة في شخصيته . وفي نظرته للحياة وحب العمل والشعور المسؤول بالواجب ، فكان ، رحمه الله ، رجلاً عصامياً بنى نفسه بنفسه .

دخل عمر فروخ المدرسة الابتدائية التابعة للجامعة الأميركية في بيروت وهو في السنة الثالثة عشرة ، من عمره ، وذلك سنة ١٩١٩ م وفي سنة ١٩٢١ م دخل السنة الثالثة الاستعدادية في الجامعة الأميركية ، ونال شهادتها في حزيران سنة ١٩٢٤ م . وكان أحد خطباء حفلة التخرج وهذا يعني أنه كان من الطلبة المبرزين . ثم دخل الدائرة العلمية في الجامعة

الأمريكية ، وتخرج فيها عام ١٩٢٨ م ، برتبة بكالوريوس علوم (متخصصاً باللغة العربية والتاريخ) . وبعد أن عمل عدة سنوات في التدريس ، تابع أديبنا الناقد دراسته العليا في ألمانيا وذلك من سنة ١٩٣٥ - ١٩٣٧ م . فتخصص في الفلسفة واللغة وتاريخ العرب في أوربة ما عدا الأندلس ، وتخرج برتبة دكتور في الفلسفة في ١٩٣٨/٨/٢٧ م .

ويستطيع الباحث في شخصية فيلسوفنا الأديب عمر فروخ أن يميز ثلاثة مصادر أساسية في تكوينه الثقافي والفكري . فكان المصدر الأول يتمثل بالكتائب والمدارس العثمانية إلى جانب حياة البيت والأسرة . التي كانت تمر بظروف مادية صعبة شأنها في ذلك شأن معظم الأسر بعد الحرب العالمية الأولى . ويخيل إلينا أن هذا المصدر قد ترك بصمات واضحة في حياة عمر فروخ وفي سلوكه ونظرته إلى الحياة وفي القيم والعادات الإسلامية التي نشأ عليها .

أما المصدر الثاني فيتمثل بمراحل التعليم المختلفة في الجامعة الأميركية ، ومع أن هذه المرحلة تعتبر أطول مراحل التعليم التي قضاها أديبنا الفيلسوف من عمره ؛ إذ تبلغ حوالي عشر سنوات ، فإن آثارها في حياته العملية واتجاهاته الفكرية قد لا تتعدى كثيراً التكوين العلمي وتأسيس المنهجية الحديثة في البحث والتحقيق .

(١) انظر الدكتور علي زيعور ، صراع للتيارات المتشددة وعمر فروخ ص ٥١ - ٥٢ ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

أما المصدر الثالث ، فيتمثل بدراسته العليا في الجامعات الألمانية وحصوله منها على شهادة الدكتوراة في الفلسفة ، وعلى الرغم من أنها أقصر الفترات من حيث الزمن ، من سنة ١٩٣٥ - ١٩٣٧ م ، إلا أنها تركت آثاراً واضحة في اتجاهات عمر فروخ الأخلاقية والسلوكية من حيث جدته ومثابرته واحترامه لنفسه وللنظام والقانون ، وربما كان لها دور كبير في اتجاهه الفكري .

وأما حياته العملية فقد بدأها منذ تخرجه سنة ١٩٢٨ م ، مدرساً بمدرسة النجاح في نابلس بفلسطين وفي سنة ١٩٢٩ م عين أستاذاً بجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت . وبعد عودته من ألمانيا في سنة ١٩٣٧ م ، حصل على شهادة دكتوراه الفلسفة استأنف التدريس في مدارس المقاصد الخيرية الإسلامية وفي سنة ١٩٤٠ - ١٩٤١ م عين أستاذاً للتاريخ الأموي والعباسي في دار المعلمين العالية ببغداد . ومن سنة ١٩٤١ لم ينقطع عن العمل في مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ، سواء أكان ذلك في مجال التدريس أم التوجيه أم الرعاية العلمية والفكرية ، خلفاً وراءه أجيال من التلاميذ يدينون له بالحب والاحترام والتقدير . فكان إلى جانب وجوده مدرساً في جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ، فقد عمل أستاذاً زائراً في جامعة دمشق للتاريخ الأموي وتاريخ الأندلس من سنة ١٩٥١ - ١٩٦٠ م . وأصبح أديبنا

الفيلسوف ، رحمه الله ، أستاذاً محاضراً في جامعة بيروت العربية للتاريخ العربي في جانبه الحضاري ولتاريخ العلوم عند العرب ، وذلك منذ سنة ١٩٦١ م .

وكان لفقيدنا الراحل نشاط مرموق في عدد من الهيئات العلمية والاجتماعية والأدبية فقد كان عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق ، وعضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وعضواً في جمعية البحوث الإسلامية في بمباي ، وعضواً في المجلس الإسلامي في بيروت ، وعضواً في مجلس الإدارة في بيروت العربية فضلاً عن نشاطه في الأندية والمؤسسات العلمية الأخرى .

وكان ، رحمه الله ، في جميع هذه المؤسسات موضع الاحترام والتقدير ، بما أضفاه عليها من خلقه الكريم ، وإخلاصه الجهم ، وعلمه الموسوعي الخصب ، وتفانيه في خدمة دينه وأمه ووطنه . وقد حاز على عدة أوسمة وجوائز علمية تقديرية .

وقد ترك الفيلسوف الأديب عدداً كبيراً من المؤلفات والمترجمات يربو على الستين . وإن إنتاج عمر فروخ يستحق أن يكون موضوعاً لدراسات علمية متعددة . فإنتاجه الأدبي والفكري ، إنتاج غزير يشمل ميادين مختلفة وربما كان أهم ميادين هذه الدراسات في إنتاج عمر فروخ الموسوعي ، يتحدد في

قضايا الأدب واللغة والنقد والتاريخ والفلسفة والسياسة .. : وربما كان موضوع العروبة والإسلام في فكر عمر فروخ من أهم الموضوعات التي تستحق الدراسة في فكر فيلسوفنا الراحل : وسنحاول في هذه الكلمة المقتضبة أن نلقى أضواء على هذه الجوانب المتعددة من أدب عمر فروخ . ولكن لا بد لكل دارس لأدبه أن يأخذ بعين الاعتبار قضيتين أساسيتين ، أحدهما : الحياة السياسية والثقافية في الوطن العربي بعامة وفي بلاد الشام بخاصة ، والأخرى شخصية عمر فروخ وتكوينه الثقافي والعلمي ، حيث شخصية العالم العربي توجه إنتاجه الخصب في ميادينه المختلفة ..

ففي مجال الأدب وتاريخه ، عني أديبنا عناية فائقة بالتراث ومحاولة تقديمه بثوب جديد ومنهجية علمية إلى الدارسين . فقد وضع كتابه الموسوم : « تاريخ الأدب العربي » في ستة أجزاء . حاول فيه تقريب الموضوع للدارسين والباحثين وبسط ذخائر الجانب الوجداني من الأدب العربي للمطالعين . وينطلق عمر فروخ في تاريخه للأدب العربي من النظرة الكلية الشاملة لوحدة هذا الأدب ، وأنه إذا كان أرخ للأدب في المشرق ثم أرخ للأدب في المغرب ، لا يعني على حد تعبيره أن الأدب المشرقي ينفصل عن الأدب المغربي ، ولكنه اتبع هذا المنهج لغايات الدراسة والبحث وبسهولة التنازل . ونحن إذا استثنينا الدراسات

التي عقدها حول العصور السياسية وخصائصها الأدبية ، فقد احتوت هذه السلسلة بأجزائها الستة مئات من تراجم الشعراء والخطباء والكتاب والأدباء من ذوى الإنتاج الوجداني . ووضع المؤلف مقدمة لهذه السلسلة استعرض فيها المؤلفات التي كتبت حديثاً في تاريخ آداب اللغة العربية ، ووضع كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » لبروكلمان : المكانة الأولى ... ويعتبره مبتكراً وشاقاً لطريق لم تشق من قبل وهي دراسة قيمة على قصرها ، وتمثل أيضاً روح النقد عند مؤرخ الأدب عمر فروخ .

ومن بواكير أعماله في دراسة التراث الأدبي كتابه الموسوم : « أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله » . وقد نشره في بيروت سنة ١٣٣٥ هـ الموافق ١٩٣٥ م ، وذلك قبل أن يغادر إلى ألمانيا لإتمام دراساته العليا . وإن قيمة هذه الدراسة تكمن في دلالتها التاريخية في فكر عمر فروخ الذي ما فتى ينمو ويتطور في فترة زمنية تتجاوز الخمسين عاماً .. وفي هذه الدراسة يرى في المربعات والخمسات في الشعر المشرقي جذور فن التوشيح ، ويذهب إلى اعتبار أبي تمام رائد فن التوشيح في أبياته التي قسمها إلى أقسام متساوية أو شبه متساوية وألزم القافية في آخر كل جزء أو جعله في البيت قافيتين .

ولا شك أن عمر فروخ يتبنى بعض الآراء الراجحة في بعض الأوساط العلمية حول قضية

اطلاع أبي تمام على الفلسفة اليونانية . ويرى أن من أهم المظاهر التي تمتاز بها مدائح أبي تمام ، إشاداته بالقومية العربية والدين الإسلامي...!!! - ليت شعري ما هي مقومات هذه القومية العربية التي يسقطها الباحث على أبي تمام !!! فمن الواضح أن عمر فروخ قد أقحم الحديث عن القومية العربية إقحاماً في هذا المجال ، ونخرج من ذلك كله إلى الحكم على أبي تمام بأنه : « شاعر يمثل الإسلام والقومية أجمل تمثيل » (١) .

ولاشك أن عمر فروخ كان يقصد بهذا التطور في سيرته العلمية خلال نصف قرن عندما يقول : « ... ومن حسن الحظ أن الكتب المتأخرة في التأليف أحسن وأجمع وأوسع ، وأي عامل لا يرجو أن يكون في يومه أفضل مما كان في أمسه ، غير أن الكتب الأولى ما تزال في المستوى الذي يدعو إلى الرضا » (٢) . وفي هذا المجال لا بد من الإشارة إلى دراساته القيمة عن أبي نواس وابن المقفع والحجاج وابن الرومي والرسائل والمقامات وأبي فراس وشعراء البلاط الأموي وأحمد شوقي « وشاعران معاصران » وغيرهما من الموضوعات .

وعنى عمر فروخ بالتاريخ دراسة وتدریساً وتأليفاً ، وكان له منهجه المميز ، فلم ير في

التاريخ قصصاً وحكايات ساذجة يتناولها الرواة بعد أن تعمل فيها الأهواء عملها ، ويتمثل منهجه في التاريخ بالتحليل العلمي لأحداث التاريخ وتحولاته . وقد أكسبه هذا المنهج العلمي قدرة كبيرة على النفاذ إلى معرفة الأسباب والعوامل المؤثرة في مجريات الأحداث والتفرق بينها وبين الأسباب والعوامل الثانوية ... وربما كان للتكوين العلمي في ثقافة عمر فروخ تأثير كبير في منهجه العقلاني في دراسة تاريخ الأمة وتراثها . ومن هنا نشأت أفكاره في وجوب إعادة النظر رؤية جديدة لتاريخنا العربي ، لأن التاريخ الصحيح ، كما يراه ، لا يكون إقليمياً ، فالإقليمية تشوه تاريخ العرب والمسلمين وتفقد عظمته وقيمته ومكانته ، ولذلك طالب بالرجوع إلى كتابة تاريخنا كما كان كتبه عمر بن الخطاب ، وعبد الملك بن مروان ، وطارق بن زياد ، والحجاج بن يوسف ، والمأمون ، وصالح الدين الأيوبي وغيرهم ... ولو وقفنا قليلاً عند كتابه « تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية » ، وهو كتاب قيم يمثل منهج عمر فروخ في الدراسة والتحليل ويحاول الربط بين ماضي الأمة وحاضرها ... فيقدم لكتابة هذا ، مقدمة تترجم عن فكره السياسي ، وتعبر عن أحاسيسه الحاضرة

(١) انظر عمر فروخ وآثاره في أربعين عاماً ، ١٩٣١ - ١٩٧١ م ، بقمه ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٥

(٢) انظر عمر فروخ ، أبو تمام ، ص ٩٩ .

حيال أمة ق. د. أو ههنا التخليف ومزقها الصراعات الداخلية وأطماع الدول الأجنبية. وربما لانعدو الحقيقة إذا قلنا إن هذا هو اتجاه عمر فروخ في نظراته للتاريخ القومي. ولستمع إليه يقول : « لقد أدى العرب بالإسلام رسالة الدين ورسالة اللغة ورسالة العلم ورسالة الثقافة ورسالة الرحمة ورسالة البطولة ورسالة الحضارة ورسالة الإنسانية . » وإلى جانب هذه الصورة من صفحات الماضي ، تنتقل عمر فروخ عبر اثني عشر قرناً كي يتحدث عن الحاضر ، إذ يتم حديثه قائلاً : « ولكنهم أدوا الرسالات في ماضيهم البعيد ، أما في حاضريهم فإن تاريخهم جانب من تاريخ الأمم القوية التي تستبد بحكم بلادهم وتتحكم بمصائرهم .. » ثم يعلو صوته صارخاً متحدياً فيقول : « أي شعوب العرب يخط اليوم طريق مستقبله بيده ؟ أي شعوب العرب يحارب أعداءه اليوم بسلاح من صنع يده ؟ أي شعوب العرب يقف إلى جانب جيرانه كما يقف جيرانه إلى جانب جيرانهم ... » وبعد هذه الصرخات ، وهي أشبه عندى بنفثات مصدور ، وقد ضاق صدر عمر الواسع بالصورة المهيمنة التي يرى فيها أمة العربية ، فيقول : « أنا أو من بأن الأمم تمر أدوار من الصعود والهبوط ، وأنا مؤمن بأن الشعوب العربية سيأتي عليها دور تهتدي فيه إلى طريق صعودها ، ولكنني لا أدري متى سيأتي هذا الدور ... » ، وفي مكان

آخر من هذه المقدمة ، لتاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية يقول : « وفي عام ١٩٤٥ نشأت جامعة الدول العربية ، وكان أعضاؤها ثمانى دول ... أما أعضاؤها اليوم فتسع عشرة أو يزيد ، وقد كنت أنتظر أن تكون دول العرب اليوم دولة واحدة أو أربع دول على الأكثر ... » ولا شك أن مؤرخنا يرى الطريق واضحاً وأن الحل كامن فيها صح به أمر هذه الأمة في تاريخها الأول ، فيقول : « ولن نستطيع أن نبدأ طريق الصعود ونحن نتجنب عمداً تلك الطريق التي صعد عليها أسلافنا » (١).

لا أريد في هذا العرض أن أناقش منهج فيلسوفنا المؤرخ في كتابة التاريخ ، ولكنني في كتابة التاريخ وتأكيده دوره في حياة الأمم كي تعرف حاضرها ومن ثم تستطيع أن ترى مستقبلها ... ويتناول ذلك كله من خلال منهج علمي يعتبر فيه دراسة التاريخ ، على حد تعبيره ، على أنه علم من علوم الفلسفة ، كما يقول ابن خلدون ، قائم على تحليل الحوادث (ربط أسبابها بنتائجها) لا على أنه قصة من القصص .

وعلى الرغم من تأكيد فيلسوفنا المؤرخ أدوار الرجال الأعلام في صنع التاريخ ، عندما يتحدث عن عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه وعن عبد الملك بن مروان وعن المأمون ... وعن صلاح الدين ... ولكنه يؤكد دوماً دور الأمة في صنع تاريخها ،

(١) انظر : عمر فروخ ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، بيروت : ١٩٧٩ م ص ٧ - ٨ .

لأنه يقول : « إن التاريخ إنما هو تاريخ الحضارات ، لا تاريخ الأفراد ، وتاريخ الأمم الراقية لا تاريخ الجماعات العائشة في هذا العالم الفسيح ، لأنها عائشة في هذا العالم الفسيح فقط ... » وبعد هذه النظرة الخاصة إلى الأمم المستعمرة ، المغاوبة على أمرها يقول : « ثم إن التاريخ هو الوجود الإيجابي للامم لا الوجود السلبي لها . قد يكون للأمم الحاكمة تاريخ ، ولكن الشعوب المحكومة ليس لها تاريخ ... لأن البشر المحكومين لا يطلق عليهم اسم « أمة » .. » (١).

ولكى نضع منهج عمر فروخ في موضعه الحقيقي ، لابد وأن نسأل أنفسنا ، لمن يكتب عمر التاريخ وماذا يكتبه ؟ وربما نقرب من الإجابة الصحيحة عندما نعلم ، أن مؤرخنا معلم يكتب التاريخ لطلابه في جامعة دمشق وفي جامعة بيروت العربية وفي المدارس الثانوية أيضاً ، وذلك في إطار فلسفته المحددة وفكره العربي الإسلامي .

وقد وضع عمر فروخ أيضاً عدداً من الكتب التاريخية تتفاوت في موضوعاتها ومنها : تاريخ الجاهلية ، وكتاب العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر المتوسط ، والعرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط ، والعرب في حضارتهم وثقافتهم ...

ويتمجلى فكر عمر فروخ الفيلسوف في ثنايا تأليفه وفي مواقفه الحياتية التي عاشها مخلصاً لرأيه وسط الزعازع والمؤثرات وحروب الحاقدين على تاريخ الأمة وتراثها والمنشقين عن كيانها . فقد آمن بوحدة الفكر الفلسفي ، وكان له موقف من قضية المعرفة يدكرنا بموقف أخوان الصفا وخلان الوفاء في القرن الرابع الهجري ، عندما حاولوا تقريب المعارف العلمية والفلسفية إلى أذهان عامة المثقفين وهذا ما يفسر مقولته : « ما دامت الشمس للجميع فلم لا تكون المعرفة للجميع أيضاً » .

وكذلك كان فهمه للعلاقة بين الدين والفلسفة ، حيث رأى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي دعا الإنسان إلى التفكير في كل شيء وبينما كانت الفلسفة عدوة الدين عند النصاري ، كانت الفلسفة في الإسلام ، كما يقول ابن رشد : « صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة » وهذه مقولة معروفة جيداً في الفكر الإسلامي ، حيث يتمثلها التيار الذي أخذ على عاتقه التوفيق بين الفلسفة والدين ومن خير ما يمثله قصة « حى بن يقظان » لابن طفيل

وتتميز فلسفة عمر بأنها إنسانية تربوية ، فالبراعة في العلم على حد تعبيره ليست قائمة على الذكاء فقط ، ولكنها قائمة أيضاً على

الجهد وعلى السعى والمثابرة وأن البارع في عمل ما إذا انقطع مدة عن ممارسة ذلك العمل قلت براعته فيه ، وربما بطلت وكثيرة هي الآراء المتناثرة التي تعبر عن فلسفة عمر وهو محل العمل والخبرة محلاً مهماً إلى جانب الاستعداد الفطري .

إذ يفسر الحالات التي تطرأ عند الشخص الواحد فيقول : « إن الاستعداد الفطري واحد ولكن الاختبار إذا طال صقل الاستعداد وسهل عليه العمل ، ثم أكسب العمل تنظيمًا ووضوحًا . . . » وكان الالتزام أساساً في سلوك عمر فروخ وفي قلمه . فقد وجد في مهنة التدريس مهنة وسلوكاً ، ونظراً في الحياة وطريقاً لنهضة المجتمع واستعادة القوة للإسلام في الحضارات الراهنة .

أما نقد عمر فروخ ، فهو جزء من نظريته إلى الحياة ، في إطار فلسفته والتزامه الفكري وهو أيضاً يعكس شخصية عمر في حداثته وجداله . والنقد عنده أداة معبرة من أدوات الوصول إلى الحقيقة والدفاع عنها . . . وقد شمل النقد عنده معظم ميادين المعرفة . . . وكما يترجم عنه صوته الحاد إذا ما استثاره الغضب فإنه يترجم عنه أسلوبه اللاذع إذا ما تعلق الموضوع بالإساءة إلى تراث الأمة أو لغتها أو فكرها ولتقف قليلاً عند تقييمه لبعض الكتب في تاريخ الأدب يقول عمر ، رحمه الله ، « أما إذا كان هنالك كتاب ككتاب اسمه « الآداب العربية وتاريخها » لـ (جـ) كنعان (بيروت سنة ١٩٣١ م) فمن احترام العلم ومن الستر على صاحبه ألا

يذكر . ومثل هذا يقال في كتاب شعراء النصرانية قبل الإسلام ، وشعراء النصرانية بعد الإسلام للأب شيخو ، وفي الكتيبات التي استقت منها . فإن هذه الكتب كلها بنيت على أساس فاسد ، وما بنى على فاسد فهو فاسد . كان الأب لويس شيخو ينقب وينقر ويجهد نفسه ولا هم له إلا أن يثبت أن شاعراً من الشعراء الجاهليين كان نصرانياً على مذهب معلوم » وكذلك فعل عمر في نقده لأعمال « هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأمريكية ببيروت » وجملة القول فإن النقد الأدبي والاجتماعي والفكري واللغوي يكون معلماً بارزاً في حياة فيلسوفنا الناقد

أما أسلوب عمر الساخر اللاذع ، فإنه أدواته في جميع المجالات ، ولا يقتصر على ميدان بعينه ، ولكنها سخرية ، تذكرنا بأسلوب الجاحظ ، تدفعنا إلى الضحك دون تجريح أو إثارة أحقاد ، ونسلك في هذا الباب الدعاء الذي ختم به كتابه القيم الموسوم « التصوف في الإسلام » يقول : « اللهم فاحمه من أصحاب المرء وسراق الآراء الذين يظهرون العلم ويبغون الظلم ، ثم يسطون على آراء الناس وهم يتسترون بمناصب وصلوا إليها ودعايات اقتدوا عليها . واحمه اللهم أيضاً من حسود حقود كنود كنود ، لا ينفع الناس بشيء ولا يدفعهم يلجأون إلى فيء ، يعز عليه أن يرى رجلاً يكتب كلمة لا يستفيد هو فيها درهماً ، فيرى الناس كلهم من خلال نفسه ويود أن لو دفعهم جميعاً إلى رمسه .

اللهم إن أمثال هؤلاء قلدى في عين العلم
فانقه عنها . إنلك السميع المجيب «^(١)

وأما نتاج فيلسوفنا المنافع عن الإسلام ،
فإنه يستحق الدراسة والبحث . فقد كانت له
بحوث وموضوعات ألفت في عدد من
المؤتمرات والمناسبات أو نشرت في المجلات
والصحف ، وقد نذر حياته كلها للدفاع عن
العروبة والإسلام . وقد جمع كثيراً من
هذه المقالات ونشرها في كتابه الموسوم :
« تجديد في المسامحة لا في الإسلام » ، بيروت
١٤٠١ - ١٩٨١ م . وقد قدم إليها بقوله :
في هذه البحوث والموضوعات آراء يقصد
بها هنا أن تكون من باب الاجتهاد الشخصي
مأخوذة من مصادر الإسلام ومعروضة
على العقل والمنطق . ومع أنها راجعة إلى
أعمال السلف ومعروفة المظان عند الفقهاء ،
فليس معنى هذا أنها وحدها صحيحة وأنه
لا يجوز العمل بغيرها : إنها آراء صحيحة
في نفسها إلى جانب الآراء الصحيحة
الواردة عند الفقهاء ، ثم إنها أيضاً خاضعة
للمناقشة » ونحن نرى في هذه المقدمة
خلاصة وافية لمنهج عمر في دراسة التراث
متكناً على النصوص في مصادرها الأولى ،
وممعناً النظر فيها من خلال العقل والمنطق .
وأما كتابه المعروف « التصوف في الإسلام »
بذل فيه جهداً علمياً كبيراً وإن
موقف عمر من التصوف مبني على دراسة
قد امتدت حسب تعبيره إلى أكثر من عشر

سنوات . . . وقد اختار عنوان كتابه بعناية
ودقة فهو « التصوف » في الإسلام ، وليس
« التصوف الإسلامي » لأنه ينكر أن يكون
هنالك تصوف إسلامي .

ويربط الفيلسوف الأديب عمر فروخ بين
الإسلام والعروبة ، ويرى أن اللغة العربية ،
لغة القرآن الكريم ، تمثل أمثناً هذه الروابط
وأقواها . وكيف أن هذه اللغة الشريفة قد
اتسعت في أوجه دلالاتها من غير أن تتبدل
أو تنحدر عن فصاحتها . . . وله في هذا
الميدان كتاب « عبقرية اللغة العربية » وهو
في الواقع مجموع بحوث ، قد ألفت في مجمع
اللغة العربية في القاهرة ، أو في اجتماعات
مختلفة . . . يؤكد المؤلف من خلالها مقدرة
اللغة العربية على القيام بجميع وجوه التعبير
في جميع ميادين الحياة . . .

وإن الدارس الذي يستعرض الجوانب
العلمية المتعددة لانتاج البعثة الأديب عمر
فروخ ، لا بد وأن يقف عند كتابه المهم
الموسوم « عبقرية العرب في العلم والفلسفة »
وقد ترجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية منذ
سنة ١٩٥٤ م . ويحدثنا ، رحمه الله ، عن
الغاية من وضع هذا الكتاب فيقول : « ليست
الغاية من هذا الكتاب أن يكون أحكاماً براءة
وكلمات مرصوفة ، فيكون تملحاً بالماضي
وفخراً بالأجداد ، ولكن الغاية منه أن ندل

(١) انظر : عمر فروخ ، التصوف في الإسلام ، بيروت ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

على مكانة العرب بما تعرضه من آرائهم ونظرياتهم » ويربط عمر دائماً بين الماضي والحاضر فيقول : « فلعلنا إذا رأينا عظمة ماضينا ، ومدى تأخرنا في حاضرنا ، أن نستطيع الوثوب إلى المستقبل وثبة صحيحة . » ويحتل التراث في فلسفة عمر مكانة جوهرية في حياة الأمم إذا يقول : « إن حياة الأمم رهينة بحياة تراثها . فالأمة التي لا تراث لها لا تاريخ لها . وإن الأمة التي لا تاريخ لها ليست إلا كتلاً بشرية لا وزن لها في ميزان الأمم . » ويعلو صوت المؤلف في موضع آخر في وجه أعداء الأمة فيقول : « ولم نعلم في تاريخ الإنسانية أن ثقافة ما هوجمت بمثل العنف الذي هوجمت به الثقافة العربية . ذلك لأن ثقافتنا بخصائصها وميزاتها سياق حقيقي لنا ، والرغبات في تمزيق هذا السياق كثيرة ظاهرة للعيان ، لا حاجة إلى الدلالة عليها ، ثم إن الغاية من تمزيق هذا السياق تمزيق الأمة العربية نفسها وهذا ما يرمى إليه المستعمرون » (١) .

وفي آخر الكتاب ينقد المؤلف الأوضاع العربية الحاضرة ، ويؤكد أهمية العلم في حياة الأمة ، وينعى على العرب حاضرمهم الاستهلاكي . . . وينقد أنظمة التعليم ومناهجه وبرامجه ويدعو إلى ثورة علمية وتربوية كي تستطيع أمتنا مسايرة الحضارة الحديثة .

وجملة القول فإن إنتاج عمر فروخ رحمه الله ، يستحق أن يكون موضوعاً لدراسات علمية متعددة . وأن هذا الإنتاج الخصب لا يمكن أن يفهم على حقيقته إلا من خلال دراسة الأحداث التي عاشها المؤلف . فقد أثر فيها وتأثر بها . . . وكان آخرها اغتيال ولده مازن ، فكانت قاصمة الظهر .

خاتمة :

وبعد اغتيال ولده ببضعة أشهر وفي يوم السبت الواقع في السابع من تشرين الثاني سنة ١٩٨٧ م ، توفي الفيلسوف العربي عمر فروخ عن عمر يناهز الحادي والثمانين عاماً فقد كان ، رحمه الله ، وقد عرفته عن كثب ، زميلاً كريماً وعالمًا جليلاً وفارساً لا تلبس له قناة في الدفاع عن الإسلام والعروبة وعن كل ما هو حق .

وقد أغنى الخزانة العربية بمؤلفات قيمة وقضى حوالي ستين عاماً من عمره الخصب المعطاء في خدمة لغة القرآن وتأصيل جذور وحدة الأمة وإزاحة غبار القرون عن تراثها العظيم ، ليقدمه إلى طلابه وأبناء أمته في ثوب قشيب ، تزينه اللغة الجميلة والمنهجية العلمية وكان ، رحمه الله ، حريصاً كل الحرص من خلال ما يضيفه من رونق عقلائي على بحوثه

(١) انظر : عمر فروخ ، عبقرية العرب في الغلام والفلسفة ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م ، ص ٢٢ - ٢٣ وتأتي بالمؤلف يشيرنا هنا إلى كتابه القيم الذي وضعه بالاشتراك مع الدكتور مصطفى خالدي بعنوان : « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » وقد ترجم إلى اللغة الروسية .

وكتاباتة أن يصل حاضر الأمة بماضيها وأن يكون رائداً لفجر مستقبل زاهر ، يستبين شعاعه من خلال حاضر مهين ، تلفه ظلمات تراكم بعضها فوق بعض ، وتكتنفه المؤامرات والفتن وتستهدفه النزوات الاستعمارية ، تبشيراً وفكراً واستغلالاً واستيطاناً واجتياحاً عسكرياً في البر والبحر والجو

فقد حدثتنا الصحف أنه كان قبل أسبوع واحد من وفاته ، رحمه الله ، يحاضر من على منبر النادى الثقافى العربى فى ذكرى مرور ثمانمائة سنة على معركة حطين . وبعد ما نقل بعض الأخبار من مصادرها كما تقول الصحيفة ، تساءل بمرارة : « أين هو صلاح الدين منقلد الأمة العربية اليوم »

وكان ولده مازن ، رحمه الله ، من ضحايا هذه الفتن العمياء . . . وقد شاء القدر أن يفجع المربي الفيلسوف ، وقد دلف إلى أعتاب الواحدة والثلاثين من عمره بفلانة كبده وقد ذهب ضحية قذيفة عمياء . . وسقط المصاب جلاً على نفس الوالد الشيخ ولكن غالبه بالإيمان العميق والصبر الجميل . ولم ينقطع البحاث المؤرخ عن العمل والتأليف

رحم الله عمر ، الفيلسوف والأديب والمؤرخ الناقد ، رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته ، وجزاه الله خيراً عن خدمة أمته وتراثها العظيم ولغتها المحيطة لغة العروبة والإسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد الكريم خليفة
عضو المجمع من الأردن

٣ - كلمة الختام

للدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع

وشكرالكم على تفضلكم بالإسهام معنا فى تكريم الراحل العظيم نغمده الله برحمته .

الشكر الخالص للزميل الكريم على الدراسة الشاملة التى أعدها عن فتيدينا الراحل التى استوفت جوانب تاريخه الحافل .

كانت الساعة الخامسة من مساء يوم الأربعاء ١٣ من رجب سنة
١٤٠٨ هـ (الموافق ٢ من مارس (آذار) سنة ١٩٨٨ م) موعداً
لبداء الجلسة العلنية التي عقدت بدار المجمع لتأبين المغفور له
الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى عضو المجمع من العراق

١ - كلمة الافتتاح

في تأبين الفقيه

الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى

للدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

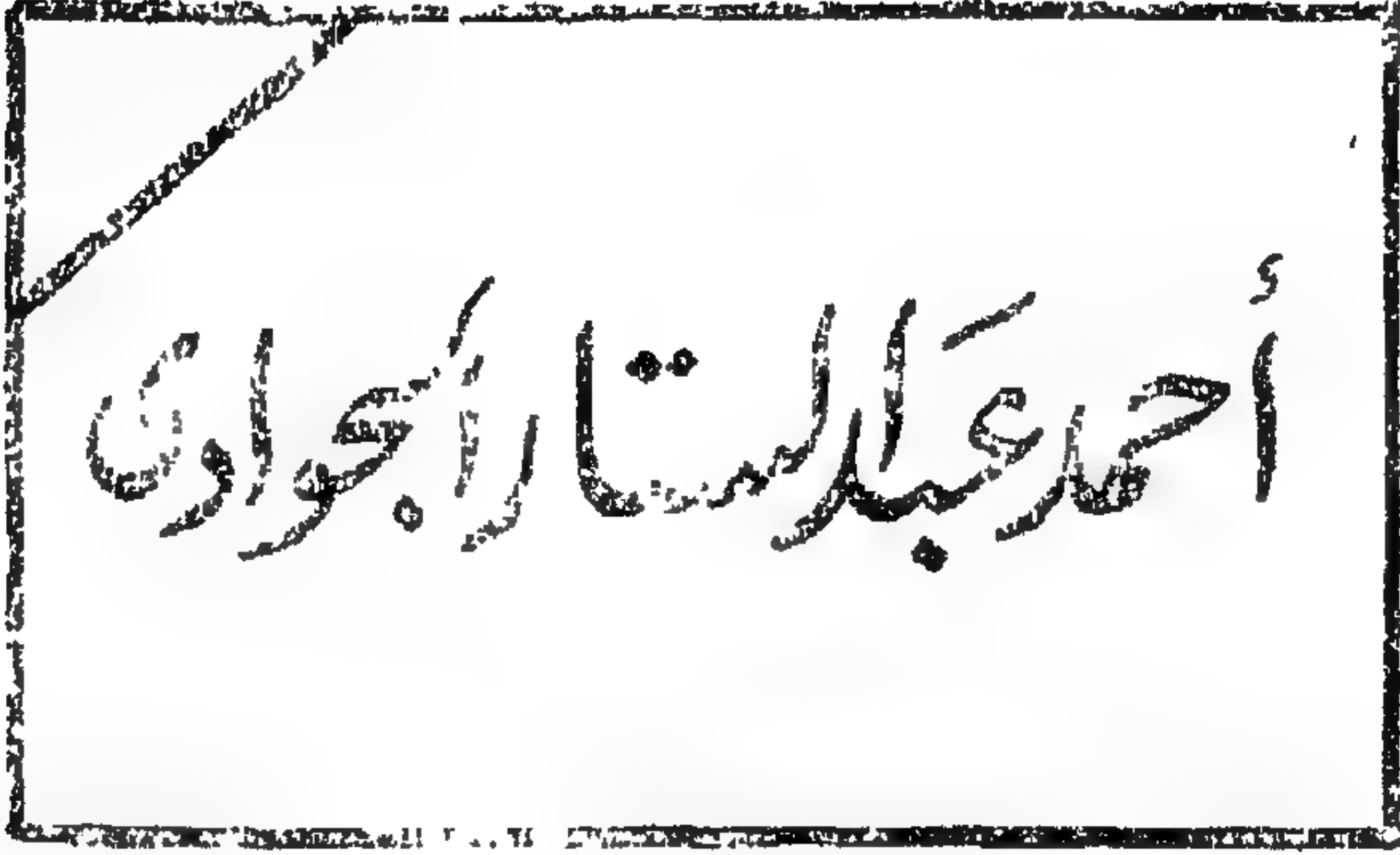
« إنا لله وإنا إليه راجعون »

نودع اليوم فقيداً عزيزاً وفقهاً عظيماً ورفيقاً
أميناً هو الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى
فالناس - أيها السادة - كخيل السباق ،
السابق السابق فيها الجواد ، ولقد كان فقيدنا
الأستاذ الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى
رحمه الله - سابقاً في كل شيء ، سابقاً في
درسه وتعلمه ، فقد نهل ما وسعه من حياض
بغداد ، ويوم أن استكملها لم يقنع بها ، بل
قصد القاهرة والتحق بكلية الآداب ، وحصل
على الدكتوراة ، وكان سابقاً أيضاً في عطائه
لدى تلاميذه ، وأتباعه ، وقد خلف عنهم
أجيالاً ، وكان سابقاً فيما كتب وألف إن في

النقد أو في اللغة أو في النحو والصرف ،
وإن في غير ذلك ، وكان سابقاً في
أصدقائه ، يسأل عن الغائب ، ويجيب من كان
في حاجة ، وكان أحب الناس لمن اتصل به .
أما الأستاذ الدكتور أحمد عبد الستار
الجوارى المجمع فأشهدكم أننا كنا نترقب
دائماً ملاحظاته الدقيقة ، ولم يكن يتكلم
مطلقاً لمجرد الكلام ، تغمد الله برحمته وجزاه
عما قدم لوطنه ، ولغته ، وأمتة خير الجزاء
وسيلقى كلمة المجمع عنه الزميل الدكتور عدنان
الخطيب عضو المجمع من سورية .

ثم يعقبه الأستاذ عبد السلام هارون
الأمين العام للمجمع فيتلو كلمة أرسلت إلينا
من اللواء الركن محمود شيت خطاب عضو
المجمع المراسل من العراق .

● كلمة الدكتور عدنان الخطيب



في تأبين الدكتور

كان شاعر النيل حافظ إبراهيم أصغر ساء
من أمير الشعراء أحمد شوقي ، غير أن رحمة
الله استأثرت بحافظ قبل شوقي ، فرثي أمير
الشعراء زميله حافظ بقصيدة استأثرت بقوله

قد كنت أوشر أن تقول رثائي

يا منصف الموتى من الأحياء

لكن سبقت ، وكل طول سلامة

قدّر وكل منية بقضاء

الحق نادى فاستجبت ولم تزل

بالحق تحفل عند كل نداء

سادتي ، قبل عامين ، وفي إحدى جلسات مؤتمر
الدورة الثانية والخمسين للجمع اللغة العربية ،
وقف الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى
على منصة الجمع ، مع ثلثة من العلماء
ممثلين لعدد من الأقطار العربية ،
وكنت بينهم الأخير ، وقفنا يكرمنا الجمع
بإعلان ضمنا إلى صفوف رجاله المناضلين عن
الفصحى الدائدين عن لغة الذكر الحكيم .

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر
وما بدلوا تبديلا »

سيدى الرئيس سادتي الأجل :

لقد نعمت بصحبة فقيده العربية أحمد
عبد الستار الجوارى في المؤتمرات السنوية
لجمع اللغة العربية لمدة سنوات خلت ، كان
الفقيه أثناءها خير إنسان يصادق ، وخير
رفيق يصاحب ، وخير زميل يعاشر إذا
ما أويئنا إلى الفندق نستجم فيه ، نتحدث معه
فيفيد حديثه ، وتحدث إليه ، فتراه مصغيا
إليك بكل جوارحه إذا حدثك فألفاظه منتماه
تخلو من الحشو والابتدال ، وإذا حدثته
أبدى البشاشة والتلهف لسماع بقية الحديث
يخامل حديثه على أنه ينفر من الغلو في
المحاملة ، وإذا جر الحديث إلى النقد رأيت
ينتقد برفق ولين مبتعدا عن الغيبة والتجريح ،
وأنا لست أدري ما الذى ذكرنى بموقف
أحمد شوقي من حافظ إبراهيم ، عندما نعى
إلى الصديق أحمد عبد الستار الجوارى ؟ .

ووقف الأستاذ الحليل عبدالسلام هارون الأمين العام للمجمع يقول باسمه : « ليس كنزا واحدا هذا الذي تقدمه إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وإلى دنيا التقدير والتكريم ، إنه عقْدٌ من الكنوز لا يقدره الثمن ، ولا يقاربه التعداد والإحصاء لما حواه من درٍّ ، واشتمل عليه من ركاز . .

وقبل أن تندمل جراحنا ب وفاة كبير المكرمين الدكتور حسنى سبيع بدمشق ، جاءنا من بغداد من ينمى الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى . لقد كان فقيداً بالحديد فقيده مجمعنا الخالد بجهود أعضائه العاملين ثانی المكرمين فى الدورة قبل الماضية ، تلبية لدعوة الحق إلى لقائه ، رحمهما الله وحفظ الآخرين ذخرا للعربية ، إنه خير مسؤول .

إن وفاة عالم من العلماء خسارة للعلم وأهله كبيرة ، فإذا كان العالم من المرموقين المتصلعين بالعلم ، فالخسارة أجل من أن تقدر ، لذا كانت خسارة العربية ب وفاة الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى جسيمة . جسيمة .

لقد كان فقيداً أحمد واحداً من عصبية من العلماء الأجلاء الذين عقد مجمع اللغة العربية على جهودهم الآمال العراض فى خدمة العربية والزود عن الفصحى ، تحذوهم إلى ذلك عروبتهم الأصيلة ، إلى جانب إيمان راسخ بأن لغتهم شرفها الله بالذكر المبين ،

فالحفاظ عليها واجب دينى ، والدفاع عنها سبيل إلى الشهادة .

لقد استأثرت رحمة الله ، بأحمد عبد الستار الجوارى يوم الجمعة فى الثالث من جمادى الآخرة من عام ١٤٠٨ المصادف الثانى والعشرين من كانون الثانى (يناير) الماضى من سنة ١٩٨٨ فجاءة وهو يتهيأ لأداء فريضة الجمعة ، وكان فى أوج عطائه الفكرى وكامل نشاطه الذهنى .

وكان فقيداً قد ولد فى مطلع شهر المحرم سنة ١٣٤٤ للهجرة الذى يصادف يوم الثانى والعشرين من شهر تموز - يوليو - سنة ١٩٢٥ للميلاد ، فيكون يوم وفاته فى الثانية والستين وستة أشهر كاملة تغمده الله بالرحمة والرضوان .

ولد الفقيه بمحاة الكرخ أشهر أحياء بغداد القديمة ، العريقة ببيوتاتها ، الأصيلة فى انتمائها العربى ، ولد فى بيت من تلك البيوتات المشهود لها بالتقوى والورع والتسلك بأهداب الشريعة الإسلامية والتحلى بالأخلاق العربية المحموده من حمية ووفاء ودماثة خلق واستقامة وصراحة ومودة وتآزر وتعاون على البر والمعروف .

أتم الفقيه دراسته الابتدائية والثانوية فى الكرخ من بغداد ، ثم التحق بدار المعلمين العالية ، وتخرج فيها على أيدى قدامى شيوخها طه الراوى ، ومهدى البصير ، وعبد الوهاب عزام ، وزكى مبارك ، كما تابع تلقى

العلم على شيوخه يومئذ في بغداد أمثال :
قاسم القيسى وحمدى الأعظمى .

وبجاز الفقيه في تخرجه بدار المعلمين
العالية على مرتبة الشرف ، فأوفاته وزارة
المعارف - كما كان اسمها بعثة علمية إلى كلية
الآداب في جامعة القاهرة ، فتابع فيها تحصيله
العالي ، حتى حاز درجة (الإجازة) مع
الامتياز سنة ١٩٤٥ م ، ثم على درجة
(الماجستير) بمرتبة الشرف سنة ١٩٤٧م
حاملا تقدير كبار أساتذته في مصر :
طه حسين ، وأحمد أمين ، وأحمد الشايب
ومصطفى السقا ، وأمين الخولى ، وأندادهم .

وعاد فقيدها إلى بغداد فعين مدرسا للنحو
في دار المعلمين العالية ، ومع التدريس انتسب
إلى كلية الآداب في القاهرة مجددا للدراسة على
شهادة (الدكتوراه) ، فلما نال هذه الدرجة
بمرتبة الشرف سنة ١٩٥٣ ، عاد إلى
التدريس في بغداد ، حتى إذا ما نجحت
ثورة تموز (يوليو) سنة ١٩٥٨ عـين
مديرا عاما لوزارة التربية فارس وظيفته
الجديدة دون أن ينقطع عن التدريس
وإلقاء المحاضرات ، ثم عين عميدا لكلية
الشريعة وأستاذًا في كلية التربية حتى عام
١٩٦٢ يوم انتخب نقيبا للمعلمين في
الجمهورية العراقية . وأسهم الفقيه -
بالحركة السياسية التي قامت بثورة الرابع
عشر من رمضان الموافق لشهر شباط -
فبراير - من سنة ١٩٦٣ فصار وزيرا

للتربية والتعليم حتى شباط - فبراير -
سنة ١٩٦٤ . وفي عام ١٩٦٨ انتخب للمرة
الثانية نقيبا للمعلمين ، وفي تموز (يوليو)
من السنة نفسها عين من جـ. ليد وزيراً
للتربية حتى أوائل عام ١٩٧٠ إذ عين وزيراً
لشؤون رئاسة الجمهورية ، ثم نقل وزيراً
للتربية بحيث بقي حتى سنة ١٩٧٥ ، ثم
عين وزير دولة فوزيرا للأوقاف حتى
سنة ١٩٧٩ .

اشترك الفقيه بحكم المنصب التي
كان يتولاها في كثير من الندوات والمؤتمرات
العربية والدولية ، وأسهم في أعمالها وتحرير
توصياتها حتى غدت له المكانة المرموقة
في المحافل والهيئات العربية ، معروفا
بخلق القويم وتمسكه بالمبادئ التي يحث
عليها الإسلام ، وحرصه الشديد على أهداف
الأمة العربية ومصالحها .

وفي سنة ١٩٦٥ انتخب الجمع العلمي
العراقي الفقيه أحمد عبد الستار الخواري
عضوا عاما فيه ، ثم انتخبه كل من مجمع
اللغة العربية في دمشق وفي القاهرة عضوا
مراسلا ، وفي سنة ١٩٨٥ انتخبه مجمع
القاهرة عضوا عاما فيه بعد أن ظل
سنوات عديدة يشارك في مؤتمراته السنوية ،
وقد استقبله أستاذنا الحبيب عبد السلام
هارون في الجلسة الثامنة من جلسات مؤتمر
الدورة الثانية والخمسين .

وكان ممثاؤ معلمي الأقطار العربية
قد اختاروا الفقيه سنة ١٩٦٩ رئيسا لاتحاد
المعلمين العرب وظل يحدد انتخابه حتى
نهاية عام ١٩٨٢ .

إن للفقيه عددا من المؤلفات والأبحاث
مطبوعة ومنشورة كما أنه اشترك مع
نفر من زملائه في تحقيق بعض كتب
التراث وفي وضع عدد كبير من المصطلحات
في مختلف العلوم .

إن نظرة واحدة في مآثره الفقيه
من مؤلفات ، وكلها قيم مفيدة تعطينا
فكرة واضحة عن عمق تفكيره وسعة
أفقه وشدة إيمانه وعظيم جرأته في مخالفة
علماء النحو العالقة ، وبين يدي كتابه « نحو
القرآن » وهو خير شاهد على ما أقول .

ذكر الفقيه وهو يقدم كتابه إنه ثمرة
من ثمرات التأمل والإمعان في العبارة
القرآنية على مدى زمن غير قصير ، كان
بدأ بممارسة ما كتبه ابن هشام في شرحه
على الألفية وفي كتابه مغنى اللبيب ، من
دقة العبارة واستبعاد للفضول في الأسلوب
وفي القاعدة النحوية ، حتى تكشف له
حقائق تثبت تقصير النحاة عن استقصائها
والرضوخ لها ، مما دفعهم إلى وضع قواعد
النحو مستندين إلى ما لا يرقى إلى المألوف
الجيد بله الرفيع من الكلام ، كما استندوا

إلى القياس والاستنتاج الذي لا يقوم على
أساس موضوعي .

وانتهى الفقيه ، بعد كل هذا ، إلى
القول : « كان خليقا بمن وضعوا النحو
وأسسوا قواعده أن تكون المادة القرآنية
أهم ما يقيمون عليه تلك القواعد ويستندون
إليه في وضع النحو » .

وقد يسر الله لفقيدنا الكبير ، بتشجيع
من زملاء رأوا في أفكاره أمورا جديرة
بالبحث والدراسة ، مما حمّله على إصدار
كتابه الملصق إليه ، عالج فيه إحدى عشرة
مسألة من مسائل النحو العريضة في أحد
عشر فصلا ، بدأها بمسألة المبتدأ والخبر
لأنهما عماد التركيب وأحد أصوله وصورة
الإسناد فيها بيّنة ولا خلاف على وجوب
ذكر طرفيهما بالفعل أو بالقوة ، فإن حذف
أحدهما ، أوجب النحاة تقديره حتما حتى
يقوم ركنا الجملة في الكلام .

وضرب الفقيه أسئلة كثيرة مستشهدا
بآيات من القرآن الكريم ، ذاكرا إعراب
النحاة للجمل الاسمية فيها مع تقديرهم
لأحد ركنيها إذا وجدوه محذوفا تمسكا
بجزئي الجملة في القواعد التي وضعوها
للجملة الاسمية . إلى أن قال : إن « تقدير
بالم يذكر منها ، وتأويل الكلام بحيث
تذهب روعته ، ويضمحل أثره في النفس
« فالزخشي لما أراد إعراب قوله تعالى

فى سورة يونس : « قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم ^(١) . . . » قال ، « أى افترأؤهم هذا منقعة قليلة فى الدنيا »

وينهى الفقيء تعليقاته بذكر حقيقة ذات طرفين هما :

الأول : إن بعض الأسماء التى يؤتى بها فى حالة الإسناد تكون مشحونة بالمعنى والإيماء بحيث لا تحتاج إلى ما يوضحها أو يصفها أو يسند إليها .

الثانى : الاكتفاء بمجمل ما يدل عليه السياق من معنى الوصف والإسناد دون التقيد بورود لفظ يشار إليه بضمير أو نحو ذلك .

وفى فصل عقده الفقيء لبحث مسألة (حذف القول) مما يكثُر وروده فى القرآن الكريم ، وهو أشبه ما يكون بلوحة أسقط منها ما لا حاجة به من خطوط ابتغاء التنويه بجوهر الموضوع ، وهو أيضا ضروب الانقطاع الذى يحمل السامع أو القارى على توقع أمر ذى بال . ولو اتصل الكلام لما أثار قدراً من الانتباه والاهتمام مثل الذى يثيره الانقطاع ، تأمل قوله تعالى فى سورة الشعراء : * فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين * إن هؤلاء لشردمة قليلون * وإنهم لنا لغائظون *

قال الزمخشري فى كشافه (ج ٣ ص ١١٥) : « إن هؤلاء محكى بعد قول مضمير »

يقول الفقيء أحمد عبد الستار الحوارى تعقيباً :

« إن فى هذا الأسلوب الجميل أكثر من مظهر واحد من مظاهر الفنية التعبيرية ، فهو مركب من الحذف النحوى والإنجاز والفصل لشبه الانقطاع والالتفات .

وكثرة وروده فى العبارة القرآنية أمر يدعو إلى التأمل فقد عدت أكثر من عشرين موضعاً لم يرد فيها فعل القول بلفظه أو بمعناه ، على الوجه الذى وضع النحاة حدوده حين بحثوا مسألة (إن) المفسرة . وشيوع هذا الأسلوب ينقض قواعدهم فى الحكاية ومقول القول .

أليس فى ما يسبق القول المحكى من الكلام ما يوحى به ؟

هذا أمر تنبيه له غير واحد من الباحثين فى مسائل النحو ونقد مناهجه ، ولعل أولهم فى عصرنا هذا المرحوم الأستاذ إبراهيم مصطفى فى كتابه الجليل (إحياء النحو) .

إن موت أحمد عبد الستار الحوارى فجأنا وآلنا وإنا على افتقاده لخزونون ، نرجو أن يتغمده الله برحمته ورضوانه (وما عند الله خير وأبقى) سائلينه عز وجل أن يعوض العربية ومجمع اللغة خيراً ، إنه خير مسئول .

عدنان الخطيب

عضو المجمع من سورية

٣ - كلمة في تابين المرحوم الدكتور أحمد

عبد الستار الجوارى

للسواء الركن محمود شيت خطاب

بسم الله الرحمن الرحيم

نودى للصلاة من يوم الجمعة الساعة الثانية عشرة والعشرين دقيقة ٣ من جمادى الآخرة من سنة ١٤٠٨ الهجرية المصادف للثاني والعشرين من ٢٢ من كانون الثاني (يناير) من سنة ١٩٨٨ الميلادية .

وحين كان النداء يرتفع إلى عنان السماء ، ويسعى المسلمون إلى الجوامع للذكر الله ، تخلف الأستاذ الحكيم أحمد عبد الستار الجوارى عن السعى إلى الجامع الحار لأول مرة في حياته ، لأن روحه في تلك اللحظات التي ارتفع فيها النداء لصلاة الجمعة ، ارتفعت إلى جوار الله .

لقد رحل إلى رحاب الله ، ولن يفيد غير ما قدمت يدها ، ولكن أرجو أن يفيد الأحياء ما أقوله فيه والموفق في دنياه من يستفيد من دروس غيره ، ليقول عنه الناس عند رحيله كما قالوا عن الجوارى ، من كل قلوبهم : رحمه الله ، لقد كان رجلاً صالحاً طيباً .

(أ) نشأ في طاعة الله سبحانه وتعالى ، وشب على تعلم الفروض الدينية وتطبيقها منذ نعومة أظفاره .

(ب) وكان حين يخلو إلى نفسه ، يقرأ ما تيسر من القرآن ، وقد دأب على تلاوة القرآن يومياً ، وهو حافظ القرآن ، ولكنه لا يقرأ عن ظهر غيب ، ورعا من وقوعه في الخطأ في اللفظ أو القراءة ، والجديد هنا ، أنه كان يتقن قراءة السبعة ، وكان مرافقه الذي لا يتخلى عنه في الحل والسفر هو مصحفه الصغير ، والمصاحف متيسرة في غرف داره كافة .

(ج) كان الفقيد رحمه الله يحترم كل إنسان لأنه إنسان ، وصلته بالناس مبنية على أساس احترام إنسانية كل الناس ، لا فرق بين غني وفقير ، ومأمور وأمير ، وتابع ومتبوع ، ومستول وغير مستول . زاره مستول كبير جداً في داره بعد عودته من الحج ، فشيعه إلى باب الدار ، وزاره بعد ذلك فراش مكتبه في وزارة الأوقاف ، فاحتفى به احتفاء كبيراً ، وقدم له الضيافة بيده وشيعه إلى باب الدار كما شيع

المسئول الكبير . كان يحترم
الناس ويتواضع لهم تواضعا
ظاهرا ، ويجعل كل من يلقاه
يشعر بأنه محترم في أعلى درجات
الاحترام وقد نشأ الجوارى وترعرع
محبا للعلم مقدما للعلماء ، وكان
يفتدح أفدماجا كاملا مع أساتذته ،
حتى يكاد أن يصبح أحد أبنائهم
البارين بهم ، يزورهم ويكاد يتفرغ
لقسم منهم ، كما تفرغ
كاملا لشيخه وأستاذه الشيخ توفيق
الناصرى العالم التقي النقي الورع
الذى ترك بصماته العديدة على حياة
الجوارى كلها وسلوكه وأخلاقه .

ولما أصبح الجوارى أستاذا ، حرص
على الاتصال بطلابه ، يزورونه في داره ،
ويفتح لهم قلبه ومكتبته ، ويجيب على
أسئلتهم واستفساراتهم ، ويحل لهم مشاكلهم
العلمية وغيرها أيضا ، ويفرح لفرحهم ،
ويحزن لحزنهم ، ويتولى عيادة من مرض
منهم ، فيسعى إلى دار الطالب أو إلى
المستشفى الذى يرقد فيه لعيادته والاستفسار
عن صحته ، ويقدم له الهدايا المناسبة في
زياراته .

لقد كان من مدرسة طلاب وأساتذة
السلف الصالح : الطلاب الذين يعتبرون
أساتذتهم آباءهم وأخوتهم ، والأساتذة
الذين يعتبرون طلابهم أولادهم وإخوتهم ،

حتى كان الأستاذ يعاون طلابه ماديا
ما احتاج الطلاب إلى المعاونة ، وما استطاع
الأستاذ إلى ذلك سبيلا وكانت الصلة
تستمر بين الطالب وأستاذه من المهد إلى
الحد ، كما يقول المثل ، ولا تنقطع أبدا
بينهما مادام الوفاء من شيم أهل المروءات .

كان وفيا لأصدقائه ومعارفه وجيرانه ،
عطوفا على أفراد عائلته ، صادقا في أقواله
وأفعاله ، مشارك لأصدقائه ومعارفه وجيرانه
في أفراحهم وأتراحهم ، تقيا نقيا نزيها
ورعاً ، عالما أدبيا ، رسول سلام ، حلال
مشاكل الأفراد والجماعات والعوائل -
تلك المشاكل التى يستعصى حلها على
أقوى وأعقل الرجال ، يقول الحق ولو
على نفسه ، جلدنا صابرا على الشدائد
كتوما لا يفشى سره ولا أسرار الآخرين .

أما سيرة الفقيه العلمية فنوجزها فيما يلي :
أكمل الدراسة الابتدائية والثانوية في
بغداد ، ولكنه عكف على تلقى العلم من
شيوخ بغداد ، في ساعات فراغه يوميا ،
وفي عطلة نصف السنة ، وفي أشهر العطلة
الصيفية كان أقرانه يلهون . وكان يعكف
على الدروس في المدارس الدينية . وبه
الجوامع في أيامه وقد ذكرنا من تلقى العلم
عنهم من الشيوخ ، فلا بأس من ذكرهم
هنا أيضا ، وهم الشيوخ : توفيق الناصرى
والشيخ قاسم القيسى ، والشيخ حمدى
الأعظمى وغيرهم ، درس عليهم القرآن

والتفسير والحديث واللغة والأدب ، ودرس في دار المعلمين العالية التي لقبت فيما بعد : كلية التربية ، وتخرج فيها بشهادة : الإجازة (اليسانس) بدرجة الشرف الممتازة سنة ١٣٦٣ هـ (١٩٤٣ م) ، ثم أرسل في بعثة إلى كلية الآداب في جامعة فؤاد الأول ، وحصل منها على الإجازة (اليسانس) الممتازة في الآداب سنة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٥ م) ثم على درجة الاختصاص (الماجستير) بدرجة الشرف سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٧ م) وعاد من مصر إلى العراق ، وعين مدرسا في دار المعلمين العالية ، فساعد على عمليتها وفي سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) التحق بجامعة القاهرة ، ونال درجة : العالمية (الدكتوراه) في الآداب بمرتبة الشرف . وعاد إلى بغداد للاشتغال بالتدريس في دار المعلمين العالية — ثم شغل عدة مناصب إدارية آخرها منصب للمدير العام لوزارة التربية والتعليم بعد ثورة سنة (١٣٧٨ هـ) المصادف (تموز ١٩٥٨ م) . ثم عين عميدا لكلية الشريعة وأستاذًا في كلية التربية حتى سنة ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م)

وقدر شجوه علمه وخلقه وحرصه واستقامته ، إلى تولى وزارة التربية والتعليم في شباط سنة ١٩٦٣ م إلى شباط ١٩٦٤ م ، وظل يمارس خلال مدة وزارته التدريس في جامعة بغداد حتى أوائل سنة ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) ، حيث أعيد تعيينه وزيرا

للتربية والتعليم في سنة ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) حتى سنة ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) ، ثم عين وزيرا لشئون وزارة الجمهورية حتى سنة ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) ، ثم وزير دولة فوزيرا للائوقاف حتى سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

وقد انتخب عضوا عاملا في المجمع العلمي العراقي من سنة ١٣٨٥ هـ إلى ١٣٩٨ هـ (١٩٦٥ م إلى ١٩٧٨ م) وأعفي من المجمع نحو سنة ، وأعيد إليه سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) واختير عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

ثم انتخب عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مطلع سنة ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) ، كما اختير عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية بدمشق ، وعضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية الأردني ، وعين عضوا عاملا في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في الأردن .

وانتخب نقيبا للمعلمين في العراق مرتين : الأولى سنة ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) . والثانية سنة ١٣٩٨ هـ (١٩٦٨ م) ، كما انتخب رئيسا لاتحاد المعلمين العرب من سنة ١٣٨٩ هـ إلى ١٤٠٢ هـ (١٩٦٩ م إلى ١٩٨٢ م) .

وله أبحاث وكتب منشورة هي :
(١) الحب العذري — نشأته وتطوره .

(٢) الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري .

(٣) نحو التيسير .

(٤) نحو القرآن .

(٥) من دلائل القدم في اللغة العربية .

(٦) رأى مصادر الأفعال الثلاثية (مجلة المجمع العلمي العراقي) .

(٧) حقيقة التضمين ووظيفة حروف الجر .

(٨) الوصف - نظرة في قضايا النحو العربي .

(٩) البيان - نظرة أخرى في قضايا النحو العربي .

(١٠) الوصف بالمصدر .

(١١) الوصف بالجملة .

(١٢) ضروب الصفة - نظرة أخرى في قضايا النحو العربي .

(١٣) ضبط عين المضارع الثلاثي .

(١٤) نحو المعاني .

(١٥) اللغة والبحث العلمي .

(١٦) أساليب التفضيل في القرآن الكريم .

وعلى أهمية الكتب التي وضعها ، والأبحاث

التي نشرها ، إلا أن المتوقع منه ومن أمثاله أكبر بكثير من هذه الكتب والأبحاث ، ويبدو أنه شغل بالتدريس أستاذا وبالوظائف الإدارية موظفا ، وبالوزارة وزيرا ، وشغل أكثر من كل ذلك بصلاته الاجتماعية التي شغلت كل أوقات فراغه .

وقد حرمت العربية لغة والإسلام من إنتاجه الفكري المتميز الأصيل .

كان وفيا لأصدقائه وزملائه وطلابه ، يشاركهم الأفراح والأفراح ، ويعتبر ذلك واجبا لا يجوز التهاون في حمله أو التخلي عن أدائه .

لقد جمع الفقيد في برديه العصامية والذكاء وطوى في عمره القصير أثارا طويلا ، في تحصيل العلم ، والجهاد ، واستقطاب الأهل والأصدقاء والأصحاب والجيران والمعارف من حوله .

ولم يكن طريقه مفروشا بالورود والرياحين إذ اعترضته العقبات فدللها في كياسة كأن به حصانة ضد اليأس ، وكأن الدهر قد عركه بعزم لا يلين .

عاش عفا اليد والضمير ، مذكورا مشكورا بكل لسان ، حسن الصحبة ، مأمون السريرة ، يكره عداوة الرجال ، ولكنه يكره الفرار إذا أكرهه على النضال .

وعاش عفا زاهداً فيما يشبع الرغباب ،
لا يأكل إلا ما يمسك الرمق ، أما عقله
فيتزود من الغداء أطيبه ، وأما روحه فطعامها
سماوى علوى . كما عاش فى محراب العلم
والدين والعمل للغير ، ولبلده ولأمته .

لقد اجتمعت كل هذه الصفات فى
شخصيته ، فتصغى رصيده فى حساب المجد .

ولإخوانه فى كل مكان ، يعرفون
فيه ما كان من سباحة : قبل خلق ،
ونفس طيبة تتجافى عن العنف إلا فى الحق
وتستمسك بالاتزان والوقار الذى لا تشوبه
شائبة من شوائب التكلف أو التصنع . .
وإذا ما عنت قضية مشكلة ، تدبرها فى
تواضع العالم ، وتكلم فكان قوله الفصل فى
كثير من مشكلات اللغة والعلم .

إن المجمع العلمى بالعراق ، ومجمع اللغة
العربية بالقاهرة إذ يودعان عضوا جليلا من
أعضائه المخلصين ، ليستمطران شآبيب رحمة
الله على جدته الطاهر . جعلنا الله وإياه مع
الذين أنعم الله عليهم من النبیین والصديقين
والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

إن عبد الستار حين تولى
هدركنا ما كان بالمهدود
ما درى نعشه ولا حاملوه
ما على النعش من عفاف وجود

والحمد لله كثيرا ، وحسبى الله ونعم
الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى
العظيم ، وإنا إليه راجعون . وصلى الله على
سيدى ومولاي رسول الله وعلى آله وأصحابه
أجمعين .

محمود ثنيت خطاب
عضو المجمع المراسل من العراق

٤ - كلمة الختام

للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

هارون على أداء رسالة الغائب ، والشكر
الخالص لكم جميعا على تفضلكم بمواساتنا
في مصائبنا ، ورحم الله الفقيد رحمة واسعة .

الشكر الخالص للزميل الدكتور عدنان الخطيب
على الدراسة الشاملة المستوعبة لتاريخ المغفور
له الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى ،
والشكر الخالص للزميل الأستاذ عبد السلام

قام بمراجعة هذا الجزء من المجلة السيدان
المحرران بالمجمع :

● سميرة صادق شعلان .

● عبد الحكيم صلاح عبد الحكيم

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الإدارة
رمزى السيد شعبان

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٨/٢١٠

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٧٨٢٣ — ١٩٨٧ — ٢٠٠٢



